الشروط العمرية

دراسة نقد – تاريخية

د. عصام سخنيني

كلية الآداب – جامعة البتراء

ملخص

دخلت ما تعرف بالشروط العمرية بعض المصادر العربية القديمة لتدل على الشروط التي استسلمت بموجبها بلاد الشام، أو منطقة الجزيرة، للخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب. وقد صيغت في ضوء هذه الوثيقة مجموعة من أحكام الفقه تعين وضع أهل الذمة الديني والاجتماعي في المجتمع الاسلامي. ومع هذا فإن غياب هذه الوثيقة عن كثير من كتب الفقه وعن مصادر التاريخ الموثوق بها يطرح تساؤلات جادة عن مدى الصدق في تاريخية هذه الشروط. وهذا هو ما تسعى الدراسة الحالية إلى فحصه. فقد أخضعت سلاسل الرواة الذين نقلوا هذه الوثيقة للتدقيق للتعرف على مدى عدالتهم، كما درست بعمق الموضوعات التي تضمنتها للتحقق مما إذا كانت تعود فعلا لأمير المؤمنين عمر، وقد توصلت هذه الدراسة إلى نتيجة مؤداها أن لا أساس تاريخيا يثبت هذه الوثيقة للخليفة، وأنها قد لفقت بعد مرور نحو من ثلاثة قرون على وفاته.

Omar's Terms of Peace
An Historicocritical Study

Issam Skhnini
Faculty of Arts
The University of Petra

Abstract

The so-called Omar's Terms of Peace have been used by several ancient Arab sources to denote the conditions to which the people of either Bilad al- Sham or al-Jazira Province have surrendered to the second Rashidi caliph Omar ibn al-Khattab. In light of this document, a body of jurisprudence (*fiqh*) was composed to formulate the kind of religious, as well as social status of the non-Muslims (*Ahl al-Dhimma*) in the framework of the Islamic community. Yet, serious questions about how much these terms are historically factual arise from the fact that they have never appeared in many of the reliable books of fiqh, nor in any of the most authoritative sources of history. The present paper examines these questions. Chains of traditionalists who transmitted the document are thoroughly scrutinized to evaluate their reliability. So also its themes are investigated in depth to find out whether they really belong to Omar himself. The conclusion reached in the paper is that the document lacks historical grounds to be attributed to the caliph, and that it was composed some three centuries after his death.

مقـــــدمة :

الشروط العمرية تعبير يدل على وثيقة أدرجت في بعض مصادر التاريخ العربي – الإسلامي منسوبة إلى الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب، تبين –وفق مـا أدرج– الشروط التي التزم بها أهل الشام أو أهل الجزيرة – حسب اختلاف الروايـــات – في صلحهم مع أمير المؤمنين عمر. وأهمية هذه الوثيقة أنها تمت في ضوئها واستنادا اليـــها صياغة منظومة من الأحكام الخاصة بالتعامل مع أهل الذمة دخلت بعض كتب الفقـــه وجعلت أساسا لما ينبغي أن تكون علاقة المسلمين بهم. وأكثر ما يتجلى هذا واضحـــا لدى ابن تيمية الذي يصادر على هذه "الشروط" فيجعل منها سندا لفتاويه حول نـــوع التعامل الذي ينبغي أن يسود بين المسلم والذمى[١]. كذلك بنى تلميذه وزميله ابن قيـــم الجوزية جملة فقهه بالنسبة لهذا الموضوع على هذه "الشروط" نفسها التي انطلق منـــها، تأصيلا وتفريعا، ليجعلها الأساس الذي بنى عليه كتابه "احكام أهل الذمة"[٢]. وقـــد فسر مثل هؤلاء الفقهاء الاجراءات المتشددة التي اتخذها بعض الخلفاء في حـــق أهـــل الذمة في ضوء هذه "الشروط" إذ كانوا في ذلك يتبعون – وفق هذا الادعاء – ســـنة الخليفة الراشد الثاني : "فهذه الشروط ما زال يجددها عليهم [أهل الذمة] من وفقـه الله تعالى من ولاة المسلمين، كما جدد عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خلافته وبـــالغ في اتباع سنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث كان من العلـــم والعـــدل والقيـــام بالكتاب والسنة بمترلة ميزه الله تعالى عن غيره من الأئمة، وجددها هـــارون الرشـــيد وجعفر المتوكل وغيرهما"[٣]. وكان أبو يوسف، قاضي هارون الرشيد، قـــد صـــاغ أحكاما بشأن "لباس أهل الذمة وزيهم" طلب من الخليفة العباسي الالتزام بها وفرضـــها عليهم، نسبها إلى ما استنه عمر بن الخطاب بشأنهم[٤].

وقد انتقلت هذه "الشروط" من تلك المصادر القديمة التي أوردتها إلى بعـــض الكتابات الحديثة التي قبلت بنسبتها إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب باعتبارها هـــي

تلك التي اشترطها أهل الذمة على أنفسهم للخليفة عند الفتح[٥]. وما يؤخذ على هذه الكتابات أنها سلمت بتاريخية هذه الوثيقة وصحتها دون تمحيص اطمئنانا إلى ورودها في المصادر القديمة التي تعاملت معها تلك الكتابات الحديثة بدرجة عالية من اليقين لأنها قديمة فقط. وغير ذلك سعى عباس محمود العقاد فيما كتبه عن الخليفة عمر أن يخلق توازنا ما بين ما أثر عن الخليفة الراشد من معاملة مع أهل الذمة تميزت بـ"السماحة والمروءة"، وبين ما نسب إليه من "أوامر وخطط تحرم الذميين بعض الحريات أو بعض الحقوق"، فأرجع هذا الشأن الأخير إلى "حكمة توجبها سياسة الدولة، ويقرها العقل والعرف كما يقرها الدين والكتاب، ولم يصدر فيه قط عن حيف مقصود أو عن رغبة في حرمان الذميين حرية يستحقونها أو حقا هم أحرار فيه"[٦]. ومن الواضح أن العقاد كان في ذلك يسلم أيضا بصحة هذه "الأوامر" المنسوبة إلى الخليفة (وسوف نتعرض لها بعد في هذه الدراسة) استنادا إلى ورودها في بعض المصادر القديمة، دون أن يبذل جهدا منه خاصا للتأكد من تاريخيتها .

ومع هذا فقد قوبلت هذه الوثيقة بشكوك من بعض هذه الكتابات لكنها لم تصل إلى حد نفي "الشروط" من حيث الأصل. وهذا ما فعله الدكتور صبحي الصالح الذي نظر بكثير من الشك إلى صيغتها (أو الصيغ المتعددة) التي ظهرت فيها في تلك المصادر ومسها بالنقد، الا انه كان مقتنعا بصحة الأصول الأولية لهذه الشروط، وان كان مقتنعا في الوقت نفسه بـ"كثرة الأدراج على تلك الأصول"[٧].

وعلى هذا فإذا كان الدكتور الصالح قد وارب الباب لإدخال الشك على الوثيقة كما وردت بصيغها المختلفة، فان ما يسعى إليه الباحث الحالي هو أن يخطو خطوة أخرى على طريق إثارة الشك ليس فقط في الوثيقة بما هي صيغة، بل ليصل بذلك إلى أصل "الشروط" نفسها كيفما وردت وحيثما وردت، بحيث يستخدم منهج الشك في هذه الدراسة كأداة للوصول إلى درجة اليقين التاريخي، الإيجابي أو السلبي،

فيما يتصل بهذه "الشروط". وسوف ترد في ثنايا هذه الدراسة دواعي الشك في الوثيقة وفي "الشروط" ومضمونها، غير أنه يهمنا هنا — في هذه المقدمة — أن نشير إلى أن الشك استتبع الالتزام بمنهج في التاريخ يقوم على المفردات التالية: أولا أن القدم لا يؤسس وحده قداسة للنص التاريخي تعصمه من النقض بحجة القدم والشيوع والتواتر، فورود هذه "الشروط" في المصادر القديمة لا يستوجب حكما التسليم بها والإقرار بصحتها حتى وإن استفاضت تلك المصادر بذكرها. ثانيا إن الوصول إلى الحقيقة التاريخية يستوجب استخدام ما يستخدمه عالم الآثار (الأركيولوجي) من أدوات في التنقيب عن لقاه الأثرية المنشودة فهو يزيل عنها جميع الطبقات التي تراكمت فوقها بفعل الزمن وصولا إلى حقيقتها الجلية. وكذا في الوصول إلى الحقيقة التاريخية التي يستوجب سبرها تعريتها من الطبقات الكثيفة التي تراكمت عليها بفعل الزمن والتي شكلتها رزم من الاجتهادات والتفسيرات والرؤى والتصورات والتعاليق، وفكها بالتالي من هذه الرزم جميعا وتمحيصها مجردة وصولا إلى الحقيقة التاريخية كما هي في صيغتها الأولى. ثالثا إن ناقل الخبر ليس له قيمة في التاريخ إلا تلك المشتقة من ضبطه وصدقه، فهو بذلك عرضة للمساءلة إلى أن ينتفي عنه الشك باليقين قبولا به أو رفضا له. وبذلك عول المنهج المتبع هنا على الأدوات التي استخدمها علم "الجرح والتعديل" وجعلها جزءا من أدواته للحكم على مصداقية الرواة الذين وردت "الوثيقة" على ألسنتهم قبل أن تدخل المصادر القديمة.

المضمون :

وردت الوثيقة المسماة "الشروط العمرية" في عدد من المصادر تتباين جذريا فيما بينها (وسنبحث ذلك لاحقا) بالنسبة لكيفية صدورها ولمن هي موجهة تحديدا من أهل الذمة. غير أن مضمون الشروط يكاد يكون واحدا في جميع هذه المصادر، فهو أن كان يختلف من مصدر لآخر فإنما هو اختلاف طفيف في الصياغة لا يمس

الجوهر. ويدور المضمون حول عدد من الشروط التي ذكرت الوثيقة أن أهل الذمة (في الشام أو الجزيرة) قد التزموا بها في صلحهم مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ندرجها هنا في نقاط حسب موضوعاتها[8]: (١) ألا يحدثوا في مدينتهم كنيسة، ولا فيما حولها ديرا ولا قلاية (= صومعة الراهب منفردا ومنعزلا) ولا صومعة راهب، ولا يجددوا ما خرب من كنائسهم ولا ما كان منها في خطط المسلمين. (٢) ألا يمنعوا كنائسهم من المسلمين أن يترلوها في الليل والنهار، وأن يوسعوا أبوابها للمارة وابن السبيل، ولا يأووا فيها ولا في منازلهم جاسوسا. (٣) ألا يكتموا غشا للمسلمين. (٤) ألا يضربوا بنواقيسهم إلا ضربا خفيفا في جوف كنائسهم، ولا يظهروا عليها صليبا، ولا يرفعوا أصواتهم في الصلاة ولا القراءة في كنائسهم في حضرة المسلمين، وألا يخرجوا باعوثا (=الموكب الديني)، ولا يرفعوا أصواتهم مع موتاهم، ولا يظهروا النيران معهم في أسواق المسلمين. (٥) ألا يجاوروا المسلمين بالخنازير ولا ببيع الخمور. (٦) ألا يظهروا شركا، ولا يرغبوا في دينهم، ولا يدعوا إليه أحدا. (٧) ألا يتخذوا شيئا من الرقيق الذي جرت عليه سهام المسلمين. (٨) ألا يمنعوا أحدا من أقرابهم أرادوا الدخول في الاسلام. (٩) أن يلتزموا زيهم حيثما كانوا، وألا يتشبهوا بالمسلمين في لبسهم قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا في مراكبهم، وألا يتكلموا بكلامهم، ولا يكتنوا بكناهم، وان يجزوا مقادم رؤوسهم، ولا يفرقوا نواصيهم، وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم، ولا ينقشوا خواتمهم بالعربية، ولا يركبوا السروج، ولا يتخذوا شيئا من السلاح ولا يحملوه، ولا يتقلدوا السيوف. (١٠) أن يوقروا المسلمين في مجالسهم، ويرشدوهم الطريق، ويقوموا لهم عن المجالس إن أرادوا الجلوس. (١١) ألا يطلعوا على المسلمين في منازلهم. (١٢) ألا يعلموا أولادهم القرآن. (١٣) ألا يشارك أحد منهم مسلما في تجارة إلا ان يكون إلى المسلم أمر التجارة. (١٤) أن يضيفوا كل مسلم عابر ثلاثة أيام، ويطعموه من أوسط ما يجدون.

وقد جعلت هذه "الشروط" أساسا لأحكام اشتقت منها وكانت تنويعات على ما عُدّ أصلا. فقد صيغت منظومة من الاجتهادات التفصيلية حول الكنائس: إنشائها وهدمها وترميمها وتجديدها وإمكانية الاستيلاء عليها وشرعية وجودها في بلاد المسلمين وفق ما افتتحت هذه البلاد صلحا أم عنوة. وصيغت منظومة أخرى حول تطاول أهل الذمة على المسلمين في البناء وتعلية دور أولئك فوق دور هؤلاء وما ينبغي أن يتخذ من اجراءات عملية إن حدث ذلك، على اختلاف الاجتهادات. كذلك جرى التوسع في الأحكام الخاصة بتمييز أهل الذمة من المسلمين في لباسهم، وهو ما عرف بالغيار، ومنعهم من لبس ما اعتاد المسلمون أن يلبسوه، إن كان لونا أم أردية لأجسامهم أم أغطية لرؤوسهم، وإلزامهم بشد الزنانير على اوساطهم، وأيضا بتمييز هيئتهم العامة من حيث أسلوب قص الشعر بطريقة خاصة ليعرفوا بها، وبأن يجعلوا على ملابسهم من أمام وخلف رقعا ملونة، اختلف في لونها، تدل عليهم. وإلحاقا بهذا وضعت أحكام تفصيلية تبين وجوب تمييز أهل الذمة في الأسماء والكنى، وأخرى في مركبهم الذي ينبغي ألا يماثل مركب المسلمين في شيء ، أكان ذلك من حيث الدواب المركوبة ام أدوات الركوب (كالسرج وما في حكمه) أم طريقة الاستواء على المركوب(٩).

وقد بذلت في وضع هذه الأحكام جميعا، كما في تأكيد مشروعية "الشروط" نفسها، جهود كبيرة لإرجاعها إلى الكتاب والسنة. وعندما كان يعز الدليل النصي الواضح والقطعي في هذا الشأن، وهي الحالة الغالبة، كان السبيل المؤدي إلى تأصيل الشروط وأحكامها في هذه المرجعية هو اللجوء إلى التفسير والتأويل وتحميل النصوص القرآنية الكريمة أو النبوية الشريفة معاني ومقاصد تُسند إليها هذه الأحكام وتشتق منها. أما إن ضاقت السبل الموصلة إلى تلك المرجعية، أو انتفت على الإطلاق، فكان يرجع إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز لاعتماده مصدرا لإضفاء الشرعية على

هذه الأحكام وذلك في الأوامر التي ذكر أنه أصدرها لعماله بهدم الكنائس، وكسر الصلبان، ومنع اليهود والنصارى من الركوب على سروج الخيل، وإجبارهم على لبس الغيار مع شد المناطق على أوساطهم، وقص شعورهم بطريقة تميزهم من المسلمين[١٠].

وفي شأن الغيار خاصة استعين بالتقاليد العربية القديمة في اللباس لتكون حكما على صحة الأحكام التي توجب على أهل الذمة اجتناب ما يلبسه المسلمون. فمنعهم من لبس العمامة كان لأن "العمائم تيجان العرب وعزها على سائر الأمم من سواها"[١١].

كذلك فإن عدم تمكينهم من لبس الأردية يعود لأن الأردية من لبس العرب قديما[١٢].

كما جاء الحظر على لبس النعال، واستبدال النعل بالخف، لأن النعلين هما "من زي العرب من آباد الدهر إلى يومنا هذا"، وأيضا لأن النعال "من زي العلماء والأشراف والأكابر"[١٣].

نقد المصادر والأسانيد :

خلت مصادر التاريخ العربي – الإسلامي العامة من أي ذكر للشروط العمرية، وتتساوى في ذلك المصادر المبكرة وتلك المتأخرة. فهي مجهولة تماماً لدى خليفة بن خياط (ت. سنة ٢٤٠هـ)[١٤]، ولم يذكرها اليعقوبي (ت. سنة ٢٩٢هـ)[١٥]، ولم يرد لها ذكر عند الطبري (ت. سنة ٣١٠هـ)[١٦]، ولا عند المسعودي (ت.سنة ٣٤٦)[١٧].كذلك لم يعرفها، من المتأخرين، كل من ابن الأثير (ت. سنة ٦٣٠هـ)[١٨]، والذهبي (ت. سنة ٦٤٨)[١٩]، والسيوطي (ت. سنة ٩١١هـ)[٢٠].

كذلك لا نجد أثراً لهذه الشروط في الكتب التي خصصت للفتوح وقد كانت هي الأولى بالانتباه إلى عقود الصلح بين المسلمين وأهل الذمة. فهي غائبة عن كل من كتاب **فتوح الشام** المنسوب للواقدي (ت. سنة ٢٠٧هـ)[٢١]، **وتاريخ فتوح الشام**

للأزدي (ت. سنة ٢٣١) [٢٢]، **وفتوح البلـــدان** للبـــلاذي (ت. ســـنة ٢٧٩) [٢٣]، **وكتاب الفتوح** لابن أعثم الكوفي (ت. سنة ٣١٤) [٢٤].

وإلى ذلك، لا ذكر لهذه الشروط فيما كتب من تراجم لعمر بـــن الخطـــاب وعلى تعاقب الأزمنة التي كتب فيها، فهي لا ترد في الترجمة التي كتبها ابن سـعد (ت. سنة ٢٣٠هـــ) في **الطبقات الكبرى**[٢٥]، ولا في ترجمة عمر التي كتبها البـــلاذي (ت. سنة ٢٧٩هـــ) مطولة في **أنساب الأشراف**[٢٦]، كما تغيب عن ترجمة هذا الخليفة التي كتبها أبو نعيم الأصبهاني (ت. سنة ٤٣٠)هـــ) [٢٧]، وعن سيرته التي كتبها أبو الفرج ابن الجوزي (ت. سنة ٥٠٧هـــ) [٢٨].

كذلك لا يرد ذكر لهذه الشروط في الفصول الخاصة بالتعامل مع أهل الذمـــة في كتب فقه اساسية. فقد خصص الإمام الشافعي (ت. سنة ٢٠٤هـــ) فصلا موســعا في كتابه **الأم** لمعاملات أهل الذمة وعقود الصلح معهم وأحكام الجزية، إلا أنه لا يـورد أي اشارة إلى هذه الشروط التي تغيب تماما عن كتابه[٢٩]، وهو إن كان صاغ فعـــلا شروطا للتعامل مع أهل الذمة مماثلة لما جاء في مضمون الوثيقة (حسب النقـــاط الـــتي لخصناها اعلاه) فهو لم ينسبها إلى الخليفة عمر[٣٠]. وهو ما فعله كذلك، فيما بعد، أبو الحسن الماوردي (ت. سنة ٤٥٠هـــ) الذي وضع شروطا قريبة الشبه في مضمونها مـن مضمون "الوثيقة" دون أن ينسبها إلى الخليفة[٣١].

أن خلو هذه المصادر جميعا على اختلاف وتنوع اختصاصاتها من أي ذكـــر للشروط هو الذي يفتح الباب واسعا للشك في تاريخيتها. غير إن غياب الوثيقة عـــن هذه المصادر لا يقوم بالتأكيد دليلا وحده على انتفاء وجودها بالمطلق. فقد أوردتهـــا مصادر أخرى كان أولها – فيما استطعنا تتبعه – كتاب **أحكام أهل الملـــل** للخـــلال الذي لم يصلنا في الحقيقة، بل عرفنا به ابن قيم الجوزية الذي اعتمده مصدرا لروايتـــه الوثيقة[٣٢]. والخلال هذا هو أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلال الحنبلي والإمـــام

في هذا المذهب وقد توفي سنة (٣١١هـ) [٣٣]. كما يدلنا ابن القيم على مصدر آخر، لم يصلنا هو أيضا، أورد الوثيقة هو كتاب **شروط عمر** الذي صنفه أبو الشيخ عبد الله ابن محمد بن جعفر بن حيان الاصبهاني المتوفى سنة (٣٦٩هـ) [٣٤]. كذلك نعرف من ابن قيم الجوزية اسم مصدر آخر، لم يصلنا ايضا، صاحبه أبو القاسم هبة الله بن الحسين الذي صنف كتابا شرح فيه "كتاب عمر بن الخطاب"[٣٥]. وقد توفي أبو القاسم هذا سنة (٤١٨هـ)[٣٦]. غير ان الوثيقة تظهر في كتب وصلتنا، وربما كان أقدمها **السنن الكبرى** للبيهقي (ت. سنة ٤٥٨هـ)[٣٧]، ليتوالى ظهورها بعد ذلك في مصادر لاحقة بدءا من القرن السادس الهجري فنجدها عند الطرطوشي (ت. سنة ٥٢٠هـ) [٣٨]، ثم عند ابن عساكر (ت. سنة ٥٧١هـ) [٣٩]، فابن قدامة (ت. سنة ٦٣٠هـ) [٤٠]، فابن تيمية (ت. سنة ٧٢٨) [٤١]، فابن قيم الجوزية (ت. سنة ٧٢٨هـ) الذي توسع فيها وأورد صيغا مختلفة منها[٤٢]، فالابشيهي (ت. سنة ٨٥٠هـ) [٤٣] وهكذا فإن ورود "الشروط" في مثل هذه المصادر مقابل غيابها المطلق عن مصادر أساسية أشرنا إليها، هو الذي يثير الفضول للتحقق من وجودها التاريخي، أو عدمه، وذلك من خلال فحص الروايات والأسانيد التي كانت الطريق التي سلكتها الوثيقة إلى المصادر التي اعتمدتها.

تبدأ السلسلة بعبد الرحمن بن غنم الذي ينطلق منه معظم الأسانيد ليس بصفته رواية فحسب، بل أيضا للدور المركزي الذي ادعته له هذه المصادر في عقد الصلح الذي أنتج هذه الوثيقة. ويتضح هذا الدور عند ابن قيم الجوزية في ثلاث روايات مختلفة تذكر إحداها أن "أهل الجزيرة" كتبوا هذه الشروط إلى ابن غنم فكتب هذا بها إلى الخليفة عمر. بينما تذكر رواية أخرى أن عبد الرحمن بن غنم نفسه قال إنه هو الذي كتب هذه الشروط لعمر، أما الثالثة فتروي عن ابن غنم أنه كتب هذه الشروط لعمر حين صالح أهل الشام، وليس أهل الجزيرة[٤٤]. وهذا الدور المركزي واضح أيضا

في النص الذي أورده ابن قدامه الذي جاء فيه أن أهل الجزيرة كتبوا إلى ابن غنم: " أنا حين قدمنا من بلادنا طلبنا إليك الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا على أنا شرطنا لك على أنفسنا... الخ"(٤٥).

ويفهم من هذه النصوص، كما وردت، أن عبد الرحمن بن غنم كان، في أثناء الفتوح التي تمت في عهد عمر بن الخطاب، في وضع يمكنه من إجراء عقود الصلح في بلاد الشام أو الجزيرة – حسب اختلاف الروايات – نيابة عن الخليفة، وأن أهل أي من هاتين المنطقتين وجدوه مؤهلا للمخاطبة في الشروط التي اشترطوها على أنفسهم مقابل ما أعطاهم من أمان.

غير ان معرفتنا بالرجل، حسب ما تتيحها مصادرنا، تجعلنا ننفي أن يكون قد تمتع بمثل هذه الوضعية المفترضة. فسيرته كما سجلتها هذه المصادر(٤٦) تقول إنه تابعي، مختلف في صحبته، لزم الصحابي معاذ بن جبل إلى أن توفي معاذ في طاعون عمواس سنة ١٨هـ، فاستمر مقيما في الشام ليصبح، فيما بعد، أحد فقهائها الكبار فيتفقه عليه كثير من التابعين إلى أن توفي سنة ٧٨ هـ. وتدل هذه السيرة على أنه لم يكن له من قريب أو بعيد علاقة بالفتوح التي حدثت في بلاد الشام والجزيرة. فهو لم يكن عاملا للخليفة و لم يكن قائدا عسكريا لكي يتاح له أن يعقد صلحا أو يمنح أمانا. وكان الخبر الوحيد الذي تمكنا من الحصول عليه – على الرغم من جهود بذلناها لتتبع أخباره – والذي يشير إلى مساهمته في الفتوح هو الذي رواه عنه البلاذري في فتوحه(٤٧)، وأشار فيه إلى انه كان من جملة من رابط في مدينة قنسرين، عند فتحها، مع شرحبيل بن السمط أحد قادة جند المسلمين في بلاد الشام. وقد تم فتح قنسرين على يدي أبي عبيدة عامر بن الجراح وكان هو الذي صالح أهلها(٤٨). وباستثناء ذلك يغيب ابن غنم تماما عن مسرح الأحداث المتصلة بالفتوح أو بعقود الصلح المتعددة التي توصل إليها الفاتحون العرب المسلمون مع أهل البلاد الأصليين. ومن حسن الحظ أن

مصادرنا القديمة، على اختلافها، أوردت تقارير مفصلة عن هذه العقود تضمنت أسماء من أصدرها من قادة المسلمين، ولمن وجهوها، والشروط التي جاءت فيها، غير أن أيا من هذه العقود لم يأت قط على ذكر عبد الرحمن بن غنم. وغير ذلك، نرى أن ابن غنم كان لا يزال، على الاغلب، شابا حديث السن في مرحلة فتوح الشام والجزيرة. فقد انتهت هذه المرحلة في السنة الثامن عشرة للهجرة[٤٩]، بينما عاش ابن غنم إلى سنة ٧٨ للهجرة أي بعد تلك المرحلة بما يزيد عن ستين عاما، فمن المستبعد أن يكون بذلك قد بلغ في تلك المرحلة السن التي تتيح له مكانة الصدارة في شؤون الفتوح.

وهكذا نرانا نتجه إلى استخلاص أن اسم عبد الرحمن بن غنم كان قد أقحم تماما في هذه الروايات التي كان هو محورها. وسوف نبين في فقرة لاحقة من هذه الدراسة كيف تم هذا الإقحام، غير أننا هنا نعزز استخلاصنا هذا بفحص إسناد هذه الروايات إذ بذلك نكشف عن قيمتها، وبالتالي عن مدى صحة " الشروط " التي نسبت إلى الخليفة عمر.

جاء في الرواية الأولى التي أوردها ابن قيم الجوزية السلسلة التالية من الإسناد: "قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثني أبو شرحبيل الحمصي عيسى بن خالد قال حدثني عمر أبو اليمان وأبو المغيرة قالا أخبرنا إسماعيل بن عياش قال حدثنا غير واحد من أهل العلم قالوا كتب أهل الجزيرة إلى عبد الرحمن بن غنم..." الخ النص[٥٠]. وقد ابتدأت السلسلة بعبد الله بن أحمد بن حنبل (عاش بين ٢١٣ – ٢٩٠) وهو راوية ثقة[٥١] إظهارا لمصداقية الرواية. غير أن السلسلة بعد ذلك تضطرب اضطرابا كبيرا يطيح بهذه المصداقية. فأبو شرحبيل الحمصي عيسى بن خالد مجهول تماما لدى المشتغلين بالأعلام فلم يذكروه[٥٢]. وينطبق هذا الأمر كذلك على عمر أبي اليمان الذي حار فيه الدكتور صبحي الصالح[٥٣] في حاشيته على الاسم في تخريجه للرواية واقترح، دون أن يجزم بذلك، أن يكون المقصود به هو أبو اليمان الحكم بن نافع القضاعي الحمصي

(١٣٨ – ٢٢١هـ)[٥٤] وأن اسم عمر في الرواية قد أقحم. إلا أن هذا التخريج غير ذي قيمة إذ تظل شخصية هذا الراوي مجهولة تماما. ويزداد ضعف الرواية وعدم موثوقيتها عندما تصل إلى إسماعيل بن عياش (١٠٦ – ١٨٢هـ). فهذا الراوي مختلف عليه، وثقه بعض العلماء كما ضعفه آخرون[٥٥]، غير أن ما يهمنا هنا هو انه يروي عن "غير واحد من أهل العلم"، دون أن يسمي أحدا منهم وهي صيغة مبهمة تطيح الثقة في الراوي وتقوض الرواية من أساسها. وهذا الحكم ينطبق أيضا على الرواية المجتزأة التي أوردها ابن قدامة والتي جاءت كما يلي: "عن إسماعيل بن عياش قال حدثنا غير واحد من أهل العلم قالوا..." إلى آخر النص[٥٦].

كذلك نحن لا نثق بالرواية الثانية التي أوردها ابن قيم الجوزية والتي جاءت السلسلة فيها كما يلي: "ذكر سفيان الثوري عن مسروق عن عبد الرحمن بن غنم قال..." الخ النص[٥٧]. فسفيان الثوري لم يلتق مسروقا، إذ ولد سفيان سنة ٩٧هـ[٥٨]، بينما كانت وفاة مسروق سنة ٦٣هـ[٥٩]. وهذا الحكم ينطبق أيضا على السلسلة التي كانت قد وردت عند ابن تيمية والتي روى فيها سفيان عن مسروق[٦٠].

ويزداد عدم الثقة في هذه الروايات اكثر ما يكون بفحص الرواية الثالثة التي أوردها ابن قيم الجوزيه والتي جاءت كما يلي: "قال الربيع بن ثعلب حدثنا يحيى بن عقبة بن أبي العيزار عن سفيان الثوري والوليد بن نوح واليسري بن مصرف يذكرون عن طلحة بن مصرف عن مسروق عن عبد الرحمن بن غنم قال..." إلى آخر النص[٦١]. فهذه السلسلة من الإسناد مليئة بالعلل وتختلط فيها أسماء الرواة اختلاطا كبيرا ما بين ثقات ومبهمين ومجروحين. فالربيع ثقة[٦٢]، ومثله سفيان وطلحة بن مصرف[٦٣] ومسروق. غير أن طلحة المتوفى سنة ١١١هـ لم يلق مسروقا المتوفى سنة ٦٣هـ. أما الوليد بن نوح فهو مبهم[٦٤]، وكذلك اليسري بن مصرف الذي رسمه البيهقي بالسري[٦٥]، وهو بهذا الاسم مجهول أيضا[٦٦]. إلا أن العلة الأكبر في هذا

الإسناد هي في يحيى بن عقبة الذي اجمع العلماء المختصون بنقد الرجال على تجريحه ووصفوه بعدم الثقة والكذب والضعف وبأنه "ليس بشيء"(٦٧). وهكذا بسقوط هذا الراوي من السلسلة تتهافت الرواية كلها فلا تعود لها قيمة.

لقد انصب جهدنا هنا على نقد الروايات كما وردت لدى ابن قيم الجوزية فهي الأكثر تفصيلا. واقل منها في ذلك تلك التي وردت لدى ابن قدامة وابن تيمية، وقد أشرنا إليهما في هذا النقد. أما روايات الطرطوشي وابن عساكر والأبشيهي فهي غير مسندة إذ جاءت في إحدى صيغتين، إحداهما "روى عبد الرحمن بن غنم قال"، والأخرى "عن عبد الرحمن بن غنم"(٦٨). وهاتان الصيغتان لا تستحقان التوقف عندهما طويلا لانتفاء الأسانيد منهما.

ويبدو لنا أن ابن قيم الجوزية كان مدركا مكامن الضعف والتهافت في الروايات التي أوردها. وهذا ما يمكن استنتاجه من قوله، بعد أن ذكر نصوص الشروط جميعا وأسانيدها، ان "شهرة هذه الشروط تغني عن أسنادها، فإن الائمة تلقوها بالقبول، وذكروها في كتبهم واحتجوا بها"(٦٩)، فهو قول تغلب عليه لهجة الاعتذار والتبرير تقوض كل الأسانيد التي أوردها. وربما كان ابن عساكر من قبله قد فطن إلى تهافت هذه الأسانيد، فهو لم يذكرها قط باستثناء آخر حلقاتها (عبد الرحمن بن غنم) فيروي عنه نص الكتاب المتضمن "الشروط"، ويعقب قائلا: "ربما تغلب عليه [على الكتاب] الصحة"(٧٠)، هكذا بتقليل ودون جزم.

وهكذا تقودنا هذه المحاجحة إلى القول إنه إذا كان غياب هذه "الشروط" عن مصادر المعرفة التاريخية الأساسية، التي جاءت نماذج منها في مطلع هذا الجزء من الدراسة، قد أثار الشك فيها، فإن ورودها بهذه الأسانيد المتهافتة البينة التلفيق المليئة بالعلل، حسب ما ظهرت في مصادر أخرى، يقطع الشك باليقين لجهة نفي تاريخيتها. غير أننا نستدرك هنا بالانتباه إلى أن نفي الأسانيد لا يعني بالضرورة، وكشرط

وجوب، إنكار النص الذي وصل عن طريقه. فالمبدأ القائل: "ليس كل ما صح سندا صح متنا، ولا كل ما صح متنا صح سندا" يمكن قلبه ليصبح: ليس كل ما ضعف سنده انتفى متنه، وليس كل متن ثبت خطؤه يستتبع خطأ سنده. وتأسيسا على هذا فإن التقويم النصي للشروط هو الذي يتيح إغلاق دائرة الحكم على الرواية بمجملها متنا وإسنادا.

نقد المتن:

أول ما يلفت النظر في متن "الشروط العمرية" هو التناقض الظاهر في نصوصها والواضح في اختلاف الروايات فيما بينها بالنسبة لكيفية إصدار هذه الشروط ومناسبتها، والجهة التي أصدرتها، والناس الذين كانت موجهة إليهم. فابن عساكر ينشر روايتين لا يمكن التوفيق بينهما. إحدى الروايتين، المنسوبة إلى عبد الرحمن بن غنم، تقول "أن عمر بن الخطاب كتب على النصارى حين صالحوا..." مع ذكر "نصارى أهل الشام "في النص، هكذا بتعميم دون تحديد اسم مدينة، وانهم هم الذين وجهوا الكتاب لأمير المؤمنين[٧١]. أما روايته الأخرى، التي غاب عنها ابن غنم ونقلت، دون إسناد، عن عباس بن سهل بن سعد، من التابعين[٧٢]، فتنص على أن هذه الشروط ضمنت في كتاب لأبي عبيدة بن الجراح (وليس لعمر بن الخطاب) "ممن أقام بدمشق وأرضها وارض الشام من الأعاجم" حين فتح أبو عبيده دمشق وأبرم لأهلها الصلح[٧٣].

وتختلف الرواية التي أوردها ابن قدامة عن هاتين الروايتين فتذكر أن أهل الجزيرة (وليس الشام) هم الذين كتبوا إلى عبد الرحمن بن غنم بهذه الشروط عندما قدموا من بلادهم إليه وطلبوا إليه الأمان لأنفسهم وأهل ملتهم، وأن ابن غنم كتب بذلك إلى الخليفة الذي رد عليه بأن يمضي لهم ما سألوه، فأنفذ ابن غنم ذلك و "أقر من أقام من الروم في مدائن الشام على هذه الشروط"[٧٤]. ويلاحظ في هذه الرواية أن

الشروط جاءت من أهل الجزيرة بينما قام ابن غنم بتنفيذها في الروم من أهل مدائن الشام.

ومرة أخرى تختلف الرواية التي أوردها ابن تيمية عن كل ما سبق، فهي تنفرد بذكر أن الخليفة نفسه هو الذي كتب بهذه الشروط "على أهل الذمة لما قدم الشام، وشارطهم بمحضر من المهاجرين والأنصار"(٧٥). وهذا هو الخبر الوحيد الذي يتحدث عن ان هذه الشروط أصدرها الخليفة عمر مباشرة لأهل الذمة وأنها صدرت في بلاد الشام. غير إننا نرى في هذا الخبر خلطا ما بين حادثة ما عرف بعهد إيلياء أو العهدة العمرية التي صالح الخليفة بموجبها أهل بيت المقدس (إيلياء) وبين الشروط المدعاة والتي تختلف اختلافا جذريا بمضمونها والتفصيلات التي جاءت فيها عن تلك(٧٦). والى ذلك فلم يذكر أي من مصادرنا أن الخليفة عمر نفسه صالح أهل الشام في أي من رحلاته إليها التي اختلف في عددها ما بين اثنين وأربع، وإن كان الأرجح أنه توجه مرتين إلى بلاد الشام، مرة وصل فيها إلى الجابية فبيت المقدس حيث عقد صلحه المشهور مع أهلها، وأخرى وصل فيها إلى سرغ، موقع ما بين بلاد الشام والحجاز، وعاد منه إلى المدينة بعد أن وصلته أنباء الطاعون الذي كان قد ضرب الشام فلم يدخلها(٧٧).

وهذا التناقض الشديد نجده يتجسد اكثر في الروايات الثلاث التي أوردها ابن قيم الجوزية(٧٨). فأحداها تتماثل مع رواية ابن قدامة من حيث أن "أهل الجزيرة" هم الذين كتبوا إلى عبد الرحمن بن غنم يطلبون إليه الأمان حين قدم إلى بلادهم، فكتب بذلك إلى الخليفة عمر، ثم انفذ ابن غنم هذه الشروط فيمن "أقام من الروم في مدائن الشام" وليس الجزيرة كما جاء في مطلع النص. وتختلف الرواية الثانية فتقول إن ابن غنم كتب هو نفسه هذه الشروط إلى عمر حين صالح الخليفة نصارى الشام، وليس الجزيرة هذه المرة. أما الرواية الثالثة فتنسب إلى ابن غنم الذي يقول: "كتبت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا

كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا"، هكذا وردت دون أن يسمي مدينة بعينها.

إن التضارب في هذه النصوص التي لا يمكن التوفيق فيما بينها، إلى جانب تهافت أسانيدها، يعزز اليقين بأنها جميعا موضوعة أسوء ترتيب متونها فكشفت عن زيفها. ويقوى هذا اليقين إن درست هذه المتون دراسة مقارنة مع عهود الصلح التي عقدت في مرحلة موجة الفتوحات الإسلامية الكبرى في زمن الخلفاء الراشدين إذ تكشف هذه الدراسة البون الشاسع الذي يفصل "الشروط العمرية"، التي من المفترض أن تكون قد صدرت في ذلك الزمن، عن تلك العهود من حيث الشكل والمضمون. وهذه العهود معروفة شائعة في مصادر التاريخ العربي الإسلامي، إما بنصوصها الكاملة أو أنها كان جرى تلخيصها بحيث تحافظ على مضمونها وعلى الشروط الأساسية التي تدور حولها[٧٩]. وهي تكشف جميعا عن خصيصتين: الأولى أنها من حيث الشكل تصدر عن قائد الحملة الإسلامية الذي تعامل مع المدينة المعنية بالصلح، فهو الذي يملي شروطه، مادام منتصرا، على أهلها، وهو الذي يمنحهم العهد ويصوغ مكوناته. وقد تكون مكونات العهد نتيجة مفاوضات تسبقه بين القائد المنتصر وسكان المدينة، أو ممثليهم. وهذا حدث غير مرة في أثناء الفتوح عندما كان هؤلاء الممثلون يطلبون من قادة الفتح إما أن يخففوا من بعض شروطهم التي يفرضونها على المستسلمين، كما حدث في فتح حمص عندما وافق المسلمون على أن يتركوا لأهلها أموال الروم وبنيانهم فلا يتزلوه[٨٠]، أو يطلبوا إضافة شرط على كتاب الصلح يكون متصلا بخصوصية مدينتهم، مثلما حدث عندما طلب نصارى بيت المقدس من عمر بن الخطاب حين تسلمها منهم أن يتضمن عهده شرطا بأن لا يساكنهم اليهود في المدينة[٨١]. لكن في جميع هذه الأحوال كان مبرر هذه المطاليب هو تحسين وضع الاستسلام وكانت تنطلق من مسعى المستسلمين إلى الحصول على شروط افضل مقابل استسلامهم.

وبخلاف ذلك تماما كانت "الشروط العمرية". فهي لم تصدر عن أي من قادة الفتوح، واستطرادا لم تصدر عن الخليفة عمر (باستثناء ذلك النص الذي اورده ابن تيمية وقد أشرنا إليه)، بل إن المستسلمين هم الذين تطوعوا بكتابتها على أنفسهم، ووجهوها إلى القادة المسلمين (إما إلى أبي عبيدة أو عمر بن الخطاب أو عبد الرحمن بن غنم حسب اختلاف الروايات)، والتزموا بتنفيذها إزاءهم، وطلبوا من هؤلاء القادة أن ينفذوها بهم. وربما كانت هذه هي الوثيقة الوحيدة في التاريخ التي يظهر فيها المهزوم وهو يملي شروطه على المنتصر(٨٢)، ويقر بها، طواعية، بمثل هذا الإذلال الذي تضمنته بنودها.

أما الخصيصة الثانية لعهود الصلح في مرحلة الفتوح فهي أنها كانت تكاد تسير على وتيرة واحدة في مضمونها. فكانت تتضمن، بالإجمال، تعهدا من جانب من يصدرها (من قادة المسلمين) بمنح المستسلمين الحماية و الأمان على الممتلكات والأرواح وأماكن العبادة، وضمنا إقرار المستسلمين على دينهم، كما تتضمن من ناحية أخرى إلزامهم بدفع الجزية أو الخراج، أو كليهما، بنص صريح يبين مقدارهما. وكانت هذه العهود تنص على هذا المضمون بإيجاز شديد يخلو من التفصيلات وبأسلوب مباشر يحدد "الحقوق" و "الواجبات" بأقل كلمات ممكنة. وبخلاف ذلك كان مضمون "الشروط العمرية" التي تجاوزت في تفصيلاتها وما أوردته من قضايا كل عهود الصلح المعروفة، خاصة فيما يتصل بالأزياء التي التزم المستسلمون بها، وبهيئتهم العامة من حيث أسلوب قص الشعر، وبأنواع مراكبهم، وانخفاض منازلهم عن منازل المسلمين، وبعدم التشبه بهم في كلامهم وكناهم، وعدم تعليم أولادهم القرآن، وبمنعهم من إظهار شعائرهم الدينية في مناسباتهم، وبأن يكون أمر التجارة إلى المسلمين إن شاركوهم فيها.

غير أننا نستدرك هنا فنذكر أن هناك استثنائين في هذه العهود أشارا إلى شيء من هذه التفصيلات، أحدهما يتعلق باللباس والآخر يتصل بإظهار الشعائر الدينية، وقد جاء الأول في عهد الصلح الذي أصدره خالد بن الوليد إلى نصارى أهل الحيرة حين افتتحها في عهد أبي بكر الصديق ونص – من بين أمور أخرى – على أن "لهم كل ما لبسوا من زي إلا زي الحرب من غير أن يتشبهوا بالمسلمين في لباسهم. وأيما رجل منهم وجد عليه شئ من زي الحرب سئل عن لبسه ذلك، فإن جاء بمخرج وإلا عوقب بقدر ما عليه من زي الحرب"[٨٣]. وواضح من هذا الشرط أن القصد منه هو لباس الحرب فقط، دون غيره من أشكال اللباس التي أباحها خالد للمستسلمين دون استثناء، وكان ذلك بالتأكيد لضرورات عسكرية و أمنية جعلت خالدا يميز المقاتلة المسلمين بأزيائهم الحربية من غيرهم من سكان منطقة عملياتهم. أما الاستثناء الآخر فهو المتصل بإظهار شعائر المستسلمين الدينية، وقد جاء ذلك في عهد صلح أهل الرقة (في الجزيرة) الذي اشترط عليهم فيه قائد الفتح عياض (وليس عبد الرحمن) بن غنم أن "لا يظهروا ناقوسا ولا باعوثا ولا صليبا" بعد أن أعطاهم الأمان "لانفسهم و أموالهم وكنائسهم، لا تخرب ولا تسكن، إذا أعطوا الجزية التي عليهم"[٨٤]. غير أن هذا الشرط كان استثنائيا لا يشكل قاعدة فهو لم يتكرر في غير هذا العهد من عهود الصلح، حتى تلك التي أصدرها عياض بن غنم نفسه لأهل المدن التي افتتحها بعد فتحه الرقة. فقد خلا عهد الرها من هذا الشرط وسارت على نهجه عهود حران وسميساط وقرقيسيا ونصيبين وسنجار في منطقة الجزيرة التي كانت منطقة عملياته[٨٥].

وهكذا فان هذا التباين، من حيث الشكل والمضمون، ما بين "الشروط العمرية" وبين سائر عهود الصلح التي صدرت في عهد الراشدين يشكل أساسا قويا للحكم على إن تلك "الشروط" لا تنتمي إلى ذلك العهد، وان الصيغة التي جاءت فيها قد لفقت في عصور لاحقة سوف نبين في جزء آخر من هذه الدراسة زمنها. غير أننا

ونحن الآن في صدد نقد مضمون المتون نزعم أن تلك "الشروط" لم تكن تتعارض فقط مع نصوص عهود الصلح في عهد الراشدين، بل كانت كذلك لا تتوافق مع بنية عهود الذمة التي أصدرها النبي ﷺ ولا في تعامله مع أهل الذمة.

فقد احتفظت مصادرنا بنصوص كاملة لأربعة كتب عهود كتبها النبي ﷺ لأهل الذمة كانت هي التالية: كتابه بين المؤمنين و أهل يثرب وموادعته يهودها حين قدم إلى المدينة مهاجرا إليها من مكة(٨٦)، وعهده لأهل أيلة (العقبة الحالية) بالأمان عندما كان بتبوك في السنة التاسعة للهجرة(٨٧)، وكتابه لأهل أذرح وجرباء (في جنوب بلاد الشام) بالأمان في المناسبة نفسها(٨٨)، وعهده لأهل نجران (في جنوب الجزيرة العربية) سنة عشر للهجرة حين فتحت صلحا(٨٩). والأول من هذه الكتب، والذي يعرف بصحيفة المدينة، هو أوسعها و أكثرها تفصيلا إذ كان من شأنه أن ينظم العلاقة بين الجماعات المختلفة التي كانت تعيش في المدينة عند هجرة الرسول ﷺ إليها. وفيما يتصل بيهود المدينة فقد نص على " أنه من تبعنا من اليهود فإن له المعروف والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم"، و "أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يهود بني عوف ومواليهم و أنفسهم أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم "ثم عدد سائر طوائف اليهود في المدينة وجعل حكمهم حكم يهود بني عوف. والكتاب الرابع من هذه الكتب يأتي ثانيا بعد صحيفة المدينة من حيث الحجم والتفصيل وقد فصل النبي ﷺ في القسم الأول منه الالتزامات المالية المطلوبة من أهل نجران (النصارى)، بينما بين لهم في القسم الثاني منه حقوقهم كما يلي: "لنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله، على أموالهم و أنفسهم و أرضهم وملتهم، وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم، وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير. لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته وليس عليهم دنية، ولا دم جاهلية، ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم

جيش". وأقل من هذا تفصيلا العهد الذي كتبه ﷺ ليوحنه بن رؤية صاحب أيلة وصالحه به على أداء الجزية ومنح بموجبه أهل ايلة (وكانوا من النصارى) الأمان في البر والبحر. ومثل هذا العهد الموجز كان كذلك كتابه ﷺ إلى أهل اذرح وجرباء (من النصارى أيضا) إذ تضمن نقطتين: الأمان لهم والمبلغ الذي كان عليهم أن يؤدوه إليه كل عام.

ولم تتعرض هذه العهود قط لأي من الموضوعات التي أدرجت في "الشروط". كما إنها خلت تماما من تلك الروح التي أملت كتابة "الشروط" والمليئة بالتعصب والمسكونة بهاجس الإذلال الذي أراد منشئوها ان يفرضوه على أهل الذمة. وأكثر من ذلك، يدلنا الخبر الذي تحدث عن استقبال النبي ﷺ ليحنه بن رؤبة، صاحب أيلة، عند منحه الأمان على أنه تقصد عليه الصلاة والسلام أن يشعره بكرامته وأن ينفي عنه ما قد يشعر به من إذلال. فقد روى من كان شاهدا على هذا اللقاء قائلا: "رأيت يحنه ابن رؤبة يوم أتي به إلى النبي ﷺ عليه صليب من ذهب، وهو معقود الناصية. فلما رأى النبي ﷺ كفر [بتشديد الفاء أي طأطأ رأسه] و أوما برأسه، فأومأ إليه النبي ﷺ: ارفع رأسك. وصالحه يومئذ، وكساه رسول الله ﷺ بردا يمنة، و أمر له بمترل عند بلال"(٩٠). ويلفت النظر في هذا الخبر البرد اليمني الذي كسا به النبي صاحب أيلة، وهو من أجود ما كانت العرب تكتسي به ومن أغلاه ثمنا، فجاءت "الشروط" بعد ذلك لتبتدع لأهل الذمة أزياء خاصة تخالف أزياء العرب.

وبالتأكيد لم تكن مخالفة هذه "الشروط" لما استنه النبي ﷺ في تعامله مع أهل الذمة بخافية لدى من كان مقتنعا بصحة "الشروط العمرية". لكنهم برروا ذلك بأن الظروف التي كانت في عهد عمر اختلفت عن تلك التي كانت في زمن النبي ﷺ. ويظهر ذلك واضحا في نظرة ابن القيم إلى مسألة الغيار (إلزام غير المسلمين بلبس ما يغاير ملابس المسلمين) فهو يقر بأن رسول الله ﷺ "لم يلزمهم بالغيار ولا خليفته من

بعده أبو بكر الصديق"، إلا أنه يبرر ذلك بأنه "لم يكن إلزامهم بالغيار إذذاك ممكنــــا، لأن المسلمين لم يكونوا قد استولوا على أهل الكتاب وقهروهم و أذلوهــم وملكــوا بلادهم، بل كانت أكثر بلادهم لهم، وهم فيها أهل صلح وهدنة، فكان المقدور عليــه إذ ذاك أمر المسلمين مخالفتهم بحسب الإمكان". ومع تغير الظروف أي "لمــا فتــح الله على المسلمين أمصار الكفار وملكهم ديارهم و أموالهم وصاروا تحت القــهر والــذل وجرت عليهم أحكام الإسلام الزمهم الخليفة الراشـــد (عمــر بــن الخطــاب)... بالغيار"[٩١]. وهذا التبرير، وهو غير مقنع في أي حال، يسئ مــن حيــث لا يقصــد صاحبه بالتأكيد إلى مقام رسول الله بتصويره وكأنه كان يخفي مقاصده، أو بأنه كــان غير متمكن من تطبيق شريعته.

وإذا كانت "الشروط العمرية" تتعارض مع ما استنه النبي من تعامل مع أهــل الذمة فهي استطرادا غريبة تماما عن النهج الذي نهجه الخليفة عمر في علاقته معــهم. وخير مثال يوضح هذا النهج الكتاب الذي كتبه أمير المؤمنين لأهــل إيليــاء (بيــت المقدس)، وهو ما يعرف بالعهدة العمرية أو عهد ايلياء، عندما استسلمت له شــخصيا وصالح أهلها على ما تضمنه من شروط. والكتاب الذي وثقه الطبري[٩٢]، وتــأكدت نسبته إلى عمر بن الخطاب[٩٣]، يؤسس نظاما فقهيا متكاملا لمكانة أهــل الذمــة في الدولة الإسلامية (وهم هنا في هذا المثل نصارى إيلياء) قائما علــى التعــهد بصيانــة حريتهم الدينية فــ "لا يكرهون على دينهم"، وعلى توفير الأمــان لهــم "لأنفســهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم... [و] لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منــها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا شئ من أموالهم... ولا يضار أحد منهم"، مقــابل الجزية يتعهدون بدفعها اعترافا منهم بسيادة الدولة. وبعيد ما بين هذا النظــام الــذي أرسى دعائمه عمر وما تضمنته الشروط المنسوبة إليه، أكان ذلــك في روحــها أم في نصها. وهذا التباين كان قد فطن إليه قبلنا محمد حسين هيكل وتوصل إلى الاقتناع بأن

"عمر كان بريئا" مما نسب إليه من هذا الذي تضمنته الشروط، وكان "ساميا عليه غاية السمو" وهو يرى أن ذلك كان فعل عصور متأخرة ظهرت فيها مساوئ الحكم كما ظهر فيها متعصبون ودعاة تعصب، فأضيفت إلى الفاروق عن عمد كل ما حدث في تلك العصور "من مساوئ أو مظاهر التعصب"(٩٤).

وهكذا فإن النتيجة التي يؤدي إليها فحص المتن، وهي ما أفضى إليها أيضا فحص الأسانيد، هي القول باطمئنان إن الوثيقة المعروفة بالشروط العمرية ليس لها صلة بالخليفة عمر بن الخطاب، كما إنها لا تنتمي إلى زمنه. غير إننا نستدرك هنا بالتساؤل، ومن باب الجدل المقصود به الوصول إلى اليقين بشأنها، عما إذا لم يكن للوثيقة أصل تاريخي صدرت عنه، إذ نفي الصيغ المختلفة التي ظهرت فيها في المصادر التي أوردتها لا يرتب بالضرورة نفيا مماثلا لوجود أصل أولي لها وقد فصلت الوثيقة على قده فجاءت لتحكيه وإن بصيغة انحرف بها واضعوها عن صيغته الأولية وإن لم يخلوا بمضمونه، ثم أضافوا إليه أمورا لم تكن موجودة فيه.

وهذا الذي يمكن أن يعد أصلا أوليا، وهو ما سوف يكون موضع الفحص هنا، هو مواقف من أهل الذمة نسبت لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهي في الوقت نفسه لها مثيل في وثيقة "الشروط العمرية"، و كأن الأخيرة هي امتداد للأولى أو تنويع على جوهرها. وتنحصر هذه المواقف بهذه الصفة (من حيث أنها قد تعد أصلا أوليا أسست عليه "الشروط") في ما روي عما كتبه الخليفة إلى عماله (أو أمرهم به) بشأن ما يجب ان يفرضوا على أهل الذمة من مغايرة للمسلمين في أمور ثلاثة: ازيائهم، وهيئتهم العامة، وركوبهم. وهذه هي جوهر الروايات المختلفة التي يمكن، جدلا، أن تكون قد بنيت حول نواتها "الشروط العمرية" وان موسعة وبما فيها من إضافات. وقد وردت هذه النقاط الثلاث في غير مصدر. فأبو يوسف، قاضي هارون الرشيد، يوضح للخليفة العباسي ضرورة" ان لا يترك أحد منهم [من أهل الذمة] يتشبه بالمسلمين في

لباسه ولا في مركبه ولا في هيئته، ويؤخذوا بأن يجعلوا في أوساطهم الزنارات، مثل الخيط الغليظ يعقده في وسطه كل واحد منهم، وبأن تكون قلانسهم مضربة، وأن يتخذوا على سروجهم في موضع القرابيس مثل الرمانة من خشب، وبأن يجعلوا شراك نعالهم مثنية، ولايحذوا على حذو المسلمين، وتمنع نساؤهم من ركوب الرحائل... ولتكن قلانسهم طوالا مضربة"، وهو يطلب من الرشيد ان يأمر عماله بأن يأخذوا أهل الذمة بهذا الزي، لانه "هكذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر عماله أن يأخذوا أهل الذمة بهذا الزي"[٩٥].

وفي روايات أخرى نقرأ أن عمر رضي الله عنه كتب إلى الأمصار أن "تجز نواصيهم – يعني النصارى – ولا يلبسوا ألبسة المسلمين حتى يعرفوا"[٩٦]. كما نقرأ أن عمر أمر "أن تجز نواصي أهل الذمة، وان يشدوا المناطق، وان يركبوا الأكف بالعرض"[٩٧]. كذلك روي أن عمر أمر أهل الذمة أن يركبوا على الأكف عرضا... ولا يركبوا كما يركب المسلمون"، وانه كان "يكتب إلى عماله يأمرهم ان يركب أهل الذمة في شق شق"[٩٨]. وروي أيضا أن الخليفة كتب إلى عماله "ان لا تكاتبوا أهل الذمة فتجري بينكم وبينهم المودة، ولا تكنوهم، و أذلوهم ولا تظلموهم، ومروا نساء أهل الذمة أن يعقدن زناراتهن ويرخين نواصيهن، ويرفعن عن سوقهن حتى يعرف زيهم من المسلمات، فإن رغبن عن ذلك فليدخلن في الإسلام طوعا أو كرها"[٩٩].

إن فحص هذه الروايات يقودنا في البداية إلى الالتجاء للمصادر الأساسية في التاريخ التي كنا قد رجعنا إليها للتثبت من صحة تاريخية "الشروط العمرية" وقد كانت وردت في مطلع الجزء الخاص بنقد المصادر والأسانيد في هذه الدراسة. ويتبين من هذه المصادر خلوها التام من أي ذكر لتلك "الأوامر" المنسوبة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب فيما يتصل بالتعامل مع أهل الذمة والتي تضمنتها الروايات المدرجة في الفقرة السابقة. وتتساوى في ذلك تلك المصادر كافة بإطلاق. فلا يعرفها من أصحاب

التواريخ العامة كل من خليفة بن خياط واليعقوبي والطبري والمسعودي وابن الأثير والذهبي والسيوطي، كما لا يعرفها من أصحاب كتب الفتوح كل من الواقدي والازدي والبلاذري وابن أعثم، ولا أصحاب التراجم والطبقات من مثل ابن سعد والبلاذري (مرة أخرى) وأبي نعيم الاصفهاني، كما لا يشير إلى هذه "الأوامر" كل من الشافعي والماوردي(١٠٠).

إن هذه المصادر إن أخذت مجتمعة، وبحيث يكمل بعضها بعضا، لم تدع صغيرة أو كبيرة من أخبار الخليفة إلا أوردها، وخلوها من تلك "الأوامر" المنسوبة إلى عمر يعد أساسا للاطمئنان إلى أن الخليفة الراشد الثاني لم يكن هو صاحبها. كما ان غيابها عن هذه المصادر الأساسية وذات المكانة العالية في معرفة التاريخ العربي الإسلامي يفضي إلى الاستنتاج بأن أصحابها لم يعتدوا بالروايات التي تضمنت هذه الأوامر، من باب عدم الثقة بها، فلم يلتفتوا إليها فيما جمعوا من أخبار عن أمير المؤمنين عمر، و لم يدرجوها بالتالي في جملة مروياتهم عنه. وعدم الثقة يؤكده لنا تماما فحص هذه الروايات بمختلف الأسانيد التي وردت فيها والتي تظهر متهافتة يتبين تلفيقها بوضوح.

وقد تمكنا من حصر سبع روايات – هي الوحيدة فيما نرجح – التي تضمنت أخبارا عن "أوامر" عمر. إحدى هذه الروايات لا قيمة لها إطلاقا إذ يطلقها صاحبها أبو يوسف، قاضي الرشيد، جزافا دون أن يقرنها، كعادته في الروايات الأخرى التي حفل بها كتابه الموسوم **كتاب الخراج**، بالأسانيد التي تعزز الثقة بها. فهو يكتفي بالقول: "هكذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر عماله.." دون أن يبين كيف وصل إليه هذا الخبر(١٠١). أما الروايات الست الأخرى فقد جعلت لها أسانيد، وهي تشترك في خصيصة عامة إشتملتها جميعا هي أن أسانيدها تضمنت ثقات عدولا، لكن كان إلى جانبهم مجهولون ومبهمون ووضاعون ومنكرو حديث. ومثل هذا الجمع

الشاذ كان قد التفت إليه العلماء المشتغلون بالحديث النبوي الشريف وتصدوا له بشدة فقد أدركوا أن إدراج الثقات والعدول في مثل هذه السلاسل من الروايات إنما القصد منه إضفاء مصداقية على الرواية، هي لا تستحقها لما فيها من علل تنفيها من الأساس، وإيهام المتلقين بصحة أسانيدها[١٠٢]. والروايات التي نحن بصددها الآن تقع تماما في هذه الزمرة التي استخدم فيها الرواة الثقات وسيلة للإيهام بالمصداقية. وفحص الأسانيد يبين ذلك تماما.

إن أربعا من هذه الروايات مركزها عبيد الله بن عمر فيما يرويه عن نافع عن اسلم، (أو عن نافع عن عبد الله بن عمر) عن عمر بن الخطاب[١٠٣]. وهذا الراوي هو عبيد الله بن عمر بن عاصم بن عمر بن الخطاب ولد نحو سنة سبعين للهجرة وتوفي إما سنة ١٤٥ أو ١٤٧هـ، وقد وصف بأنه إمام مجود حافظ ثقة[١٠٤]. غير أن سلاسل الأسانيد في الروايات الأربع التي تنطلق من هذا الإمام الحافظ تضطرب جميعا وتبين أنها لفقت مستخدمة اسمه لتوحي بالثقة وبالمصداقية. فاثنتان من هذه الروايات منقطعتان ولا نعرف أسانيدهما وبذلك لا تستحقان اهتماما. ففي إحداهما يكتفي ابن قيم الجوزية بالقول "ذكر عبيد الله [بن عمر] عن نافع عن ابن عمر عن عمر"[١٠٥] دون أن يعني نفسه بذكر أسانيده. أما الأخرى فيرويها ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ عن عبد الرحمن بن مهدي عن عبيد الله بن عمر. وعبد الرحمن بن مهدي حافظ وثقه غير واحد من علماء الحديث[١٠٦]، غير انه عاش بين سنة ١٣٥ و ١٩٨ هـ ولا نعلم كيف انتقلت روايته إلى ابن قيم الجوزية الذي عاش بعده بنحو من ستة قرون. كذلك فان عبد الرحمن بن مهدي لم يلتق عبيد الله بن عمر الذي كانت وفاته سنة ١٤٥ أو ١٤٧هـ.

أما الروايتان الأخريان فتسير إحداهما كما يلي: "قال الخلال في الجامع... حدثنا يحيى بن جعفر بن أبي عبد الله بن الزمرقات حدثنا يحيى بن الكسر حدثنا عبيد

الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر..."[١٠٧]. والخلال هو أبو بكر احمد بن محمد بن هارون الخلال، فقيه حنبلي توفي سنة ٣١١هـ[١٠٨]. غير ان يحيى بن جعفر مجهول تماما، وهو حكم ينطبق أيضا على يحيى بن الكسر الذي لم نجد له أثرا في أي من مصادرنا. و إذا كان قد وقع تصحيف في اسم هذا الشخص فإن اقرب الأسماء إليه هو يحيى بن السكن المتوفى سنة ٢٠٢هـ، وقد قالوا عنه "انه يكذب... ولا يسوى فلسا"[١٠٩].

أما الرواية الثانية فتسير كما يلي: "قال أبو القاسم أخبرنا علي بن عمر اخبرنا إسماعيل بن محمد حدثنا عباس الدوري حدثنا خالد بن مخلد عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن عمر.."[١١٠]. وأبو القاسم هو هبة الله بن الحسن المعروف باللالكائي توفي سنة ٤١٨هـ وهو صاحب كتاب عن "شروط عمر" وكنا أشرنا إليه قبل[١١١]. غير أنا لم نتمكن من التعرف على علي بن عمر الذي يروي عنه أبو القاسم إذ عاصره ثمانية أشخاص على الأقل يحملون هذا الاسم[١١٢]. وإسماعيل بن محمد هو المعروف بأبي على النحوي الذي عاش بين ٢٤٨ و ٣٤١هـ وقد وثقه الدارقطني[١١٣]. غير أن السلسلة بعد هذا تعتروها العلل. فعباس الدوري هو أبو الفضل عباس بن محمد الدوري عاش بين ١٨٥ و ٢٧١هـ وقد وثقه بعض العلماء إلا أن أبا جعفر الطبري يقول عنه: "رأيت عباس بن محمد متنبذا [من النبيذ] والحيطان تضربه"[١١٤]. ويصل الإسناد إلى خالد بن مخلد الذي يروي الخبر عن عبيد الله بن عمر. وهو أبو الهيثم خالد بن مخلد القطواني البجلي الكوفي المتوفى سنة ٢١٣هـ فهو لم يلق بذلك عبيد الله بن عمر المتوفى سنة ١٤٥ أو سنة ١٤٧. وفوق ذلك فقد عده علماء الحديث جميعا من جملة الضعفاء، وقال عنه الإمام ابن حنبل إن "له أحاديث مناكير"، ووصفه ابن سعد في الطبقات بأنه "كان منكر الحديث"، بينما يخبرنا الجوزجاني بأنه "كان شتاما معلنا بسوء مذهبه"[١١٥].

والى جانب هذه الروايات الأربع التي كان محورها عبيد الله بن عمر نقرأ روايتين أخريين بأسانيد حلقتها العليا الخليفة عمر بن الخطاب نفسه لكنهما كلتيهما لا تقلان خطلا عن الأربع السابقات. في الأولى منهما تسير السلسلة كما يلي فيما يروي ابن القيم: "حدثنا أبو يعلى عن ابن بهر حدثنا عبد الله بن إدريس عن عبد الرحمن بن إسحاق عن خليفة بن قيس عن خالد بن عرفطة قال: كتب عمر..."[١١٦]. وفي هذه السلسلة صحابي هو خالد بن عرفطة (ت. سنة ٦١هـ)[١١٧]، وراوية وثقه العلماء هو عبد الله بن إدريس (١١٥-١٩٢هـ)[١١٨]. وبخلاف هذين تضطرب السلسلة وتتكاثر فيها العلل. فأبو يعلى مجهول، وهو بالتأكيد ليس القاضي أبا يعلى محمد بن الحسين الفراء صاحب كتاب الأحكام السلطانية، إذ توفي هذا سنة ٤٥٨هـ بينما كانت وفاة ابن القيم الذي سمع الخبر منه سنة ٧٥١هـ. كذلك ابن بهر مجهول ومثله خليفة بن قيس الذي لم نجد له أثرا في جميع المصادر[١١٩]، ولا نظن ان هناك تصحيفا وقع بالاسم إذ يرد اسمه في رواية أخرى بالرسم نفسه وسوف نشير إليها بعد قليل. والى جانب هؤلاء المبهمين هناك عبد الرحمن بن إسحاق الذي عده ابن القيم نفسه ضعيفا كما ضعفه الأمام ابن حنبل[١٢٠].

أما الرواية الأخرى فتسير كما يلي: "قال عبد العزيز حدثنا القاسم حدثنا النضر بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن خليفة بن قيس قال: قال عمر..."[١٢١]. وهذا عبد العزيز هو أبو بكر عبد العزيز بن جعفر الذي يعرف بغلام الخلال وكان من شيوخ الحنابلة وقد توفي سنة ٣٦٣هـ[١٢٢]، غير أن القاسم مبهم، أما النضر بن إسماعيل فقد كان قاصا من أهل الكوفة قدم بغداد فحدث فيها إلا انه لم يكن يحفظ الإسناد، ووصفه علماء الحديث بأنه ضعيف وقال عنه يحيى بن معين ليس حديثه بشيء وهو ليس بشيء[١٢٣]. ويبقى في هذه السلسلة عبد الرحمن بن إسحاق

الذي ضعفه علماء الحديث كما أسلفنا، وخليفة بن قيس المجهول تماما كما مر في الفقرة السابقة.

وهكذا، فإن ما يمكن استخلاصه باطمئنان من هذا العرض هو أن الروايات جميعا عن الأوامر المنسوبة للخليفة عمر بن الخطاب الخاصة بالتعامل مع أهل الذمة واضحة التلفيق ولا يمكن الثقة بها. وإذا اقترنت هذه الحقيقة مع حقيقة سبق تبيانها عن غياب هذه الأوامر عن المصادر الأساسية التي أشير إليها سابقا والتي حفلت بأخبار الخليفة، فيصح القول عندئذ، وباطمئنان أيضا، بان الخليفة لم يصدر أيا من هذه الأوامر المزعومة وهو بريء منها تماما. وترتيبا على ذلك، فإن هذه الأوامر – غير الموجودة من الأساس – لا يمكن التفكير بها لتكون أصلا أوليا لما يسمى بالشروط العمرية وكأنها اشتقت من ذلك الأصل، أو كأنها كانت تنويعا عليه أو تفريعات منه. وبذلك فإن البحث عن أصول "الشروط العمرية" ينبغي أن يتجاوز عهد عمر بن الخطاب إلى عصور لاحقة، صيغت فيها هذه الشروط ووضعت لها الأسانيد.

متابعة تاريخية للأصول:

النصوص الأولى التي نلقاها في التاريخ مشابهة بمضمونها لمحتويات "الشروط العمرية" تعود إلى عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (استخلف من ٩٩ – ١٠١هـ). فقد أوردت بعض المصادر أخبارا عنه أنه كتب إلى عماله يأمرهم بأخذ أهل الذمة بلبس الغيار، مع تفصيلات توضح شكل الملابس التي طلب فرضها عليهم، و إلزامهم بجز نواصيهم، ومنعهم ونسائهم من الركوب على السروج [١٢٤]. والتدقيق في هذه الكتب المنسوبة لعمر بن عبد العزيز يبين حقيقتين: الأولى أن نصوص هذه الكتب خلت تماما من أية إشارة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ما يمكن أن يفهم منها أن الخليفة الأموي قد أسس أوامره على أي من هذين المصدرين الرئيسيين

من مصادر التشريع في الإسلام. والثانية إنها لم يرد فيها ذكر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب باعتباره مرجعا تشريعيا، إن صحت الشروط التي نسبت اليه، يسند إليه عمر ابن عبد العزيز النظام الذي سنه.

ونرى أن تلك كانت هي البداية – في عهد عمر بن عبد العزيز وليس في عهد عمر بن الخطاب. ويمكن أن نفهم تاريخية هذه الأوامر التي أصدرها الخليفة الأموي إن وضعت في إطار السياسة الدينية المتشددة التي اتبعها والزم بها نفسه والدائرة المحيطة به من أعضاء البيت الحاكم وعماله وغالى بها في النظام الذي سنه فيما يتصل بالتعامل مع أهل الذمة.

وسوف ننتظر نحوا من قرن إلى أن نجد من خليفة آخر شيئا مماثلا لما قام به عمر بن عبد العزيز. كان ذلك هو الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد (استخلف من ١٧٠ – ١٩٣هـ). فقد ذكر عنه أنه أمر في سنة ١٩١ هـ بهدم الكنائس بالثغور. كما أمر بأخذ أهل الذمة بمدينة السلام (بغداد) بمخالفة هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم[١٢٥]. ولا تذكر مصادرنا في الحقيقة تفصيلات أخرى عن هذه الأوامر وعن كيفية تنفيذها، هذا أن نفذت فعلا. لكنا نعلم أن القاضي أبا يوسف كان في الكتاب الذي صنفه للرشيد بعنوان **الخراج** قد طلب من الخليفة أن يأمر عماله بأخذ أهل الذمة بلبس زي يخالف أزياء السلمين لأنه "هكذا كان عمر بن الخطاب رضي الله أمر عماله أن يأخذوا أهل الذمة بهذا الزي"[١٢٦]. غير أن مصادرنا تخلو من أية إشارة تدل على أن الرشيد قد استجاب لنصيحة قاضيه أو أدخلها ضمن اهتماماته السياسية طوال الفترة الطويلة من تاريخ تأليف هذا الكتاب (ونحن نجهل في الحقيقة سنة تأليفه ولكنا نعرف أن أبا يوسف توفي سنة ١٨٢ هـ) إلى أن كان أمره في سنة ١٩١ هـ بأخذ أهل الذمة في بغداد بلبس الغيار. وهكذا نرى أن هذا الإجراء الذي اتخذه الخليفة في هذه السنة الأخيرة كان منبت الصلة بفقه أبي يوسف، وانه لجأ إلى

هذا الإجراء لأسباب أخرى نبحث عنها في تصاعد حدة المواجهة بين دولة الخلافة في عهد الرشيد وبين البيزنطيين حيث شهدت جبهة القتال بين الطرفين، خاصة منذ سنة ١٨٧ هـ، معارك عنيفة واضطرابات عسكرية واسعة واختراقات متبادلة و أسرى من جانب الطرفين بأعداد كبيرة، لم يكن لها جميعا مثيل منذ أن آلت الخلافة لبني العباس في سنة ١٣٢هـ[١٢٧]. وفي ظل هذه الأجواء المضطربة والمتوترة يمكن فهم الإجراءات التي اتخذها الرشيد على أنها كانت – من جانب – ذات طبيعة سياسية عندما أمر بهدم الكنائس في الثغور (ومن الملاحظ أن هذا الأمر اقتصر على هذه المنطقة وحدها) كإجراء انتقامي لما قام به البيزنطيون من أعمال تخريبية في المناطق الإسلامية التي كانوا يهاجمونها، كما كانت – من جانب آخر – ذات بعد أمني عندما أمر بأن يخالف أهل الذمة بهيئاتهم هيئة المسلمين (في بغداد فقط وهو أمر جدير بالانتباه) احترازا من أن يندس في عاصمة الدولة جواسيس من بيزنطة.

غير أن ذلك لا يلغي التفكير بان تكون أجواء الحرب الإسلامية – البيزنطية بما انطوت عليه آنذاك من عنف واتساع قد وجدت لها صدى في مواقف معادية تجاه النصارى من أهل الذمة الذين يجمعهم بالبيزنطيين دين واحد، لتتسع هذه المواقف فتشمل أهل الذمة جميعا. وفي ضوء هذا التفكير يمكن تفسير "المشروع" الذي اقترحه الإمام الشافعي المعاصر لهذه التطورات (كانت وفاته سنة ٢٠٤هـ) لما ينبغي أن يكون عليه كتاب الصلح الذي يكتبه الخليفة على النصارى والذي جاء فيه: "... على أن ليس لكم أن تظهروا في شيء من أمصار المسلمين الصليب، ولا تعلنوا الشرك، ولا تبنوا كنيسة ولا موضع مجتمع لصلاتكم، ولا تضربوا بناقوس، ولا تظهروا قولكم بالشرك في عيسى بن مريم ولا في غيره لأحد من المسلمين، ولا تلبسوا الزنانير من فوق جميع الثياب، الاردية وغيرها، حتى لا تخفى الزنانير، وتخالفوا بسروجكم وركوبكم،

وتباينوا بين قلانسكم وقلانسهم [= المسلمين] بعلم تجعلونه بقلانسكم، وأن لا تأخذوا على المسلمين سروات الطرق ولا المجالس في الأسواق"(١٢٨).

ويلاحظ على هذا "المشروع" انه لا يزيد عن كونه رأيا رآه صاحبه، فقد ورد في بدايته التعبير التالي: "إذا أراد الإمام أن يكتب كتاب صلح على الجزية كتب...". وهو إلى ذلك لم يؤصله في الكتاب والسنة إذ لم يسند الأحكام التي أطلقها إلى أي نص في هذين المصدرين التشريعيين. كما يلاحظ انه لم يشر قط إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب وإن كان بعض مضمونه يلتقي بخطوطه العريضة وببعض ألفاظه مع تضمنته فيما بعد الوثيقة المسماة "الشروط العمرية".

وقد جاءت المرحلة التالية التي مهدت لوضع هذه "الشروط" زمن الخليفة العباسي العاشر جعفر المتوكل (استخلف من ٢٣٢ – ٢٤٧هـ). ففي سنة ٢٣٥هـ أمر "بأخذ النصارى، و أهل الذمة كلهم، بلبس الطيالسة العسلية والزنانير، وركوب السروج بركب الخشب، وبتصيير كرتين على مؤخرة السروج، وبتصيير زرين على قلانس من لبس منهم قلنسوة مخالفة لون القلنسوة التي يلبسها المسلمون، وبتصيير رقعتين على ما ظهر من لباس مماليكهم مخالف لونهما لون الثوب الظاهر الذي عليه... ولونهما عسلي، ومن لبس منهم عمامة فكذلك يكون لونها العسلي، ومن خرج من نسائهم فبرزت فلا تبرز إلا في أزار عسلي، و أمر بأخذ مماليكهم بلبس الزنانير وبمنعهم من لبس المناطق، و أمر بهدم بيعهم المحدثة... وأمر أن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب مسمورة تفريقا بين منازلهم وبين منازل المسلمين، ونهى أن يستعان بهم في الدواوين و أعمال السلطان التي يجري أحكامهم فيها على المسلمين، ونهى ان يتعلم أولادهم في كتاتيب المسلمين ولا يعلمهم مسلم، ونهى ان يظهروا في شعانينهم صليبا، وان يشمعلوا في الطريق..."، وكتب إلى عماله في الآفاق كتابا بذلك يلزمهم فيه بتنفيذ ما أمر(١٢٩).

ومن العبث أن نبحث في نص كتاب المتوكل عن مرجع، لن نجده، عاد إليه في القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة وإستتباعا في أخبار الخليفة عمر بن الخطاب، يستقي منه هذه الأحكام التي صاغها و أمر عماله أن ينفذوها. ومع هذا يقول ابن تيمية أن المتوكل قد "استشار في ذلك [في إجراءاته الخاصة بأهل الذمة] الإمام احمد بن حنبل وغيره، وعهوده في ذلك وجوابات أحمد بن حنبل له معروفة"(١٣٠). غير إنا لم نجد، في الحقيقة، تفصيلات شافية عن مضمون هذه الاستشارة التي أشار إليها ابن تيمية باستثناء ما أورده ابن قيم الجوزية(١٣١) نقلا عن الخلال صاحب كتاب أحكام أهل الملل، الذي أشرنا إليه قبل، الذي يذكر أن المتوكل لما ألزم أهل الكتاب "بشروط عمر" استفتى علماء وقته في هدم الكنائس والبيع، فأجابوه فبعث بأجوبتهم إلى الإمام احمد، فأجابه بهدم كنائس سواد العراق. ونعلم من هذا الخبر أن العلماء الذين استفتوا كانوا قد اختلفوا فيما بينهم، ولم يكن في أولئك الذين كتبوا أجوبتهم أحد يحتج بالحديث إلا من سماه الخبر أبا الحسن الزيادي. وقد رأى ابن حنبل، عندما عرضت الأجوبة عليه، أن أحاديث الزيادي ضعاف، فأسند هو حكمه إلى قول منسوب لعبد الله بن عباس (وليس حديثا نبويا) نص على أن "أيما مصر مصرته العرب فليس للعجم أن يبنوا فيه كنيسة، ولا يضربوا فيه ناقوسا، ولا يشربوا فيه خمرا، و أيما مصر مصرته العجم ففتحه الله على العرب فإن للعجم ما في عهدهم، وعلى العرب أن يوفوا بعهدهم، ولا يكلفوهم فوق طاقتهم". وهذا هو الأثر الوحيد، فيما نعرف، الذي اتخذ حجة لإضفاء الشرعية الدينية على أحكام المتوكل.

غير أنا نذهب في تفسير هذه الأحكام مذهبا مختلفا لا نجد له أساسا في الدين. فبداية لم يؤثر عن هذا الخليفة العباسي التزام بأحكام الدين تجعله حريصا على التشدد بتطبيقه، على نفسه من جهة وعلى المجتمع الذي يقف على قمته السياسية من جهة أخرى. فانغماسه في الملذات الحسية الذي وصل حد الإفراط، ومجاهرته بالسكر

والعربدة، وتحويل بلاطه إلى مسرح لهو وتهريج، وإرهاقه بيت المال بما أنفقه على قصوره المترفة من أموال جاوزت كل حد(١٣٢)، كل ذلك يسقط تماما أي ادعاء عن أن المتوكل كان يصدر في أحكامه عن قاعدة دينية أو عن حرص على تطبيق الشرع، حتى وان كان قد ظنه كذلك، عندما أمر بأخذ أهل الذمة بهذه الأحكام العجيبة.

وهذا يفضي بنا إلى البحث عن أسباب "دنيوية" كانت وراء ما اتخذه من أحكام. ونجد هذه الأسباب، بإيجاز، في إطار الصراع على السلطة بين المتوكل وقادة الترك الذين كانوا سببا في تعيينه بالمنصب بعد وفاة سلفه الواثق دون أن يسمي وريثا له، فكانوا ينتظرون منه، وهم أولياء نعمته، الانصياع لهم والسير في ركابهم، بينما كان هو يناضل لتحرير إرادته من أسرهم، ويبحث عن قاعدة له شعبية توفر له الحماية والشرعية. وقد وجد أن ذلك كان ممكنا إن أظهر نفسه للناس في صورة من يرتدي لباس المدافع عن الدين القويم والمنافح عن المذهب السني، فكان أن حمله ذلك إلى أقصى حالات المغالاة والتطرف والتعصب(١٣٣) التي أخذت بطريقها المعتزلة الذين تصدى لزعمائهم بالإقصاء والإبعاد(١٣٤)، والشيعة الذين تعامل معهم بقسوة طاغية(١٣٥)، وأيضا أهل الذمة الذين فرض عليهم تلك الأحكام التي سلف ذكرها. ويبدو أن المتوكل نجح، بسياسته هذه، في تكوين رأي عام متعاطف معه، فنجد أحد مصادرنا يقول إنه شاع بين الناس القول بـ "أن الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق [الذي] قاتل أهل الردة حتى استجابوا له، وعمر بن عبد العزيز [الذي] رد مظالم بني أمية، والمتوكل [الذي] محا البدع وأظهر السنة"(١٣٦). غير أن ذلك لم يحمه من مؤامرة دبرها ضده قادة الترك بالتعاون مع أحد أبنائه (محمد المنتصر) أسفرت عن مقتله وتنصيب الابن خليفة.

وقد توسعنا، نسبيا، في تحليل موقف المتوكل لأننا نرجح بقوة أن تكون "الشروط العمرية" قد صيغت بصورتها النهائية في عهده. فأجواء التعصب والمغالاة

والتطرف التي غذاها ليست بعيدة عن مضمون هذه الوثيقة وأغراضها، بل نراها أحد تجلياتها وتعبيرا مباشرا عنها فيما يخص أهل الذمة. غير ان هناك دليلا ماديا يدعم هذا الرأي تاريخيا. فأول ظهور موثق للوثيقة، فيما استطعنا تحريه، كان كما أشرنا إليه في موضع سابق من هذه الدراسة، في كتاب **أحكام أهل الملل** للخلال الفقيه الحنبلي المتوفى سنة ٣١١هـ. وإذا كنا لا نعرف يقينا متى صنف الخلال كتابه هذا، فقد كان بالتأكيد في تاريخ قريب من عهد المتوكل الذي قتل سنة ٢٤٧هـ. و إلى هذا فإن الرواية التي يرويها الخلال عن "الشروط العمرية"[١٣٧] ينقلها مباشرة عن الربيع بن ثعلب الذي توفي سنة ٢٣٨هـ[١٣٨]، أي في عهد المتوكل، بينما يسند الربيع روايته، مباشرة أيضا، إلى يحيى بن عقبة بن أبي العيزار الذي رماه العلماء بالكذب و لم يوثقه أحد منهم[١٣٩].

وهكذا يتأكد اليقين بأن "الشروط العمرية"، بمتنها وإسنادها، كانت من نتاج عصر المتوكل. وقد لفق المتن من عناصر شتى وضعت جميعا في قالب واحد. فليس من المستبعد أن يكون واضعوها قد نظروا في رأي الإمام الشافعي، الذي سبق ذكره هنا اعلاه، بخصوص "المشروع" الذي اقترحه ليكون أساسا لعقود الصلح يجريها الخليفة مع أهل الذمة. فالألفاظ المتشابهة في النصين توحي بان واضعي "الشروط" اقتبسوا أشياء مما في ذلك الرأي. كذلك فهم ادخلوا في الوثيقة بعضا مما حفلت به الروايات — التي لفقت هي أيضا كما بينا — عن "أوامر" عمر بن الخطاب بخصوص أهل الذمة. فكثير من الألفاظ والمحتويات هنا وهناك تتشابه أيضا. وهم أيضا نظروا بالتأكيد في الإجراءات التي اتخذها عمر بن عبد العزيز بحق أهل الذمة وفي الكتاب الذي كتبه هذا الخليفة لعماله بشأنهم، فأخذوا منه نصوصا لا تبعد بمحتواها عن تلك التي أدرجت في "الشروط". ونرى أن اسم عمر بن عبد العزيز قد استبدل به اسم عمر بن الخطاب فجعل هو صاحب هذه الوثيقة لتعزيز الصفة التشريعية لها باعتبار أن هذا الخليفة

الراشد يعد مصدرا رئيسيا من مصادر التشريع الإسلامي لا يقلل من أهميته فنسبت إليه "الشروط" لإضفاء قوة الإلزام عليها(١٤٠).

ومثل هذا الخلط بالأسماء ينطبق كذلك على عبد الرحمن بن غنم الذي أقحم اسمه في "الشروط العمرية" بأن جعل له دور مركزي دارت حوله الروايات التي أوردها. وقد بينا قبل – في هذه الدراسة – انه لم يكن لهذا الفقيه التابعي علاقة من قريب أو بعيد بالفتوح التي تمت في عهد عمر، واستطرادا لم تكن له على جلالة قدره المكانة السياسية أو العسكرية أو الإدارية التي تجعله مؤهلا للمخاطبة بشأن عقود الصلح. ونرى أن اسم عبد الرحمن بن غنم اختلط باسم آخر يشبهه في مقطعه الأخير هو عياض بن غنم (الصحابي المتوفى سنة ٢٠هـ) فهو فاتح الجزيرة في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكان من فتوحاته في هذه المنطقة حران والرها والرقة وقرقيسيا ونصيبين وسنجار(١٤١). ويبدو من المرجح أن اسم هذا الفاتح قد استبدل في الروايات باسم عبد الرحمن بن غنم. وما يعطي هذا الترجيح قوة ان بعض الروايات التي أوردت "الشروط العمرية" جعلت "أهل الجزيرة" هم المعنيين بها (وليس أهل الشام كما في روايات أخرى)(١٤٢)، وهي التي كانت منطقة العمليات العسكرية لعياض فأشبه الأمر أو اختلط على واضعي الخبر فنسبوه إلى عبد الرحمن بن غنم. ويعزز هذا الرأي اكثر أن كتاب الصلح الذي كتبه عياض بن غنم لاهل الرقة في الجزيرة تضمن بندا يشبه مضمونه بعض ما ورد في "الشروط العمرية" اشترط فيه على أهل الرقة "إلا يحدثوا كنيسة ولا بيعة ولا يظهروا ناقوسا ولا باعوثا ولا صليبا"(١٤٣) ، فكان ذلك بعض ما دخل في "الشروط العمرية"، لكن مع خلط بين الاسمين – عبد الرحمن بن غنم وعياض بن غنم.

خلاصة:

إن منهج النقد الصارم الذي طبق في هذه الدراسة على متن "الشروط العمرية" وأسانيدها قد أفضى إلى هذه النتيجة المحققة التي كشفت عن بطلان نسبة هذه الوثيقة إلى الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب. وتتساوى هذه النتيجة مع أخرى تؤكد أن ليس للوثيقة أصول تعود إلى عهد هذا الخليفة اشتقت منها أو بنيت عليها. فالأصول تعود بتاريخها إلى عصور متأخرة عن زمن عمر، بدءا من عهد عمر بن عبد العزيز فما بعده من مراحل تاريخية متعاقبة كانت تتشكل، وتتطور، في أثنائها بفعل أحد عاملين أو فعلهما معا: معطيات السياسة التي كانت تسود في كل مرحلة والنزعات المتعصبة التي كانت ترافقها أو تزحف خلفها. وقد وصل هذا التطور غايته حوالي منتصف القرن الثالث الهجري عندما جمعت أشتات هذه الأصول و أدمجت في نص واحد هو ما عرف منذ ذاك بالشروط العمرية.

حواشي البحث

١. انظر: **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية**، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي (لا ناشر ولا تاريخ)، الجزء ٢٨، ص.ص.٦٥١-٦٥٤.

٢. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابي بكر (ابن قيم الجوزية)، **أحكام أهل الذمة**، الطبعة الثانية، قسمان، تحقيق صبحي الصالح (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١).

٣. ابن تيمية، **المصدر المذكور**، ص.ص. ٦٥٤-٦٥٥.

٤. أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم، **كتاب الخراج** (بيروت: دار المعرفة، لا تاريخ)، ص.١٢٧.

٥. انظر أمثلة على ذلك لدى كل من: علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي، **أخبار عمر** (دمشق: مطابع دار الفكر، ١٩٥٩)، ص.ص. ٢٩٩ – ٣٠١؛ عبد العزيز سيد الأهل، **الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز**، الطبعة الثالثة (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٩)، ص. ١٨٣، علي حسني الخربوطلي، **الإسلام وأهل الذمة** (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٩)، ص.ص. ٧٩ – ٨٠.

٦. عباس محمد العقاد، **عبقرية عمر**، في: **المجموعة الكاملة**: **العبقريات الإسلامية** (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٤)، المجلد الأول، ص.ص. ٤٦٨ – ٤٧٢.

٧. انظر مقدمة صبحي الصالح لـ: ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الاول، ص. ٤٦.

٨. اعتمادا على ما وردت لدى كل من : أبو محمد عبد الله بن محمد بن قدامة، **المغني**، تصحيح محمد خليل دراس (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، لات)، الجزء التاسع،

ص.ص. ٣٤٥-٣٤٦؛ ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص.ص. ٦٥٧-٦٦٣، ابن تيمية، **المصدر المذكور**، ج٢٨، ص.ص.٦٥١-٦٥٣، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، **تهذيب تاريخ دمشق الكبير**، تهذيب وترتيب عبد القادر بدران، الطبعة الثانية (بيروت: دار المسيرة، ١٩٧٩)، الجزء الأول، ص.ص. ١٥٠، ٢٧٩؛ شهاب الدين محمد بن احمد الابشيهي، **المستطرف في كل فن مستظرف** (بيروت: دار الندوة الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، لات)، المجلد الاول، ص. ١٧٠؛ محمد بن الوليد الطرطوشي، **سراج الملوك**، تحقيق جعفر البياتي (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٠)، ص.ص. ٤٠١-٤٠٢.

٩. انظر تفصيلات هذه الأحكام لدى: ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص.ص. ٦٦٦-٧٨٨.

١٠. انظر: **المصدر نفسه**، ص.ص. ٦٨٥، ٦٩٠، ٧٤١-٧٤٢، ٧٥٧-٧٥٨؛ وأبو يوسف، **المصدر المذكور**، ص.ص. ١٢٧-١٢٨.

١١. ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، ص.ص. ٧٣٩.

١٢. **نفسه**، ص. ٧٥٢.

١٣. **نفسه**، ص. ٧٥٥.

١٤. **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية (بيروت: دار القلم ومؤسسة الرسالة، ١٩٧٧)، ص.ص. ١٢٢-١٥٦ حيث ترد فيها أخبار الخليفة عمر بن الخطاب مرتبة على السنين.

١٥. أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي** (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٠)، المجلد الثاني، ص ص. ١٣٩-١٦١، المخصصة لأيام عمر بن الخطاب.

١٦. محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الطبري – تاريخ الأمم والملوك** (بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٥)، ص.ص. ٢١٥-٤٣١، التي ترد فيها أخبار عمر بن الخطاب مرتبة على السنين.

١٧. ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، الطبعة الخامسة، تحقيق محيي الدين عبد الحميد (بيروت دار الفكر، ١٩٧٣)، الجزء الثاني، ص.ص. ٣١٢-٣٣٩، المخصصة لخلافة الفاروق عمر؛ والمؤلف نفسه، **التنبيه والإشراف**، (بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٩٨١)، ص.ص. ٢٦٦-٢٦٩، التي خصصت لخلافة عمر.

١٨. عز الدين علي بن محمد المعروف بابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق كارلوس يوهانس تورنبرغ (إبريل، ١٨٦٨، طبعة مصورة: بيروت: دار صادر، ١٩٧٩)، المجلد الثاني، ص.ص. ٤٢٥-٥٣٠، المجلد الثالث، ص.ص. ٥-٦٥ التي يرد فيها أخبار عمر والحوادث في عهده.

١٩. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧)، مجلد عهد الخلفاء الراشدين، ص.ص. ١٢٣-١٣٠، ١٣٩-١٤٥، ١٥٧-١٦٦، ١٦٩-١٧٠، ١٨٥-١٩٠، ١٩٧-٢٠٠، ٢٢٣-٢٢٨، ٢٤١-٢٤٢، ٢٤٩-٢٥٠، ٢٥٣-٢٨٤، التي أورد فيها الذهبي أخبار الخليفة عمر وما وقع في عهده من حوادث.

٢٠. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (لان ولات)، ص.ص. ١٠٨-١٤٦، التي تضمنت أخبار الخليفة عمر.

٢١. محمد بن عمر الواقدي (منسوبا إليه)، **فتوح الشام**، قدم له عمر أبو النصر (بيروت: المكتبة الأهلية، ١٩٦٦).
٢٢. محمد بن عبد الله الأزدي، **تاريخ فتوح الشام**، تحقيق محمد عبد الله عامر، (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، تاريخ المقدمة، ١٩٧٠).
٢٣. أبو الحسن البلاذي، **فتوح البلدان** (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٣)، ص.ص. ١١١-١٩٢، التي ورد فيها أخبار فتوح الشام والجزيرة.
٢٤. أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، **كتاب الفتوح**، مراقبة محمد عبد المعين خان (حيدر اباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٨)، الجزء الاول، ص.ص. ١٥٧-١٦١، ١٧٤-١٩٥، ٢١٤-٢٧١، ١٨٩-٣١٨، التي يرد فيها أخبار فتوح الشام والجزيرة.
٢٥. ابن سعد، **الطبقات الكبرى** (بيروت: دار صادر، ١٩٨٥)، حيث ترد ترجمة الخليفة عمر في الصفحات ٢٦٥-٣٧٦.
٢٦. **الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما برواية البلاذي في أنساب الأشراف**، تحقيق إحسان صدقي العمد (الكويت: دار الشراع العربي، ١٩٨٩)، حيث تمتد سيرة الخليفة عمر على الصفحات ١٣٥-٤١٦.
٢٧. أبو نعيم احمد بن عبد الله الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، الطبعة الخامسة (القاهرة: دار الريان للتراث وبيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧)، المجلد الأول، الجزء الأول، حيث تمتد أخبار عمر على الصفحات ٣٨-٥٥.
٢٨. أبو الفرج ابن الجوزي، **تاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه**، تقديم وتعليق أسامة عبد الكريم الرفاعي (دمشق: دار إحياء علوم الدين، تاريخ مقدمة التحقيق، ١٣٩٤هـ).

٢٩. أبو عبد الله محمد بن أدريس الشافعي، **الأم** (القاهرة: دار الغد العربي، ١٩٩٠)، المجلد الرابع، ص.ص. ٢٤٢-٣٠٦.

٣٠. **المصدر نفسه**، ص.ص. ٢٨١-٢٨٣.

٣١. أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، **الاحكام السلطانية والولايات الدينية** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥)، ص.ص. ١٨٤-١٨٥.

٣٢. ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص. ٦٦١.

٣٣. انظر ترجمته في: صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، **كتاب الوافي بالوفيات**، الطبعة الثانية، باعتناء محمد يوسف نجم (فيسبادن: دار النشر فرانز شتايتر، ١٩٨١)، الجزء الثامن، ص٩٩.

٣٤. ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص. ٧٤١؛ وراجع حاشية المحقق صبحي الصالح في الصفحة نفسها.

٣٥. **المصدر نفسه**، ص. ٧٤٤.

٣٦. هو أبو القاسم هبة الله بن الحسن (أو الحسين) بن منصور الرازي، وهو طبري الأصل ويعرف باللالكائي ، قدم بغداد فاستوطنها وصنف عددا من الكتب، وتوفي بالدينور سنة ٤١٨هـ. انظر ترجمته لدى: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام** (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت)، المجلد ١٤، ص ص. ٧٠-٧١.

٣٧. أبو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي، **السنن الكبرى** (حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٦هـ)، الجزء التاسع، ص٢٠٢.

٣٨. الطرطوشي، **المصدر المذكور**، ص. ٤٠١.

٣٩. ابن عساكر، **المصدر المذكور**، المجلد الأول، ص ص. ١٥٠، ١٧٩.

٤٠. ابن قدامة، **المصدر المذكور**، الجزء التاسع، ص ص. ٤٤٥-٤٤٦.

٤١. ابن تيمية، **المصدر المذكور**، الجزء ٢٨، ص ص. ٦٥١-٦٥٣. كذلك: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، الطبعة الخامسة، تحقيق ناصر بن عبد الكريم العقل (الرياض: مكتبة الرشيد وشركة الرياض للنشر والتوزيع، ١٩٩٦)، المجلد الأول، ص ص. ٣٢٥-٣٢٦. وأيضا: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي المعروف بابن تيمية، **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص. ٢٠٨.

٤٢. ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص.ص. ٦٥١-٦٥٣.

٤٣. الابشيهي، **المصدر المذكور**، الجزء الأول، ص. ١٧٠.

٤٤. ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص.ص. ٦٥٧-٦٦٣.

٤٥. ابن قدامة، **المصدر المذكور**، الجزء التاسع، ص. ٣٤٥.

٤٦. انظر ترجمته في: عز الدين بن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، تاريخ الطبعة الأولى، ١٣٧٧هـ)، الجزء الثالث، ص.ص. ٣١٨-٣١٩؛ شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، تاريخ الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ)، الجزء الثاني، ص.ص. ٤١٧-٤١٨، الجزء الثالث، ص.ص. ٩٧-٩٨؛ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، الطبعة السابعة، تحقيق شعيب الارنؤوط ومأمون الغرجي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠)، الجزء الرابع، ص.ص. ٤٥-٤٦.

٤٧. البلاذري، **المصدر المذكور**، ص.ص. ١٤٦-١٤٧.

٤٨. **المصدر نفسه**، ص. ١٤٦، ويذكر الطبري، **المصدر المذكور**، المجلد الثاني، ص. ٣٠١، أن قائد الفتح كان خالد بن الوليد بإمرة أبي عبيدة.

٤٩. انظر تواريخ فتوح الشام والجزيرة ووقائعها لدى: الطبري، **المصدر المذكور**، المجلد الثاني، ص.ص. ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٩، ٢١٨، ٢٢١، ٣٠٠-٣٠٦، ٣٣٥-٣٣٨، ٣٤٤.

٥٠. ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص.ص. ٦٥٧-٦٥٨.

٥١. انظر ترجمته وتعديله لدى: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام** (بيروت: دار الكتاب العربي، دت)، المجلد التاسع، ص.ص. ٣٧٥-٣٧٦.

٥٢. كأمثلة على ذلك لم نجد هذا الاسم لدى كل من: الخطيب البغدادي، **المصدر نفسه**، المجلد ١١، أسماء عيسى، ص.ص. ١٤٢-١٨٠؛ الحافظ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، **ذكر اسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم**، دراسة وتحقيق بوران الضناوي وكمال يوسف الحوت (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٥)، الجزء الأول، باب حرف العين، ص.ص. ١٨٩-٢٨٩؛ أحمد بن محمد ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، تاريخ مقدمة المحقق، ١٩٧٣)، المجلد الثامن، أسماء عيسى في فهرست الأعلام، ص.ص. ١٧٣-١٧٤؛ عبد الكريم بن محمد السمعاني، **الأنساب**، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي (بيروت: دار الجنان، ١٩٨٨)، الجزء الثاني، لقب الحمصي، ص.ص. ٢٦٣-٢٦٤.

٥٣. انظر الحاشية رقم (١)، ص. ٦٥٨ في: ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني.

٥٤. انظر ترجمته لدى: ابن أيبك الصفدي، **المصدر المذكور**، الجزء ١٣ باعتناء محمد الحجيري، ص. ١١٤.

٥٥. انظر ترجمته لدى: ابن عساكر، **المصدر المذكور**، الجزء الثالث، ص.ص. ٤٢-٤٣.

٥٦. ابن قدامة، **المصدر المذكور**، الجزء التاسع، ص.٣٤٥.

٥٧. ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص.٦٦١.

٥٨. هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري الكوفي، كان إماما في علم الحديث، وأحد الأئمة المجتهدين، عاش بين سنتي ٩٧ و ١٦١هـ. انظر ترجمته لدى: ابن خلكان، **المصدر المذكور**، المجلد الثاني، ص.ص. ٣٨٦-٣٩١.

٥٩. هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمذاني، تابعي من أهل اليمن لقي عمر بن الخطاب فسماه مسروق بن عبد الرحمن، وقد توفي سنة ٦٣هـ، انظر ترجمته لدى: الخطيب البغدادي، **المصدر المذكور**، المجلد ١٣، ص.ص. ٢٣٢.

٦٠. ابن تيمية، **المصدر المذكور**، الجزء ٢٨، ص.٦٥١، ويلاحظ الخطأ في اسم مسروق، فكما أشرنا في الحاشية السابقة فهو مسروق بن الاجدع (أو عبد الرحمن) ابن مالك، بينما ورد لدى ابن تيمية باسم مسروق بن عبد الرحمن بن عقبة، فان كان كذلك فهذا الاسم ليس له وجود.

٦١. ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص. ٦٦٢.

٦٢. انظر ترجمة الربيع بن ثعلب لدى: الخطيب البغدادي، **المصدر المذكور**، المجلد الثامن، ص. ٤١٨.

٦٣. انظر ترجمته لدى ابن أيبك الصفدي، **المصدر المذكور**، الجزء ١٦، ص.ص. ٤٨٣-٤٨٤.

٦٤. لم يذكره على سبيل المثال كل من الخطيب البغدادي، راجع أسماء الوليد في المجلد ١٣، ص.ص. ٤٣٩-٤٥٠؛ **والذهبي في سير أعلام النبلاء**، راجع فهارسه في المجلد ٢٥، ص. ٤٩٣، وأسماء الوليد فيها.

٦٥. البيهقي، **المصدر المذكور**، الجزء التاسع، ص. ٢٠٢.

٦٦. لا نجد له أثرا لدى كل من: إسماعيل بن ابراهيم البخاري، **كتاب التاريخ الكبير** (بيروت: مؤسسة دار الكتب الثقافية، تاريخ مقدمة الناشر، ١٩٦٨)، راجع المجلد الرابع، ص.ص. ٢٧٤-٢٧٦، وأسماء السري فيها؛ والذهبي في **سير أعلام النبلاء**، راجع أسماء السري في الفهارس، المجلد ٢٥، ص. ١٩٥؛ وجمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، الطبعة الرابعة، تحقيق بشار عواد معروف (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥)، المجلد العاشر، ص.ص. ٢٣١-٢٣٥، وأسماء السري فيها.

٦٧. انظر ترجمته وآراء العلماء فيه (ومنهم يحيى بن معين وأبو داود وأبو زرعة والنسائي) لدى: الخطيب البغدادي، **المصدر المذكور**، المجلد ١٤، ص.ص. ١١٢-١١٣.

٦٨. ابن عساكر، **المصدر المذكور**، الجزء الاول، ص. ١٧٩؛ الطرطوشي، **المصدر المذكور**، ص. ٤٠١؛ الابشيهي، **المصدر المذكور**، ص. ١٧١.

٦٩. ابن قيم الجوزية ، **المصدر المذكور**، ص.ص. ٦٦٣-٦٦٤. وقد أثار هذا تعجب الدكتور صبحي الصالح من هذا القول فعلق في حاشيته على النص بما يلي: "من العجب أن يقول العالم السلفي الكبير ابن القيم في موضوع خطير كهذا الموضوع التاريخي التشريعي: إن شهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها! ومتى كانت الاستفاضة دليل الصحة؟ ومن الذي يسوغ للعلماء – حتى المحققين منهم – أن يستغنوا عن إسناد الروايات تعويلا على شهرتها فقط؟"

٧٠. ابن عساكر، **المصدر المذكور**، الجزء الأول، ص. ١٧٩.

٧١. ابن عساكر، **المصدر المذكور**، الجزء الأول، ص.١٧٩.

٧٢. انظر ترجمته دون تحديد سنة وفاته لدى: البخاري، **المصدر المذكور**، المجلد السابع، ص. ٣.

٧٣. ابن عساكر، **المصدر المذكور**، الجزء الأول، ص.ص. ١٥٠ – ١٥١.

٧٤. ابن قدامة، **المصدر المذكور**، الجزء التاسع، ص.ص. ٣٤٥-٣٤٦.

٧٥. ابن تيمية، **المصدر المذكور**، الجزء الثامن والعشرون، ص. ٦٥١.

٧٦. انظر نص عهد صلح إيلياء لدى: الطبري، **المصدر المذكور**، المجلد الثاني، ص. ٣٠٥.

٧٧. أورد خليفة بن خياط، **المصدر المذكور**، ص. ١٣٥، خبر رحلتين أولاهما التي صالح فيها أهل إيلياء سنة ١٦هـ، والثانية وصل فيها إلى سرغ ما بين الحجاز وجنوب بلاد الشام وعاد منها دون أن يدخل بلاد الشام. وذكر الطبري، **المصدر المذكور**، المجلد الثاني، ص. ٣٤٠ أن الخليفة أتى الشام أربع مرات، مرتين في سنة ١٦هـ ومرتين في سنة ١٧هـ وأنه لم يدخلها في الأولى من الأخيرتين. وأورد ابن عساكر، **المصدر المذكور**، الجزء الأول، ص.ص. ١٧٥-١٧٦.أن عمر قدم بلاد الشام ثلاث مرات، أولاها سنة ١٦هـ عندما صالح بيت المقدس، والثانية عندما وصل إلى سرغ سنة ١٧، والثالثة سنة ١٨هـ حيث اجتمع بالجند وأمرائهم. أما الذهبي، **المصدر المذكور**، ص.ص. ١٦٢، ١٦٥، فيورد خبر الرحلتين، رحلة صلح إيلياء والرحلة غير المكتملة إلى سرغ.

٧٨. انظر نصوص الروايات الثلاث لدى: ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص.ص. ٦٥٧-٦٦٣.

٧٩. انظر عهود صلح بلاد الشام والجزيرة، بنصوصها أو مجتزأة لدى: البلاذري، **المصدر المذكور**، ص.ص. ١١٩، ١٢٤، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٦، ١٤٨، ١٧٤، ١٧٥؛ أبو عبيد القاسم بن سلام، **كتاب الأموال**، شرح عبد الأمير علي مهنا

(بيروت: دار الحداثة، د.ت.)، ص. ٢١٦؛ الطبري، **المصدر المذكور**، المجلد الثاني، ص.ص. ٢٢٠، ٢٢٢، ٣٠٠، ٣٠٥. وعن بنية العهود وأسلوبها انظر: وداد القاضي، "مدخل إلى دراسة عهود الصلح الإسلامية في زمن الفتوح"، في: **بلاد الشام في صدر الإسلام: الندوة الثانية من أعمال المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام**، تحرير محمد عدنان البخيت وإحسان عباس (عمان: الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك، ١٩٨٧) ص.ص. ١٩٣-٢٦٩.

٨٠. الطبري، **المصدر المذكور**، ص. ٣٠٠.

٨١. محمد بن عبد المنعم الحميري، **كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٥)، ص. ٦٩. وانظر نص عهد عمر في: الطبري، **المصدر المذكور**، المجلد الثاني، ص. ٣٠٥.

٨٢. وقد فطن إلى هذه المفارقة قبلنا الدكتور صبحي الصالح فعلق في حواشيه على ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص. ٦٦٢، حاشية ٢، بالقول: "لا يسعنا إلا أن نبدي استغرابنا من اشتراط المغلوبين على الغالب ما يرتضونه من شروط كأن الغالب في حاجة إلى موادعتهم، أما هم فيملون شروطهم عليه إن قبل أن يوادعوه".

٨٣. أبو يوسف، **المصدر المذكور**، ص. ١٤٤.

٨٤. البلاذري، **المصدر المذكور**، ص. ٢٧٤.

٨٥. **المصدر نفسه**، ص.ص. ١٧٤ — ١٧٥.

٨٦. أبو عبيد، **المصدر المذكور**، ص.ص. ٢١٢-٢١٤.

٨٧. محمد بن عمر الواقدي، **كتاب المغازي**، تحقيق مارسدن جونسن (الطبعة الأولى لندن: مطبعة جامعة اكسفورد، ١٩٦٥، الطبعة الثالثة مصورة بيروت: عالم

الكتب، ١٩٨٤)، الجزء الثالث، ص. ١٠٣١؛ أبو عبيد، **المصدر المذكـــور**، ص. ٢٠٩.

٨٨. الواقدي، **المصدر المذكور**، الجزء الثالث، ص. ١٠٣٢؛ ابن عســاكر، **المصــدر المذكور**، الجزء الأول، ص.١١٦.

٨٩. البلاذري، **المصدر المذكور**، ص. ٧٢؛ أبو يوسف، **المصدر المذكور**، ص. ٧٢.

٩٠. الواقدي، **المصدر المذكور**، الجزء الثالث، ص.ص. ١٠٣١-١٠٣٢. وقارن بما جاء عن هذه الكسوة عند ابن عساكر، **المصدر المذكور**، الجـزء الأول، ص. ١١٦، إذ يذكر أن النبي ﷺ أعطى أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أمانا لهم.

٩١. ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص. ٧٥٦. كذلك انظر الصفحة ٧٤٧ حيث يرد مثيل لهذا التبرير.

٩٢. الطبري، **المصدر المذكور**، المجلد الثاني، ص.ص. ٣٠٤-٣٠٥.

٩٣. انظر دراستنا عن ذلك الموسومة: "العهدة العمرية: حقائق التاريخ ضد الافتراضات والشكوك"، **مجلة البصائر**، المجلد الثـالث، العـدد الأول (أذار ١٩٩٩)، ص.ص. ٢٩-٦٠.

٩٤. محمد حسين هيكل، **الفاروق عمر** (القاهرة: مطبعة مصر، ١٣٦٤ هـ)، الجـزء الأول، ص.ص. ٢٦٠-٢٦١.

٩٥. أبو يوسف، **المصدر المذكور**، ص. ١٢٧.

٩٦. ابن تيمية، **الاقتضاء**، **المصدر المذكور**، المجلد الأول، ص.ص. ٣٢٧-٣٢٨؛ وابـن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص. ٧٤٣.

٩٧. ابن قيم الجوزية، **المصدر نفسه**، ص.ص. ٧٤٣-٧٤٤.

٩٨. **نفسه**، ص. ٧٥٧.

٩٩. ابن تيمية ، **الاقتضاء**، **المصدر المذكور**، المجلد الأول، ص. ٣٢٨.

١٠٠. انظر توثيق هذه المصادر في حواشي الجزء الثاني من هذه الدراسة.

١٠١. أبو يوسف، **المصدر المذكور**، ص. ١٢٧.

١٠٢. من الدراسات الحديثة التي تعمقت في ذلك كتاب: صبحي الصالح، **علوم الحديث ومصطلحاته: عرض ودراسة**، الطبعة الخامسة (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٩).

١٠٣. انظر هذه الروايات الأربع لدى: ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص.ص. ٧٤٣-٧٤٤، ٧٤٩، ٧٥٧.

١٠٤. الذهبي، **المصدر المذكور**، الجزء السادس بتحقيق شعيب الأرنؤوطي وحسين الأسد، ص.ص. ٣٠٤ – ٣,٧.

١٠٥. ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص. ٧٥٧.

١٠٦. انظر ترجمته لدى: الخطيب البغدادي، **المصدر المذكور**، المجلد ١٠، ص.ص. ٢٤٠-٢٤٨.

١٠٧. ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص.ص. ٧٤٣ – ٧٤٤.

١٠٨. ترجمته لدى: ابن أيبك الصفدي، **المصدر المذكور**، الجزء ٨، ص. ٩٩.

١٠٩. الخطيب البغدادي، **المصدر المذكور**، المجلد ١٤، ص. ١٤٦.

١١٠. ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص. ٧٤٩.

١١١. انظر الحاشية، رقم ٣٤أعلاه.

١١٢. انظرهم لدى : الخطيب البغدادي، **المصدر المذكور**، المجلد ١٢، ص.ص. ٣٣-٤٣.

١١٣. **نفسه**، المجلد ٦، ص.ص. ٣٠٢-٣٠٤.

١١٤. **نفسه**، المجلد ١٢، ص.ص. ١٤٤-١٤٦.

١١٥. انظر جمال الدين المزي، **المصدر المذكـــور**، المجلــد ٨، ص.ص. ١٦٣-١٦٤. وأيضا الذهبي، **المصدر المذكور**، الجزء العاشر بتحقيق شعيب الارنؤوطي ومحمـــد نعيم العرقسوسي، ص.ص. ٢١٧-٢١٨.

١١٦. ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص.٧٤٣. وقارن بابن تيميـــة، **الاقتضاء**، **المصدر المذكور**، الجزء الأول، ص.ص. ٣٢٧-٣٢٨.

١١٧. خليفة بن خياط شباب العصفري، **كتاب الطبقات**، الطبعة الثانية، تحقيق أكـــرم ضياء العمري (الرياض: دار طيبة للنشـــر والتوزيـــع، ١٩٨٢)، ص.ص. ١٢٢، ١٢٦، ١٣٩.

١١٨. ترجمته لدى: الخطيب البغدادي، **المصدر المذكـــور**، المجلــد ٩، ص.ص. ٤١٥-٤٢١.

١١٩. من أمثلة هذه المصادر التي روجعت بحثا عن هذا الاسم: أبو نعيـــم الأصفـــهاني، **المصدر المذكور**؛ الذهبي، **المصدر المذكور**؛ الخطيب البغدادي، **المصدر المذكـــور**؛ ابن أيبك الصفدي، **المصدر المذكور**؛ أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلـــي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** (بيروت المكتب التجاري للطباعة والنشـــر والتوزيع، لات).

١٢٠. انظر: ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص.٦٤٣.

١٢١. **نفسه**، ص. ٧٦٢.

١٢٢. ترجمته لدى: الخطيب البغدادي، **المصدر المذكور**، المجلد العاشر، ص.ص. ٤٥٩-٤٦٠.

١٢٣. **المصدر نفسه**، المجلد ١٣، ص.ص. ٤٣١-٤٣٤.

١٢٤. راجع نصوص الكتب التي تضمنت أوامر الخليفة لعماله لـــدى: أبـــو يوســـف، **المصدر المذكور**، ص.ص. ١٢٧-١٢٨؛ ابن عساكر، **المصدر المذكور**، الجـــزء

الأول، ص.١٨١؛ ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص.ص. ٧٤١-٧٤٣، ٧٥٧.

١٢٥. الطبري، **المصدر المذكور**، المجلد الرابع، ص. ٤٨٨.

١٢٦. أبو يوسف، **المصدر المذكور**، ص. ١٢٧.

١٢٧. انظر تطورات المواجهة على الجبهة البيزنطية خلال السنوات من ١٨٧ هـ إلى ١٩١هـ، سنة ان اتخذ الرشيد إجراءه بلبس الغيار، لدى: الطبري، **المصدر المذكور**، المجلد الرابع، ص.ص. ٤٨٠، ٤٨٣، ٤٨٦-٤٨٨.

١٢٨. الشافعي، **المصدر المذكور**، ص.٢٨٣.

١٢٩. الطبري، **المصدر المذكور**، المجلد الخامس، ص.ص. ٨٧-٨٩، حيث ورد نص الكتاب مع تفصيلات عن هذه الأوامر.

١٣٠. ابن تيمية، **الاقتضاء، المصدر المذكور**، الجزء الأول، ص. ٣٣٠.

١٣١. ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص.ص. ٦٨٥-٦٨٦، ٦٩٢-٦٩٣.

١٣٢. استفاضت المصادر التاريخية في وصف هذه الصورة للمتوكل، من ذلك أنه كان قبل أن يلي الخلافة يظهر "في زي المخنثين"، الطبري، **المصدر المذكور**، المجلد الخامس، ص. ٨٠، ابن الأثير، **المصدر المذكور**، المجلد السابع، ص. ٣٧؛ وانه بعد أن استخلف "كان له أربعة آلاف سرية وطئهن كلهن"، المسعودي، **المروج**، الجزء الرابع، ص. ١٢٢. كما أن أخبار سكره وعربدته تشيع في هذه المصادر بكثرة، ومنها الطبري، **المصدر المذكور**، المجلد الخامس، ص.ص. ١١٠، ١١٤، ١١٥؛ وابن الأثير، **المصدر المذكور**، المجلد السابع، ص.ص. ٤٣، ٤٦؛ والمسعودي، **المصدر المذكور**، الجزء الرابع، ص. ١٢٠. كذلك فقد استفاضت هذه المصادر في الأخبار عن إسرافه وتبذيره في بناء قصوره المترفة، ومن ذلك انه

انفق على الهاروني والجوسق الجعفري اكثر من مئة ألف ألف درهم، المسعودي، **المصدر المذكور**، الجزء الرابع، ص.١٢٢؛ كما انفق على البرج ألف ألف وسبع مئة ألف دينار، اليعقوبي، **المصدر المذكور**، الجزء الثاني، ص.٤٩١؛ وعلى الماحوزة ألفي ألف دينار، الطبري، **المصدر المذكور**، المجلد الخامس، ص. ١٠٧. أما بلاطه فيصفه المسعودي، **المصدر المذكور**، الجزء الرابع، ص. ٨٦، بأنه "لم يكن أحد ممن سلف من خلفاء بني العباس ظهر في مجلسه اللعب والمضاحك والهزل مما قد استفاض في الناس تركه إلا المتوكل. فإنه السابق إلى ذلك والمحدث له... ولم يكن في وزرائه والمتقدمين من كتابه وقواده من يوصف بجود ولا إفضال، أو يتعالى عن مجون وطرب".

١٣٣. فطن بعض القدماء إلى هذه الصورة التي ظهر فيها المتوكل في لباس التعصب، فقال عنه السيوطي، **المصدر المذكور**، ص. ٣٤٧ "كان المتوكل معروفا بالتعصب".

١٣٤. انظر تفصيلات مواقف المتوكل من المعتزلة في مصادر التاريخ جميعا، خاصة: المسعودي، **المصدر المذكور**، الجزء الرابع، ص.٨٦؛ اليعقوبي، **المصدر المذكور**، الجزء الثاني، ص.ص. ٤٨٤-٤٨٥؛ ابن خلكان، **المصدر المذكور**، المجلد الاول، ص. ٦٤؛ الطبري، **المصدر المذكور**، المجلد الخامس، ص.ص. ٦٩-٧١؛ ابن الاثير، **المصدر المذكور**، المجلد السابع، ص. ٦٥.

١٣٥. أوردت مصادرنا صورا وتفصيلات متعددة عن سياسة المتوكل إزاء الشيعة، انظر على سبيل المثال: أبو الفرج الأصفهاني، **مقاتل الطالبين**، تحقيق السيد احمد صقر (بيروت: دار المعرفة، لات)، ص.ص. ٥٩٧-٥٩٩، ٦٠٠-٦٣٣؛ الطبري، **المصدر المذكور**، المجلد الخامس، ص.ص. ٩٢، ٩٤؛ ابن الأثير، **المصدر المذكور**،

المجلد السابع، ص.ص. ٥٣-٥٥؛ ابن خلكان، **المصدر المذكور**، المجلد السادس، ص.ص. ٣٩٥-٣٩٦؛ السيوطي، **المصدر المذكور**، ص.ص. ٣٤٧-٣٤٩.

١٣٦. الخطيب البغدادي، **المصدر المذكور**، المجلد السابع، ص. ١٧٠.

١٣٧. كما وردت هذه الرواية عند ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص. ٦٢٢.

١٣٨. انظر ترجمة الربيع بن ثعلب لدى: الخطيب البغدادي، **المصدر المذكور**، المجلد الثامن، ص. ٤١٨.

١٣٩. انظر رأي العلماء فيه في ترجمته لدى: **المصدر نفسه**، المجلد ١٤، ص.ص. ١١٢-١١٣.

١٤٠. وكان الدكتور صبحي الصالح قد نبه، قبلنا، إلى هذا الخلط بين اسمي الخليفة الراشد والخليفة الأموي، فهو في عرضه للخبر الذي تحدث عن الأوامر المنسوبة إلى عمر بن الخطاب بخصوص إلزام أهل الذمة بالغيار يوضح انه " من المحتمل أن تكون نسبة الخبر إلى عمر صحيحة، بيد أن نسبته إلى سميه الخليفة الأموي عمر ابن عبد العزيز تبدو أصح وأثبت، فقد عرف سميه هذا بالتشدد مع الذميين فيما فرضه من القيود على أزيائهم وجميع تصرفاتهم"؛ انظر مقدمته لإحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الأول، ص. ٣٠.

١٤١. البلاذري، **المصدر المذكور**، ص. ١٧٥.

١٤٢. ابن قدامة، **المصدر المذكور**، الجزء التاسع، ص. ٣٤٥؛ ابن قيم الجوزية، **المصدر المذكور**، القسم الثاني، ص. ٦٥٨.

١٤٣. البلاذري، **المصدر المذكور**، ص. ١٧٤.

المنحنى العقائدي للتربية البيئية

أ.د. محمد الصباريني

كلية التربية – جامعة اليرموك (الأردن)

د. احمد السقاف

قسم التربية – جامعة حضرموت (اليمن)

ملخص

تأتي هذه الدراسة استجابة لدعوات المربين البيئيين لتحديد مرتكزات لاساس فلسفي جديد تبنى عليه علاقة الانسان بالبيئة وتتبناه التربية البيئية ليكون موجها لاهدافها وغاياتها باعتبارها الجانب التربوي القادر على اعداد الانسان البيئي (Ecolate) المتمثل للاخلاقيات الضرورية اللازمة للممارسة البيئية العقلانية والمسؤولة. وتركز الدراسة على المنحى العقائدي للتربية البيئية كأحد مرتكزات الاساس الفلسفي المطلوب، نظراً لارتباط كل من الدين والاخلاق بعضها ببعض بحيث اصبح كل منهما معبراً عن الاخر، فضلاً عن ان الدين قد لازم البشرية منذ نشأتها، فالحس الديني يكمن في اعماق كل قلب بشري. وتناولت الدراسة الاخلاقيات البيئية في ابرز المعتقدات البيئية الوضعية والسماوية، باعتبار ان ذلك يشكل المنحى العقائدي للتربية البيئية التي يجب ان تستثمر تلك القوى الدافعة والمؤثرة للعقائد في سلوك الناس تجاه البيئة. واوضحت الدراسة في تناولها للمنحى العقائدي ان جل المعتقدات

الدينية لدى مختلف الشعوب اكدت الحاجة للاخلاقيات البيئية، وكانت بمثابة محددات عقائدية وفلسفية وجهت علاقة الانسان بالبيئة طيلة مراحل التطور البشري ما قبل المرحلة الصناعية، حيث ادى اعتناق الثقافة المادية عقب الثورة الصناعية إلى ضياع الكثير من تلك الاخلاقيات وطمسها تحت غطاء مبررات التقدم والتحضر والتنمية.

وخلصت الدراسة إلى اقتراح مجموعة مبادئ تسهم في وضع الاساس الفلسفي المطلوب للتربية البيئية، كما اوصت الدراسة بجملة توصيات إلى الباحثين في مجال التربية البيئية وواضعي سياسات واستراتيجيات التربية البيئية النظامية وغير النظامية، تحثهم على الاستفادة من المنظومات الاخلاقية لمختلف المجتمعات، والثقافات والاديان بما يساعد على بناء اساس اخلاقي عالمي يكفل احترام البيئة واحترام الانسان وكرامته.

The Doctrinal Approach of Environmental Education

Mohammed Subbarini
Yarmouk University, Jordan
Ahmed Al- Saqqaf
Hadramout University, Yemen

Abstract

It has become apparent that the pattern of the relationship between man and the environment needs to be altered in a way that necessitates the search for a new philosophical foundation for Environmental Education.

On the doctrinal level, the study points out that all religious beliefs have stressed the need for environmental ethics and have thus provided doctrinal and philosophical parameters within which man's relationship with his environment is to be channeled. This is the case through out pre- industrial revolution, the emergence of material culture led to the dissipation and even obliteration of a large portion of this religious ethics, all in the name of progress, urbanization and development.

This study had outlined the consequences of an absent solid philosophical foundation to direct Environmental Education. This has thus suffered from uncertainty as a result of being linked with environmental problems and dominated by utilitarianism. This study touched on some of the attempts to break this deadlock and salvage Environmental Education.

The study concludes with proposing three basic points of departure qualified to inform a contemporary environmental philosophy. The first of these elements

subsumes a comprehensive view of environment in all its aspects including man. The level of knowledge and awareness is determined by this view to ensure comprehensiveness and value – relatedness.

The second basic element caters to the doctrinal orientation. These gives man the right to use environmental resources in his capacity as the custodian of these resources on this earth.

The third element or point of departure, finally, has to do with moral perspective. Here, it is assumed that man must be guided by environmental ethics enshrined in the religious texts and the traditions of peoples. Such ethics ensures that a balance is struck between the environment and the activities of man. The study argues that the moral concept developed in Islam could be taken as the main elements suitable for such an orientation.

The study puts before decision-makers a number of recommendations. These revolve around the following:

- Environmental Education is an integral part of the activities of man. This type of education is on- going, transcending the regulation of time and place.
- The need for depth and universality in dealing with the causes of the environmental crisis.
- The need to utilize the moral systems of different societies, cultures and religions, in order to establish a global moral basis for one global family in one global home.

خلفية الدراسة وهدفـــها:

انبثق الاهتمام بالتربية البيئية مـــع تنـــامي الاهتمـــام بالبيئـــة منـــذ نهايـــة الستينات، واوائل السبعينات الا ان التربيـــة البيئيـــة لم تســـتطيع اســـتثمار ذلـــك الاهتمام بالرغم من دعوة مؤتمر الامم المتحـــدة للبيئـــة البشـــرية الـــذي انعقـــد في

استوكهولم عام ١٩٧٢م لان تصبح عـــاملاً حاسمـــاً في مواجهـــة الازمـــة البيئيـــة العالمية. وبالرغم مما لقيته البرامج الدولية للتربية البيئية من اهتمام ســـــواء مـــن قبـــل المنظمات الدولية، وبخاصة اليونســـــكو، أو مـــن قبـــل دول مختلفـــة مـــن العـــالم الصناعي والنامي، الا ان التربية البيئية لا زالـــــت مجـــالا ناهضـــاً ناشـــئاً[١] مثقـــلا بالعديد من المشكلات يأتي في مقدمتها عدم وجود اســـــاس فلســـفي متفـــق عليـــه وقابل للتطبيق[٢][٣]. وقد سعت دراسات إلى[٤][٥] تبيان مـــــدى الحاجـــة إلى اســـاس فلسفي للتربية البيئية يضعها في اطار فكري وقيمي، يمكنـــــها مـــن ان يكـــون لهـــا "موقـــف نقـــدي" مـــن العوامـــل: الاقتصاديـــة، والتكنولوجيـــة، والاجتماعيـــة، والاخلاقية، التي تشكل اساساً لبروز المشـــكلات البيئيـــة، ويمكنـــها كذلـــك مـــن تبني اخلاقية سلوكية جديدة توجه الانسان نحو اعـــادة النظـــر في علاقاتـــه القائمـــة مع البيئة والمرتكزة على فلسفة نفعية اقتصادية ذات طبيعـــة اســـتهلاكية جشـــعة.

ويمكن للمتتبع لعلاقة الانسان بالبيئـــة وتطورهـــا التـــاريخي والفلســـفي ان يلحظ مدى التباين الذي تظهر به هذه العلاقة عبر مراحل التطـــــور البشـــري منـــذ نشوء مجتمعات الجمع والصيـــد (مرحلـــة الجمـــع والصيـــد) مـــروراً بالمجتمعـــات الزراعية (المرحلة الزراعيـــة)، وانتـــهاءً بالمجتمعـــات الحديثـــة والمعـــاصرة (مرحلـــة الثورة التكنولوجية والمعلوماتيـــة).

لقد اوجد هـــذا التبـــاين النـــابع مـــن اختـــلاف الاهـــداف والحاجـــات والمنطلقات في تعامل الانسان مع البيئة اختلافاً ايضاً في تفسير هـــذه العلاقـــة بـــين الانسان وبيئته في الزمان والمكان، تمثل في بروز كثـــير مـــن الطروحـــات الفكريـــة والفلسفية التي عالجت هذا الجانب وفق توجيـــهاتها ومنطلقاتهـــا.

فحينما خضع الانسان لمؤثرات البيئة اكثر مما اخضعها له برز التوجه الذي رأى في الطبيعة المحدد لحركة الانسان وطموحاته وتجسد ذلك في الفلسفة الحتمية (Determinism) وفي مرحلة اخرى اصبحت مؤثرات الانسان في البيئة من التعدد والشمول بحيث لم تعد عائقاً امام طموحاته، برزت الآراء المناقضة للحتمية والتي تجسدت في الفلسفة الامكانية (Possibilism)، وبين هذه وتلك حاولت الفلسفة الاحتمالية (Probabilism) اعطاء وجهة نظر توفيقية بين كل من الحتمية والامكانية، في حين جاءت الفلسفة الندية لتنظر في علاقة الانسان بالبيئة من منطلق الصراع والمصالحة[٦].

واذا كانت ابرز تلك الفلسفات أو الرؤى قد سادت خلال القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين[٧]، فان التغيرات السريعة والعميقة التي برزت في علاقة الانسان بالبيئة خلال العقود القليلة الماضية افرزت ابعاداً مختلفة لهذه العلاقة. فبينما اتسع نطاق الاهتمام بالوعي البيئي منذ الستينات، وبرز نوع من التفاؤل، شهدت مرحلة السبعينات تزايداً في التدهور البيئي في الوقت الذي كانت فيه مؤتمرات الامم المتحدة – وابرزها مؤتمر استوكهولم ١٩٧٢ حول البيئة البشرية – تدعو إلى مزيد من التعاون الدولي في القضايا الرئيسية. فخلال العشرين سنة التي تلت مؤتمر استوكهولم شهدت البيئة العالمية خلالها تدهوراً واستنزافاً لمواردها الطبيعية، واصبحت المشكلات البيئية ذات طابع عالمي لا تؤثر في نوعية الحياة فقط بل تهدد بقاء الجنس البشري[٨][٩].

ان تفاقم الازمة البيئية افرز استجابات متعددة في اطار البحث عن الحلول من جهة وفي البحث عن تفسيرات مقنعة لما آلت اليه علاقة الانسان

بالبيئة في العصر الحديث من جهة اخرى. ودفع التطور التكنولوجي السريع وغير العادي الذي شهده العالم في مجالات متعددة – منها البيئة – دفع بالكثير من المفكرين والصناعيين إلى الايمان المطلق بقدرة التكنولوجيا اليوم وغداً على حل اية مشكلات بيئية، في حين ارجع البعض الازمة البيئية المعاصرة إلى الفكر اليهودي المسيحي الذي اعطى الانسان حق السيطرة المطلقة على البيئة وبذلك شكل هذا الفكر القاعدة الفلسفية التي بنيت عليها عمليات الاستغلال للبيئة من اجل منفعة الانسان[١٠][١١]. ولقد تعززت فكرة الاستغلال الانساني للبيئة دون منازع مع بروز الثورة الصناعية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فضلاً عن الثورة التكنولوجية في القرن العشرين، ومن الوجهة الاخلاقية اسهم الفكر الصناعي في ايجاد خلق بيئي قائم على المنفعة مرتكزاً على فكرة مركزية الانسان (المحورية البشرية Anthropocentrism) – برز هذا الفكر ايضاً في الفلسفة الزوتشية في كوريا الشمالية – حيث يعطي اهتماماً لما يمكن ان يؤثر في الانسان ورفاهيته، بينما الكائنات الاخرى لها قيمة ادائية فقط. وبرز في المقابل فكر اخر يهتم باثار الانشطة البشرية على كافة الكائنات الحية الاخرى بغض النظر عن اثارها المباشرة في رفاهية الانسان وحياته، وهذا ما يمكن تسميته بـ "الخلق البيئي المرتكز على الكائنات الحية أو "المحورية البيولوجية" Biocentrism[١٢][١٣][١٤][١٥].

وكان متوقعاً من مؤتمر الامم المتحدةالمعنى بالبيئة والتنمية (قمة الارض) الذي عقد في ريودي جانيرو بالبرازيل في الفترة ٣ – ١٤ يونيو / حزيران ١٩٩٢م، وحضره مندوبون من اكثر من مائة وسبعون بلداً ممن تعهدوا بحفظ الارض وغلافها الواقي ان يحقق النجاح المأمول لفض الجدل

حول اطار فكري يوجه التعـــــامل مـــع البيئـــة، ولكـــن كـــانت نتائجـــه مخيبـــة للامـــال[١٦].

يبدو من هذا الاستعراض لعلاقة الانسان بالبيئـــة مـــدى التبـــاين والتنـــوع في الفلسفات والتفسيرات لهذه العلاقة. فإذا كانت التربيـــة البيئيـــة تســـعى لايجـــاد وفاق في علاقة الانسان بالبيئة فإن جـــذور التربيـــة البيئيـــة تعـــود في الاصـــل إلى عهود قديمة منذ ان بدأ الانسان يتحسس ببيئته ويتعرف عليها ويـــدرك مـــا يحيـــط به، وانتقلت تلك المعرفة وذلك الادراك عـــبر الاجيـــال المتعاقبـــة[١٧]، ولـــذا فـــإن الحاجة للتربية البيئية لا تقتضيها خصائص كل من الانســـان والبيئـــة فحســـب بـــل وتطور علاقتهما[١٨]، منذ ان وجد الانسان علـــى الارض ومـــا تبـــع ذلـــك مـــن تطور أو تغيرات في طبيعة هـــذه العلاقـــة ومـــا تمخـــض عـــن ذلـــك مـــن رؤى وفلسفات اسهمت في تفسير هذه العلاقة وفي توجيهها وفـــق وجهـــة معينـــة، لـــذا من الواجب التأمل في تطـــور التربيـــة البيئيـــة بمناحيـــها التاريخيـــة، والفلســـفية، والمعرفية، والعقائدية، حتى اصبح مفهوم التربية البيئيـــة بعـــداً جديـــداً مـــن ابعـــاد التربية في العصر الحديث[١٩]. وترتكـــز هـــذه الدراســـة علـــى المنحـــى العقـــائدي للتربية من خلال تناول الاخلاقيـــات البيئيـــة في المعتقـــدات الدينيـــة لكثـــير مـــن شعوب العالم، وذلك من اجل تســـليط الضـــوء علـــى هـــذا المنحـــى كمرتكـــز اساسي لفلسفة جديدة للتربية البيئية، ينادي المربـــون البيئيـــون بضرورتـــه لتطويـــر برامج التربيـــة البيئيـــة وتقويمـــها[٢٠][٢١]؛ مـــن اجـــل اعـــداد الانســـان البيئـــي (Ecolate)، حيـــث اصبحـــت الثقافـــة البيئيـــة (Environmental Literacy) خاصة اساسية من خصـــائص الانســـان المعـــاصر[٢٢] الـــتي تشـــكل تنمية الاخلاقيات البيئية عنصراً رئيساً من عناصر هـــذه الثقافـــة[٢٣].

الاخلاقيات البيئية في المعتقدات الدينيـــــة:

تنطوي الاخلاق على السلوك الانساني المثـــالي، وهـــي بهـــذا الشـــكل لا تكتمل كلية في الممارسة العلمية ولكنها تشكل تأثـــيراً مـــهماً في الســـلوك الفعلـــي والطريقة التي يتم بها تقييم ذلـــك الســـلوك، واذا كـــانت الاخـــلاق الاجتماعيـــة تفرض قيوداً على السلوك الانساني تجاه البيئة، وعليه فـــان اهميـــة الاخـــلاق البيئيـــة تكمن في ان كثيرا من انماط السلوك الانســـاني اصبحـــت مدمـــرة للبيئـــة(٢٤)، إذ ان ازمتنا البيئية في الوقت الحاضر تعود اساسا إلى عدم وجـــود قـــاعدة خلقيـــة توجـــه علاقة الانسان بالبيئة(٢٥). ويبدو من تفحـــص تـــاريخ علاقـــة الانســـان بالبيئـــة في مراحل التطور البشري ما قبل مرحلة الصناعة وجـــود الاخـــلاق البيئيـــة المتكاملـــة التي اسهمت في ايجاد علاقة توازن وتوافق بين الانســـــان والبيئـــة، وبـــرزت هـــذه الاخلاق بشكل واضح في كثير مـــــن المعتقـــدات الدينيـــة للشـــعوب والثقافـــات المختلفـــة(٢٦)(٢٧).

وانطلاقا من ضرورة ان يكون للتربيـــة البيئيـــة مرتكـــز اخلاقـــي واضـــح باعتبارها اتجاها وفكراً يهدف إلى تمكين الانسان من امتـــــلاك خلـــق بيئـــي يوجـــه سلوكه وتصرفاته في تعامله مـــع البيئـــة(٢٨)، ونظـــراً لارتبـــاط كـــل مـــن الديـــن والاخلاق بعضهما ببعض بحيث اصبح كل منهما معـــــبرا عـــن الاخـــر(٢٩) فضـــلاً عن ان الدين قد لازم البشرية منذ نشأتها، فالحس الديـــني يكمـــن في اعمـــاق كـــل قلب بشري(٣٠) تبدو الحاجة للوقوف امام الاخلاقيات البيئيـــــة في ابـــرز المعتقـــدات الدينية لدى الشعوب المختلفة باعتبار ذلك يشـــكل المنحـــى العقـــائدي أو الديـــني للتربية البيئية التي يجب ان تســـتثمر تلـــك القـــوى الدافعـــة والمؤثـــرة للعقـــائد في سلوك الناس تجاه البيئة. وسوف يتم تنـــاول الاخلاقيـــات البيئيـــة في نمـــاذج مـــن ابرز الديانات من خلال جـــانبين:

- الاخلاقيات البيئية في الديانات الوضعيـــة.

- الاخلاقيات البيئية في الديانات الســـماوية.

الاخلاقيات البيئية في الديانات الوضعيـــة:

تشمل الاخلاقيات البيئية لدى ابرز تلك الديانـــات الـــتي لا زالـــت تمثـــل العقيدة الاساسية لاعداد ليست بسيطة من البشـــر في انحـــاء مختلفـــة مـــن العـــالم ومنـها:

(١) الهندوســـية:

الهندوسية ليست عقيدة محددة إذ تشمل العديـــد مـــن العبـــادات والفـــرق وتشمل جوانب مختلفـــة مـــن العقـــائد منـــها مـــا يدعـــو إلى عبـــادة الاحجـــار والاشجار، ومنها ما يرقى إلى التجريـــدات الفلســـفية، ويعتنقـــها مئـــات الملايـــين من البشر في الهند بدرجة رئيســـــية[٣١][٣٢][٣٣].

النظرة الهندوسية تجاه البيئة ترى ان الانسان جزء لا يتجـــزأ مـــن الطبيعـــة، واحترام كل الاحياء هو جزء من فلسفة الديانة الهندوسية، والطبيعة والانسان هما مـــن صنع الخالق الموجود في كل مخلوقاته صغيرها وكبيرها، وقد حافظ (الابنشايد)[*] علـــى المساواة بين كل الاحياء لانها جميعا من صنع (أتمان)[*] فلا احد افضل مـــن الاخـــر، وبالتالي لا احد يفرض سيطرته على الاخر[٣٤]. لذا فلا يستطيع الفرد الاستفادة علـــى حساب الاخرين لا الانسان ولا الطبيعة طالما ان هذه المخلوقات هي تعبـــيرات عـــن كائن واحد لا يتجزأ[٣٥]. ويظهر مفهوم البعث في ان من لا يؤدون واجبـــاتهم تجـــاه الطبيعة وسكانها سوف يبعثون في مملكة الحيوان في الحياة القادمة، وهذا يؤكد فكرة ان الطيور والحيوانات الاخرى كانت في الاصل بشر واصبحت حيوانات بسبب ســـوء

اعمالها[٣٦]! وبالنسبة للمنظور الهندوسي تجاه عناصر الكون فيحددها اسوبا[٣٧] بخمسة عناصر هي:

- **السماء** : ولها اسماء عديدة وتدعى الاب، والسماء تعطي الماء للارض لتقوم الاخيرة باعادة خلق كل المخلوقات، كما ان السماء هي مكان وجود كل الاشياء الجديدة.
- **الماء**: وهو الذي وجد قبل الخلق، وتحتوي المياه على جميع الادوية الشافية، فالماء افضل طبيب، ويعد السبب في وجود الطبيعة، وفي ذلك ينص (الابنشايد): "هذه الارض، الهواء... والجبال، والالهة، والبشر، والحيوانات،...، والطيور، والنباتات، والاشجار، ...، والحشرات، هي مجرد مياه تحت الحالة الصلبة".
- **الهواء**: يقدس الهندوس الهواء فالحياة والروح تعتمد على الهواء، وفي هذا يقول (الابنشايد)(*): "إذا التزم الفرد، وعاش حياة فاضلة فان كل عناصر الكون، الارض، والماء، والهواء، والطبيعة سوف تجلب له الازدهار والصحة الجيدة وسوف يعيش حياة اطول".
- **النار**: وهي الاداة التي تؤدي إلى العظمة، وقد عبدت النار من قبل الهنود على عدة اشكال.
- **الارض**: عبدت الارض على اساس الها الام "الارض هي الام، ونحن ابناء هذه الام". ان الارض الام تعطي معنى الحياة فلقد ورث الانسان وجميع المخلوقات خصائص الارض الام، ولانهم ابناؤها لذا يجب على البشر ان

(*) الابنشايد: هو احد الكتب المقدسة لدى الهندوس.

(*) اتمان: الروح في اسفار الفيدا الهندية.

يمتلكوا احساساً بالحب والسلام والتناغم والتعايش المشترك مع كل ما يخص الارض مثل مجمل الحياة الطبيعية من نبات وحيوان وطيور وحشرات وانهار وجبال... لذا فان ديمومة الانسان على هذه الارض يعتمد على بقاء النظام الذي يعد هو جزء منه.

وحول الموقف من البيئة ومكوناتها ، فإن المعتقدات الهندوسية تؤكد على أهمية الحفاظ على الاشجار اذ ورد ذلك في كثير من النصوص الدينية من أجل ان تبقى الاشجار امنة ادعى (البوراناس)(*) وجود نوع من الالهة في الاشجار، ويصف (الابنشايد) الاشجار على انها كائنات حية تحس، فالشجرة التي تقطع من جذورها فإنها تبكي! لذا يجب ان تبقى واقفة، ونحو (٨٠%) من الهنود الذين يعيشون في القرى والتلال لا زالوا يعتقدون بالعادات القديمة عن الشجر. اما بالنسبة للحيوانات فيرى الهندوس الله في بعض الحيوانات ويقدسونها مثال ذلك البقرة، التي ترتبط بالالهة (كرشنا)، ويرتبط الثور بالالهة (شيفا)، اما الفيل فيرتبط بالالهة (كمسي)، ويعد كل من يقتل هذه الحيوانات أو يبيع لحمها أو يطبخه مجرم! ولكن كهنة الهندوس غالباً ما يشجعون الناس ان يعاملوا كل الكائنات الحية بالاسلوب نفسه الذي يعاملون به ابقارهم المقدسة، فالاله الاوحد - عندهم — هو كل الحياة، وهكذا تبدو الهندوسية في الاساس ديانة بيئية(٣٨)(٣٩).

(٢) البوذيـة :

تعود البوذية إلى مؤسسها جوتاما (Gautama) أي الراهب، الذي اطلق عليه فيما بعد (بوذا) أي المستنير الذي عاش في شمال الهند خلال القرن السادس قبل الميلاد(٤٠)(٤١)، وبالرغم من ان (بوذا) لم يكن صاحب دين إذ لم يتحدث عن وجود له، غير ان اتباعه فيما بعد رفعوه إلى درجة الالوهية،

وعلى ذلك فان البوذية في رأي مؤسسها فلسفة أو طريقة حياة بينما هي لدى البوذيين ديانة(٤٢).

وتظهر الاخلاق البيئية في البوذية واضحة من خلال تركيزها على مبدأ الشفقة بكل الكائنات الحية وتقدير مطلق بعدم التسبب في تدمير الحياة، وان الكثير من المشكلات البيئية – ان لم تكن جميعها – نابعة من الافراط في الاستهلاك، وان الحياة المكرسة لقتل الشهوات بالضرورة حياة بساطة وتقشف وبالتالي فتأثيرها على البيئة قليل فضلاً عن العطف تجاه الكائنات الحية الاخرى(٤٣)، فلا يحق لبوذي ان يقتل حيواناً لمجرد الصيد أو يذبحه للاكل بل يتوجب عليه ان يشفق عليه كونه اخوه في الخلق، وبالتالي عليه الا ينظر اليه بدونية، فالحب لكل نسمة هو من اهم موجهات وارشادات بوذا الذي قال: "يجب على كل انسان ان يغرس في نفسه الحب العميق الصادق لسائر الخلق"(٤٤)، وقد وضع بوذا وصايا عشر كأساس للاخلاق الفاضلة تشير الوصية الاولى منها إلى "الا تقتل احداً ولا تقضي على حياة"(٤٥).

(٣) الكونفوشية:

نشأت في الصين منذ ما يقارب الفين وخمسمائة عام تقريباً وتعالمها تدور اساساً حول الفضائل والاخلاق، لذا فمركز التعاليم الكونفوشيوسية هي في الحياة الحاضرة وليس فيما بعد الموت(*). لذا فالكونفوشيوسية نظام حياة بالدرجة الاولى(٤٦).

(*) البوراناس : المأثورات الشعبية في الهندوسية وتشمل الحكايات والخوارق والاساطير.

(*) سئل كونفوشيوس عن حقيقة الموت فقال: إذا كنت لا تعرف حقيقة حياتك فكيف تستطيع ان تعرف حقيقة الموت" (داتو بحر الدين، ١٩٨٣: ١٠٤).

وفيما يتعلق بالاخلاق البيئية في التعـــاليم الكونفوشيدســة نجدهــا تؤيــد في احسن الاحوال الاخلاق البيئية المرتكزة علـــى الانســـان، فـــالتدهور البيئـــي في اغلب الحالات يولد اثاراً خطيرة ومؤذية علـــى الاخريـــن، وبالتـــالي فـــهذا يعـــد مخالفة لمبدأين اساسيين من مبادئ الكونفوشـــية وهمـــا احـــترام وحـــب الاخريـــن والعدالة(٤٧)، كما دعت إلى ضرورة الانسجام الكلي مـــع الطبيعـــة ويـــبرز ذلـــك في اقوال كونفوشيوس – فيما اورده ابـــو العينـــين(٤٨) – حيـــث يقـــول: "ومـــن الخير ان نتفاعل مع الطبيعة فاذا استطعنا ان نوفق بين غرائزنــــا والطبيعـــة اصبحنـــا في مرتبة معادلة للســـماء والارض، وذلـــك لان جميـــع الاشـــياء حيـــة وتغمرهـــا الروح فيجب الاطمئنان إلى الحياة بوداعة، ومحاولة العيـــش فيـــها بســـعادة".

وبعد وفاة كونفوشيوس عام ٤٧٩ق.م. تفـــرق تلامذتـــه ونشـــأت منـــهم فرق كونفوشية عديدة الا ان ابرزها كـــان مـــا تبنـــاه كـــل مـــن (منشـــيوس) و (هسون تسو). واذا كان (منشيوس) يـــرى ان الطبيعـــة البشـــرية خـــيرة بفطرتهـــا لكنها يمكن ان تنحرف أو يعتريها الضمور ما لم تـــرب علـــى نحـــو قـــويم، فـــان زميله (هسون تسو) – العضو الثالث المؤســـس للكونفوشـــية – يـــرى ان الطبيعـــة البشرية في الاساس كانت شريرة، وان العقل البشري هـــو مركـــز الكـــون، ومـــن خلال الفهم الكامل للطبيعة يستطيع النـــاس ان يســـيطروا علـــى الكـــون وعلـــى بيئتـــهم! (٤٩).

(٤) الطاويـــة :

طاو أو تاو (Tao) كلمة صينيـــة تعـــني الطريـــق أو النـــهج، وتشـــكل الطاوية التي اسسها كل من (لاوتســـو) و (تشـــوانج تســـو) جانبـــاً مـــن الحيـــاة الدينية في الصين(٥٠)، وتنطوي هذه الديانة علـــى حيـــاة هادئـــة تتســـم بالبســـاطة،

وفكرة اتباع هذه الديانة تجاه الحياة تتمثل في ترك الامور على طبيعتها وهي بذلك – وفق اعتقادهم – تسير في تناغم وكمال(٥١)، وما دامت الامور هكذا فان أي تدخل بشري فيها هو تدمير لها(٥٢).

وتبدو الاخلاق البيئية واضحة في توجيهات هذه الديانة إذ تبرزها نصوص من كتبها المقدسة، ففي كتاب (طاوتي شنج) لمؤلفه (لاوتسو) نجد ما نصه: "و لا تأتوا عملاً (معادياً للطبيعة) فليس ثمة ما لا يمكن تنظيمه تنظيماً حسناً".

وفي نص آخر : ينبغي الا تلحق الاذى حتى بالحشرات والمخلوقات الزاحفة أو الاعشاب والاشجار"(٥٣).

وهكذا يبدو ان الديانة الطاوية تبرز بوضوح وجلاء سياقا سليماً للاخلاق البيئية من خلال التركيز على ضرورة الانسجام بين الانسان والطبيعة، وتنظر الطاوية إلى الطبيعة على اساس انها تشكل وحدة متكاملة، وان للانسان موقعه المناسب فيها(٥٤).

وقبل اختتام الحديث عن الاخلاقيات البيئية في نماذج من ابرز الديانات الوضعية التي لا زالت حية ومؤثرة في سلوك اعداد من البشر في الوقت الحاضر تجدر الاشارة كذلك إلى نماذج من الاخلاقيات البيئية في معتقدات بعض المجتمعات التقليدية المعاصرة في افريقيا وامريكا الشمالية.

ان العنصر الديني كثيراً ما يكون عنصراً اساسياً في علاقة الانسان بالبيئة، فالاشجار – باعتبارها مثالا في معظم المجتمعات الافريقية للتصورات البيئية – تحتل مكانة اجتماعية وروحية كبيرة لدى كثير من المجتمعات الافريقية، فبعضها يعد مقرا للارواح مثل اشجار القطن الحريري أو اليوكو (Uoko) لدى افراد البوا (Bwa) واشجار التبلدي أو الباوباب

(Adansonia Dugital) في غـرب اقليـم السـهل الافريقـي، كمـا ان لاشجار الصمغ العربي نظاماً رمزياً معتقـداً لـدى شـعب السـريري (Serere) وتعد شجر اللنك (Afzelia Africana) اهم شـاهد عنـد حلـف اليمـين نظراً لما تقطنها من قوى تنزل المصيبة بمن يخون في يمينـه، وعمومـاً فـان وجـود غابات مقدسة كان امراً مألوفـا بـين المجتمعـات الزراعيـة في غـرب افريقيـا، وكانت جهات دينية تتولى ادارة تلك الغابات وتمارس فيها الكثـير مـن انشـطتها التربوية والاجتماعية التي يغلب عليها بعـد ديـني متـأصل في المعتقـدات المحليـة، فاقزام المابوتي (Mbuti) يعتقدون ان عليهم ان يوقظـوا الغابـة ويمنعوهـا مـن النوم لان رقادها يضر بالانظمة الطبيعيـة والاجتماعيـة، كمـا ان عـادة ممارسـة القتل الرمزي أو الفعلي للملـك – وهـي ممارسـة منتشـرة في افريقيـا – هـي انعكاس للتصور بأنه من الضروري احـداث تغيـير مسـتمر في المحيـط البشـري كي تنتظم العمليات الطبيعية في سيرها، ويمكـن القـول اضافـة إلى مـا سـبقت الاشارة اليه ان المعتقدات التقليدية في افريقيا تصور الانسـان في وحـدة متكاملـة مع البيئة(٥٥)، وبذلك فهي تكون صورة واضحة لاخلاقيـات بيئيـة سـليمة.

أما المجتمعات الهندية الامريكية، فبـالرغم مـن الاختلافـات فيمـا بينـها من حيث طبيعة الحرف أو الانشطة التي تمارسـها (جمـع، وصيـد، وزراعـة،...) الا ان هناك تشابهاً بين هذه المجتمعات في كثير مـن جوانـب حياتهـا الاجتماعيـة والدينية، فمن المعتقدات السائدة لدى هذه المجتمعات هو وجـود الـروح في كـل شئ، وبالتالي فالكائنات الحية بشرية كانت ام غـير بشـرية، والمكونـات البيئيـة غير الحية من جبال وانهار وغيرهـا... كلـها تحتـاج ان تتعـامل معـها بلطـف وحرص واحترام وحب، وعلى ذلك فإن اسـتفادة هـؤلاء مـن البيئـة الطبيعيـة اتسمت بالحب والعطف على الكائنات الطبيعية، فلا يجب اخـذ شـئ مـن البيئـة

دون ارادتـه أو دون تعاونـه، ولايجـب استهلاك شـئ دون حاجـة. وهـذه التصورات ارتكزت وتعززت بنظرة هؤلاء للكون الـتي تـرى ان السماء بمثابـة الاب لكل الكائنات والارض هي امـها، وعلـى ذلـك فـإن كـل الكائنـات مترابطة بعلاقة اخوة لذا يجب التعـامل معـها، ليـس لكونهـا اشـياء تسـتحق الاحترام والحب فحسب، بل لكونها عضو من العائلة التي ينتمـي اليـها، ان هـذا المفهوم البيئي يعطي ايضاً اسسا سليمة للاخلاق البيئية لـدى الهنـود الـتي يمكـن اعتبارها نموذجاً للاخلاق البيئيـة المعـاصرة[٥٦][٥٧].

الاخلاقيات البيئية في الديانات السـماوية:

يطلـق مصطلـح الديانـات السـماوية أو التوحيديـة علـى الديانـات الثلاث: اليهودية، والمسـيحية، والاسـلام، واذا كـان الاسـلام يبـدو موقفـه واضحاً فيما يتعلق بالبيئة والاخلاق البيئية، فان من يبحـث في موقـف الديـانتين اليهودية والمسيحية في هذا المجال تواجهه بعـض الصعوبـة نظـراً لتبـاين الآراء في تقييم موقف هاتين الديانتين مـن البيئـة والاخـلاق البيئيـة، ولان كثـيراً مـن الدراسات عندما تتناول هذا الجانب تتناوله بدمج الديـانتين اليهوديـة والمسـيحية فيمـا يطلـق عليـه "التقليـد اليـهودي المسـيحي" أو "الـتراث اليـهودي المسيحي"[٥٨][٥٩][٦٠][٦١]؛ الا ان الحاجة تقتضي ان نتناول موقـف كـل ديانـة مـن الديانات الثلاث على حدة تمشـياً مـع السـياق السـابق في تنـاول الديانـات الوضعية، ولانها في الاصل ديانات مستقلة وان التوحيـد بـين الديـانتين اليهوديـة والمسيحية هو من منظور ثقافي أو حضاري بدرجـة رئيسـية.

(١) الاخلاق البيئية في الديانة اليهودية:

ارتبطت الارض في العهد القديم باللعنة نظراً للخطيئة التي اقترفها ادم بأكله من الشجرة المحرمة، ويتضح ذلك فيما ورد في سفر التكوين عند تناوله لقصة الخليقة وكيف ان ادم سمع لقول امرأته واكل من الشجرة التي حرمها الله عليه: "وقال لادم لانك سمعت لقول امرأتك واكلت من الشجرة التي اوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الارض بسببك. بالتعب تأكل منها كل ايام حياتك وشوكاً وحسكاً تنبت لك..." (سفر التكوين: الاصحاح الثالث: ١٧-١٨).

وجميع اسفار العهد القديم ترتبط علاقة الانسان بالطبيعة بالخوف والوعيد، وظل التخويف بعناصر الطبيعة وسيلة الايمان في العهد القديم[٦٢]، ويعطي سفر التكوين الانسان حق السيطرة في استغلال الارض دون أي قيد اخلاقي وتؤكد ذلك النصوص التالية من سفر التكوين[٦٣]:

"وقال الله نعمل الانسان على صورتنا لشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الارض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الارض" (سفر التكوين، الاصحاح الاول: (٢٦)).

وفي اشارة اخرى: "وباركهم الله وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الارض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الارض" (سفر التكوين: الاصحاح الاول (٢٨)).

وفي سفر الجامعة – الذي يمثل الجانب الفلسفي من العهد القديم – يلحظ تسويته بين الانسان والحيوان الا انه في الوقت الذي يساوي بين الاثنين فإنه ينعتهما بكونهما باطلين: "قلت في قلبي من جهة امور بني البشر ان الله

يمتحنهم ليريهم انه كما البهيمة هكذا هم. لان ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم. موت هذا كموت ذاك ونسمة واحدة للكل فليس للانسان مزية على البهيمة لان كليهما باطل". (سفر الجامعة: الاصحاح الثالث: ١٧-١٩).

وهكذا يمكن ان نخلص مما سبق من ان موقف الديانة اليهودية من الاخلاق البيئية وفق ما جاء في العهد القديم لا يمكن الا ان يوصف بأنه موقف يتسم بالضعف، حيث يعطي الانسان حق السيطرة المطلقة على الارض دون مسؤولية، وبالتالي شكل هذا – مع الموقف المسيحي – الاساس الفلسفي لاستغلال البيئة لمصلحة الانسان بغض النظر عن تأثير ذلك على الكائنات الحية الاخرى[٦٤][٦٥].

(٢) الاخلاقيات البيئية في الديانة المسيحية:

ان كثيراً من الكائنات والاراء التي تتناول الجوانب البيئية في علاقتها بالدين عادة ما تحمل الديانة المسيحية مسؤولية الفصل بين الطبيعة والانسان، واعطاءه حق السيطرة والسيادة على الطبيعة لمنفعته، وتأتي كتابات كل من لين وايت الصغير (Lynn White)، وارنولد توينبي (Arnold Toynbee) في مقدمة الدراسات التي تتبنى وتدافع عن هذا الرأي[٦٦][٦٧][٦٨]. غير ان هناك من العلماء المسيحيين من دافعوا عن موقف المسيحية من البيئة والاخلاق البيئية مبينين ان السيطرة قد تعني وكالة مسؤولة، فالجوهر المتميز للانسان – وفق ما تؤكده هذه الديانة – يمنحه واجبات ومسؤوليات من اهمها واجبه في ادارة ما يسيطر عليه بحكمة وعقلانية[٦٩]، في حين يؤكد وايت – فيما اورده سردار [٧٠]– انه من الصعوبة تفسير مفهوم السيطرة بانه لا يعني الحق في ممارسة القوة والتحكم في الطبيعة، وان المسيحية لم تؤكد فصل الانسان عن الطبيعة فحسب، بل اعتبرت ان استغلال الانسان للبيئة تحقيقاً

لاغراضه هي ارادة الله! وفي الاتجاه نفسه يشير توينبي من ان "الانجيل لم يسلب الطبيعة قداستها ورهبتها القديمة فحسب... بل انه نصح البشر بصفة خاصة ان يقهروا العالم الطبيعي"(٧١). وتخلص مثل هذه الآراء إلى نتيجة مفادها ان الازمة البيئية المعاصرة تعود اصولها إلى القاعدة الاخلاقية للمسيحية التي تؤكد تفوق الانسان على الطبيعة وحقه في السيادة والسيطرة المطلقة عليها(٧٢)(٧٣)، في حين يرد المدافعون عن المسيحية في هذا الشأن من ان كثيراً من التدمير البيئي حصل قبل المسيحية، فضلاً عن ان مشكلات البيئة وسوء استغلالها (مظاهر الازمة البيئية) قد حدثت وتحدث ايضاً في اجزاء غير مسيحية من العالم(٧٤)(٧٥).

(٣) الاخلاقيات البيئية في الاسلام:

من ابرز اهداف الاسلام الكبرى اصلاح الحياة الانسانية والطبيعية ومنع فسادها، وتتسم نظرة الاسلام تجاه البيئة بالشمولية لكل جوانب البيئة الطبيعية والبشرية، حيث يتضح ذلك في القواعد الكلية الشاملة لاصلاح وتسيير الحياة وفق مفهوم الخلافة المرتكز على التصور الايماني ومقاصد الشريعة واصولها واحكامها(٧٦). والنظام الاسلامي بشكل عام مبني على فلسفته الاخلاقية، فالاخلاق جوهر الاسلام وروحه الفاعلة في جميع جوانبه(٧٧)، ويؤكد ذلك قول الرسول ﷺ: "انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق" (حنبل، ج٢، ٣٨١).

ولتبيان الاخلاقيات البيئية في الاسلام تبدو الحاجة إلى اهمية توضيح الاركان والمفاهيم الاساسية التي ترتكز عليها الاخلاق البيئية في الاسلام وهذه المفاهيم تتحدد في التوحيد والخلافة والحياة الاخرة(٧٨)، ويمكن ان نوجزها في الاتي:

(أ) التوحيـد:

مفهوم التوحيد يعني الاقرار بوجود خالق واحد للكـون. ومـن الوجهـة الاخلاقية فالتوحيد يعني ان الله مصدر القيـم وعليـه يصبـح التوحيـد موجـهاً للفكر والعمل الانساني، كما انـه يضفـي علـى الانسـان اسـتقلالية وكرامـة ويتخلل جوانب سلوكه وفكره فيصبح المبدأ الموجه ليس في الديـن فحسـب بـل في الاخلاق والسلوك الاجتماعي والمعرفة، ومحوراً لفـهم البيئـة. ويسـتدل علـى مفهوم التوحيد ايضاً من خلال مفهوم الصالح العـام في الاسـلام، إذ ان الانسـان يستطيع ان يطيع خالق الكون عن طريق سعيه نحو الخـير العـام لكـل الكائنـات الحية[٧٩]. والايمان بالله هو ايمان بالرقابـة الدائمـة علـى الانسـان وعلـى كـل تصرفاته، وهذه الرقابة تحفز روح الالـتزام والمسـؤولية[٨٠].

(ب) الخلافـة:

الخلافـة وصايـة ووكالـة مـن الله، والغايـة مـن الاسـتخلاف هـو الاختبار[٨١] ، وتؤكد ذلك كثير من ايات القرآن الكريم منـها: "**واذ قـال ربـك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة...**" (البقـرة، الايـة ٣٠).

"**وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفـع بعضكـم فـوق بعـض درجـات ليبلوكم فيما اتاكم**" (الانعام، الايـة ١٦٥).

"**ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملـون**" (الاعـراف، الايـة ١٢٩).

فالكون ككل يصبح بمثابة امانة تحملها الانسـان تجـاه خالقـه، وبذلـك فهو وصي ومسؤول عن رعاية كل ما خلقه الله، واذا كـان باسـتطاعة الانسـان استخدام هذه الامانة لمنفعته فانـه لا يملـك الحـق المطلـق في السـيطرة، وهـذا الاستبعاد للسيطرة المطلقة للانسان يتساوى مع منحـه مسـؤولية يتحملـها امـام

خالقه[٨٢]، وعليه تصبح البيئة ميدان اختبار لاخلاق الانسان، فكل شئ مقدس ومفيد وله دوره، وعليه فإن حماية ما خلقه الله يعد واجباً على كل مسلم ويثاب عليه من قبل خالقه[٨٣]. والتصور الاسلامي لخلافة الانسان في الارض تجعل منه عنصراً مهماً في النظام الكوني، إذ ان خلافته في الارض تتعلق بارتباطات شتى مع عناصر الكون والارض التي هيأت قيام الحياة على الارض وامكانية قيام الانسان بمسؤولية الخلافة، كما ينبثق عن هذا التصور ايضاً اعلاء قيمة الفضائل الخلقية وعدم تجاهل القيم المادية التي يشملها مفهوم الاستخلاف[٨٤].

(ج) الحياة الاخرة:

قال تعالى: **"وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرى ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين"** (القصص، الاية ٧٧).

واذا كان الايمان بالاخرة يعد ركناً من اركان الايمان في الاسلام فان له الاثر الكبير في بناء علاقة الانسان بالبيئة بل وبمفهومه وتفكيره في الوجود كله، فتحقيق تكليف الاستخلاف شرط للنجاة من العذاب في الحياة الاخرى:

"فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً..." (الكهف، الاية ١١٠).

لذا فالحياة الاخرة في الاسلام تعتبر محددة وموجهة للحياة الدنيا وتعطي لها معنى[٨٥][٨٦] قال تعالى: **" أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون"** (المؤمنين، الآية ١١٥).

ويبدو واضحاً غنى الاسلام بالاخلاق البيئية إذ يبرز القرآن الكريم وحدة الانسان مع الكائنات الحية في قوله:

"وما من دابـــة في الارض ولا طـــائر بجناحيـــه الا امـــم امثـــالكم..."

(الانعام، الايــة٢٨).

فالقرآن جعل بين الانسان والبيئة انســـجاماً والفـــة ومـــودة ورحمـــة، وان علاقة الانسان بالارض مثلها مثل علاقة الام بابنها[٨٧]، لـــــذا فـــالاخلاق البيئيـــة في الاسلام ترتكز على الكائنات الحية وفق مفهوم الوكالـــــة أو الخلافـــة[٨٨]. وبـــالرغم من ان الاسلام قد جعل مكونات البيئة لخدمة الانســـــان وســـخرها لـــه، فانـــه في الوقت نفسه اعطى حقوقاً لكل مخلوق حي واوجب على الانســـــان احـــترام هـــذه الحقوق، فلم يكن هدف الاسلام تحقيق النفع فقط بل تحقيـــق الحيـــاة الادبيـــة بمـــا يطبع من سلوك الانسان بالطابع الادبي بصرف النظر عـــــن زمـــان ومكـــان هـــذا السلوك، وصلته بالاخرين[٨٩]. وتؤكـــــد احـــاديث كثـــيرة للرســـول ﷺ في هـــذا الجانب منها على سبيل المثـــال:

"عذبت امرأة في هرة سجنتها حـــــتى مـــاتت، فدخلـــت النـــار، لا هـــي اطعمتها وسقتها إذ حبســـــتها ولا هـــي تركتـــها تـــأكل مـــن خشـــاش الارض" (القشـــيري، ج١٤، ٢٤٠).

وقال ايضـــاً:

"ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيـــأكل منـــه طـــير، أو انســـان، أو بهيمة الا وكان له به صدقـــة" (البخـــاري، ج٢: ٨١٧).

واذا كان مفهوما الحـــلال والحـــرام يحكمـــان البيئـــة الاســـلامية، فانـــه بالتعمق في هذين المفهومين نجد ان الحرام يشـــمل كـــل مـــا مـــن شـــأنه تدمـــير الانسان وبيئته، والحلال يشمل كل ما هو نافع لـــه ولمجتمعـــه ولبيئتـــه، واذا مـــا تم الجمع بين مفاهيم مثل التوحيد والخلافة من جهـــة والحـــلال والحـــرام مـــن جهـــة ثانية ومفهومي الاستحسان (اختيار الافضل) والاســـتصلاح (الصـــالح العـــام) مـــن

جهة ثالثة، وتم النظر اليها جميعاً من منظور بيئـي لتكـون لدينـا اطـارا متكـاملاً للاخلاق البيئية المرجوة، إذ ان احترام البيئة والاعـتراف بوحـدة الخلـق وتـأكيد اخوة الكائنات الحية هي اجزاء مما تشمله تلك المفـاهيم بـل وتؤكـد كذلـك ان الجوانب الاخلاقية وكل الانظمة البيئيـة ينبغـي ان تكـون مرتكـزاً لاي بحـث عقـلاني(٩٠).

وهكذا يبين المنحى العقـائدي للتربيـة البيئيـة مـدى غـنى المعتقـدات الدينية بالاخلاقيات البيئيـة، فالديانـات سـواء الوضعيـة منـها أو السـماوية، اكدت بشكل أو باخر الحاجة إلى الاخـلاق البيئيـة في تعاملنـا مـع البيئـة، وان الاختلاف بين هذه المعتقدات لا يعد كونه اختلافـا في القـوة والوضـوح اكـثر منه في الوجود أو عدمـه.

فمجمل الديانات الوضعية نظـرت إلى الانسـان والبيئـة علـى اسـاس الهما يشكلان وحدة واحدة وان الارض بمثابـة الام لكـل الكائنـات الحيـة، واذا كان احترام كل الاحياء هو جزء من فلسـفة الديانـة الهندوسـية، فـان الشـفقة بكل الاحياء هو ما تؤكد عليه فلسفة الديانة البوذيـة، ومـع تـأكيد كـل مـن الطاوية والكونفوشيوسية لضرورة الانسجام مع البيئـة، فـإن تعليمـات الاخـيرة تبيح السيطرة على البيئة لكن بعد الفهم الكامل لهـا، في حـين تشـير النصـوص الطاوية إلى عدم معاداة الطبيعة، فليس فيها ما هـو بحاجـة إلى تنظيـم أو تحسـين. كما اتضحت الاخلاقيات البيئية في معتقـدات الجماعـات التقليديـة في افريقيـا والهنود في امريكا الشمالية، إذ شكل العنصـر الديـني ركنـاً اساسـياً في علاقـة هؤلاء ببيئتهم التي بنيت على فكرة ترابط الكائنـات الحيـة جميعـها فضـلاً عـن المكانة الروحية والاجتماعية لكثير من المكونات الحيـة للبيئـة.

اما بالنسبة للاخلاقيات البيئية في الديانـات السـماوية، فيبـدو ان هنـاك تبايناً ملحوظاً في موقف كل مـن الديـانتين اليهوديـة والمسـيحية مـن جهـة، والاسلام من جهة اخرى. فبينما تؤكد النصـوص القرآنيـة والاحـاديث النبويـة علاقة الود والانسجام بين الانسان والطبيعة، نجد ان نصوصـاً مـن العـهد القـديم تربط تلك العلاقة بالخطيئة والخوف والوعيد. وفي حين تتفـق الديانـات الثـلاث في تحديدها لمكانة الانسان المتميز بـين الكائنـات واحقيتـه في الانتفـاع بمـوارد البيئة، نجد ان الديانتين اليهودية والمسيحية تعطي الانسان حـق السـيطرة المطلقـة غير المسؤولة، في حين يحدد الاسلام مسؤولية اخلاقية مبنية علـى مبـدأ الخلافـة، واتضح ان هناك تبايناً واضحاً في الآراء حول تقييـم موقـف الديـانتين اليهوديـة والمسيحية من الاخلاق البيئيـة، فبينمـا يـرى البعـض بـان هـاتين الديـانتين باعطائهما الانسان حق السيطرة فانهمـا شـكلتا الاسـاس الفلسـفي لاسـتغلال الانسان للبيئة لمنفعته، ومثل هذا الجذور التاريخيـة للازمـة البيئيـة، فـان البعـض الاخر يرى غير ذلك على اساس ان السيطرة المعطاة للانسـان نابعـة مـن موقفـه المتميز الذي يوجب عليه ضمناً المسـؤولية تجـاه مـا يسـيطر عليـه وان كـانت الازمة البيئية موجودة في مناطق المسيحية فانها تبرز ايضـاً في منـاطق اخـرى غـير مسيحية.

مناقشة واستخلاص:

ولعل العرض السابق للاخلاقيـات البيئيـة في المعتقـدات الدينيـة يثـير تساؤلات بحاجة إلى اجابة فإذا كـانت الديانـات الوضعيـة متعـددة المصـادر، بدت اكثر توافقا وتشابها في نظرتها للبيئة والاخلاق البيئيـة فكيـف يظـهر تبـاين واضح بين الديانات السماوية الثلاث رغم وحـدة المصـدر؟

ان مجمل المعتقدات الدينية سواء الوضعية منها أو السماوية غنية بالاخلاقيات البيئية، حيث اكدت هذه الديانات الحاجة إلى التفاعل مع البيئة من منظور اخلاقي يرتكز على وحدة الانسان مع البيئة ومسؤولية تجاهها.

فبالنسبة للديانات الوضعية التي اعتبرت الانسان جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة، وان علاقته بها هي علاقة الام بأبنائها فان مثل هذه الرؤية تشكل اساساً فلسفياً مهما في نشوء علاقة وئام واحترام بين الانسان والبيئة، الا ان اعطاء الكائنات الحية مكانة مساوية لمكانة الانسان وكذا المبالغة في تقديس الطبيعة ومكوناتها سواء الحية منها أو غير الحية، هو ما يمكن ان يؤخذ على تلك المعتقدات وفلسفتها تجاه البيئة. فعلى سبيل المثال فإن بعض الكهنة الهندوس كانوا يحبذون العيش في الغابة ولا يعاشرون سوى الحيوانات والحشرات والنباتات، كما دعى بوذا إلى محبة الطبيعة ولو كانت حجراً لان الحجر هو كل شئ[٩١]، واذا كان الواقع البيئي العالمي اليوم احوج ما يكون إلى تدعيم كل ما من شأنه ان يعيد علاقة الود والوئام بين الانسان والبيئة، فإن الواقع ايضاً لا يمكن ان يقبل تلك القدسية المبالغ فيها تجاه الطبيعة ومكوناتها، فاذا كانت الدعوة إلى العودة إلى الطبيعة (الايديولوجية البرية) مستحيلة وغير معقولة، فان مساواة الانسان بمكونات الطبيعة الاخرى هو ايضاً كذلك ويعد تجاهلا للحقيقة، فمن غير المقبول ان نساوي بين البعوض والانسان لمجرد كونهما اخوة في الخلق، ومن غير المقبول كذلك تبني الاتجاه نحو عبادة وتقديس الطبيعة بما يطمس كرامة الانسان وقواه الفكرية وما يمتلك من حرية. ومثل هذا الاتجاه يعني ايضاً رفضاً للاختيار الاخلاقي وللتمييز العقلي. ومثل هذه الفلسفات أو الثقافات تعيش معاناة اخلاقية وروحية[٩٢]، إذ يصبح من الصعوبة تصور العراقيل، والصعوبات التي يمكن ان تواجهها

البشرية في استثمارها لموارد البيئة إذا ما التزمت أو تبنت تلك التعاليم لمثل هذه الديانات في ظل تزايد وتنوع الاحتياجات البشرية، ويؤكد ذلك كاوتري[٩٣] عندما اشار إلى ان "المذهب الكونفوشيوسي باحكامه وطقوسه الجامدة كان السبب الرئيسي في ركود المجتمع الصيني قروناً طويلة". واذا كانت المساواة بين البيئة والانسان في مجمل هذه الديانات الوضعية يمكن تقبلها بما تعكسه من ايجابية تجاه البيئة، الا انه يصعب تقبل ذلك حينما تنعكس هذه المساواة سلبياً على الانسان، فمن المستحيل القبول بما ورد في نقش ياباني يحذر من المس بشجرة برقوق حينما يشير ان "كل من يقطع سعفة واحدة من هذه الشجرة سيبتر له اصبع!" [٩٤].

ويبدو انه مع الحاجة للتأكيد على اهمية التوجهات الفلسفية لمختلف الديانات الوضعية تجاه البيئة وما خلفته تلك التوجهات من علاقة توازن وتكامل بين الانسان والبيئة في هذه المجتمعات، الا ان جمود وتصلب كثير من هذه التوجهات سهل فيما يبدو انكسارها ليس امام ضغوط الواقع والحاجة لاستثمار موارد البيئة والانتفاع بها لتلبية الحاجات الاساسية – على الاقل – فحسب بل ايضاً امام قوة وضغط المؤثرات الخارجية ممثلة في الثقافة المادية وما خلقته من سلوك استغلالي ساعد الاستعمار على ترسيخه تحت مبرر التحضر والتقدم والتنمية، مما ادى إلى اضعاف البنية الدينية وقواعد السلوك البيئي التي وضعتها دون ان تقدم تلك الثقافة البديل المناسب. واذا كان هذا حال البيئة في الاقاليم الاسيوية حيث انتشار الديانات الشرقية، فان الحال ليس بافضل منه في اماكن اخرى من العالم النامي، وفي هذا الصدد يؤكد سميث وزملاؤه[٩٥]، ان محاولات الدول المتقدمة في سعيها نحو التوحيد الحضاري – الاقتصادي فان ما تقوم به هو تغيير طموحات الناس في الدول النامية بدون

ان تكون لديها الامكانيات لاشباع هذه الطموحات بل انها - أي الدول المتقدمة — تقوم بهدم مجتمعات بحيث ان الكوابح التي كانت تتحكم في تصرفاتها تم تحميلها قبل ايجاد البدائل[٩٦]، وهكذا، فان فرانسوا بيرو لم يبتعد عن الحقيقة عندما اشار "ان الغرب كان في مجمله مستمراً بدون ذمة"[٩٧].

ومع كل هذه المؤثرات للثقافة المادية على قيم ومعتقدات الشعوب، فإن هناك جوانب كثيرة لا زالت قائمة ومؤثرة في تفكير وسلوك هذه المجتمعات وهي بحاجة إلى البعث والتجديد والتطوير بما يمكنها من ان تشكل عناصر اساسية لفلسفة بيئية جديدة تكون مقبولة اجتماعياً بحيث ترسخ الاخلاقيات البيئية الواردة في تلك المعتقدات وتستثمر الانجازات الحضارية بما لا يتعارض مع الدين والتراث الذي تعتنقه هذه الشعوب أو يتجاهل الحضارة التي تعاصرها.

اما فيما يتعلق بموقف الديانات السماوية فتبين مما توصلت اليه الدراسة وجود بعض التباين في تناول موقف الديانات السماوية الثلاث من البيئة ومدى غناها بالاخلاقيات البيئية، واتضح ان موقف الاسلام بدا واضحا وصريحا بما لا يدعو مجالاً للشك فيما يتعلق بغناه بالاخلاقيات البيئية ومسؤولية الانسان تجاه البيئة باعتماده على مبدأ الوصاية أو الخلافة، والذي تدعمه نصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية، والقواعد الفقهية، واوضحت ذلك مجموعة من الدراسات[٩٨][٩٩][١٠٠][١٠١][١٠٢][١٠٣].

اما فيما يتعلق بالديانتين اليهودية والمسيحية (أو التقليد اليهودي المسيحي) فتبين من نتائج الدراسة ان الامر مختلف، فبينما يؤكد البعض مسؤولية الديانتين في الفصل بين الانسان والطبيعة واعطائه الحق المطلق في نهب البيئة واستغلالها وبالتالي تحميل التراث اليهودي المسيحي مسؤولية تفاقم

الازمة البيئية، فان البعض الاخر ينفي ذلك معللا ان الكثير من التدمير البيئي قد حصل قبل ظهور المسيحية فضلاً عن ان مثل هذا التدمير يبدو واضحاً في اقاليم اخرى غير مسيحية من العالم(١٠٤).

ويبدو انه من السهل الرد على الرأي القائل بوجود التدمير البيئي قبل ظهور المسيحية وفي اقاليم اخرى غير مسيحية مؤخراً، كما ان التدمير الشامل والخطير حصل اساسا عقب الثورة الصناعية حينما دخلت البشرية مرحلة جديدة وخطيرة في تعاملها مع البيئة إذ ان عمليات الاخلال بالبيئة قبل ظهور المسيحية لم تكن من الخطورة والكثافة بحيث تخل بالانظمة البيئية أو تهدد توازنها. اما فيما يتعلق ببروز التدمير أو الاخلال البيئي في اقاليم اخرى غير مسيحية من عالم اليوم، فان هذا القول على صحته، الا ان السبب يعود اساسا للمؤثرات الثقافية للمجتمعات المسيحية ومؤثراتها التكنولوجية والصناعية سواء اثناء فترة الاستعمار القديم أو الجديد، وما صحب ذلك من غزو ثقافي واقتصادي خلق نظرة نفعية اقتصادية تجاه البيئة ومواردها تحت مبررات السعي نحو التطوير والتنمية. وفيما يتعلق بمسؤولية الديانتين اليهودية والمسيحية في اعطاء الانسان الحق المطلق في نهب الطبيعة، فانه مع وضوح النصوص التي وردت في العهد القديم (سفر التكوين: الاصحاح الاول: ٢٦،٢٨) فان الجدال لا يزال قائماً حول هذا الجانب وسوف توضح مناقشة هذا الجانب بعض الآراء حول ذلك متجهة نحو الاجابة عن بعض التساؤلات التي ابرزتها نتائج الدراسة.

اما فيما يتعلق بالتساؤل حول كيفية اختلاف موقف الديانات السماوية الثلاث من البيئة رغم وحدة المصدر، فان وحدة المصدر لا تعني بالضرورة وحدة الشرائع والاحكام، فقد جاء الانجيل معدلا لبعض احكام

التوراة (ال عمران، الاية (٥٠))، كذلك جاء القرآن بتعديل بعض احكام الانجيل والتوراة (الاعراف، الاية ١٥٧))، وهذا التعديل لا يعني نقضا للشرائع السابقة بل وقوفا بها عند وقتها المناسب[١٠٥]، ولعل الموقف تجاه علاقة الانسان بالبيئة وما يعتريها من تغير وتطور، لهو احوج من غيره إلى وقفات علاجية تتناسب مع ما يفرضه ذلك التغيير أو التطور في الزمان والمكان، يدعم ذلك احتواء الشرائع السماوية على عناصر الاستمرار الذي يربط الحاضر بالماضي، وعنصر الانشاء والتجديد الذي يهيء الحاضر للتطور نحو المستقبل[١٠٦]. وبهذا يمكن تفسير ما يبدو من تباين في موقف كل من الديانات الثلاث – في صورها المنظورة – تجاه البيئة والاخلاق البيئية. وهناك مبادئ عامة تتفق فيها الديانات الثلاث يأتي في مقدمتها مبدأ التوحيد، الا ان هذا المبدأ لم يسلم ايضاً من انتقاد بعض الكتاب الغربيين المهتمين بشؤون البيئة، حيث حملوا التوحيد مسؤولية كل ما تعانيه البيئة من استتراف لمواردها أو تلوثها، يأتي في مقدمة هؤلاء ارنولد توينبي حيث اشار إلى ان "السفه في استهلاك كنوز الطبيعة التي لا تعوض وتلويث ما لم يتبدد منها يرجع في خاتمة المطاف إلى سبب ديني... هو ظهور التوحيد"[١٠٧]. وفي الاتجاه نفسه اشار وايت من ان تدني الطبيعة ناجم عن مفهوم التوحيد، وبذلك فهو يحمل الديانات الثلاث المسؤولية في ذلك[١٠٨][١٠٩].

ومع غرابة مثل هذا الطرح فانه يمكن ان يفسر على انه موقف انفعالي وعاطفي فهو انفعالي لما اعترى البيئة من مشكلات وتدهور في المجتمعات المسيحية على وجه الخصوص وهو عاطفي تجاه تلك المجتمعات التي لا تؤمن بوحدانية الخالق – أو على الاقل تبدو كذلك – والتي تقدس الطبيعة وتحرم أي ايذاء ولو بسيط تجاه أي كائن حي، إذ ان اراء وايت تلك جاءت – كما

يشير إلى ذلك رايلي[١١٠] – من مراقبته لمجموعة من البوذيين الذين كانوا يشقون طريقاً فاوقفوا العمل بها نظراً لاكتشافهم لاوكار ثعابين فيه! إذ رأى وايت لو أن الذين يشقون الطريق كانوا من المسيحيين لكن مصير الثعابين مختلف، ومع حقيقة ان المعتقدات الدينية لكل من البوذيين والهندوس والطاويين وغيرهم... كانت بمثابة محددات واسس فلسفية للتعامل مع البيئة، الا ان واقع الحال – قبل وصول المؤثرات الاجنبية – يشير إلى ان جميع هؤلاء لم يكونوا يولوا البيئة تلك الرعاية والتبجيل إذ بينت بعض الدراسات ان التأثير السلبي في البيئة حدث ايضاً في جميع اجزاء الهند والصين، حيث دلت الشواهد الاثرية القديمة والدراسات العلمية الحديثة ان صحراء راجازان بالهند نتجت في معظمها عن ازالة الغابات والرعي المفرط وتدهور التربة[١١١]. كما تشير الدراسات التاريخية للصين عن وجود مفتشين رسميين على الجبال والغابات، كما استخدمت الصناعات الصينية الاخشاب بدرجة كبيرة خاصة بعد القرن العاشر الميلادي كما شهدت الصين خلال القرن السادس عشر الميلادي مزيداً من قطع للغابات وتعرية للتربة[١١٢].

من خلال ما سبق يمكن القول انه من غير المقبول ان تلقى المسؤولية في بروز وتفاقم الازمة البيئية على أي اساس ديني، فالديانات بشكل عام وضعية كانت أو سماوية، اكدت الحاجة للاخلاق البيئية، فالديانات التوحيدية – في صورتها الاصلية – ميزت الانسان عن مكونات البيئة الاخرى باعطائه مكانة خاصة وربطها بالايمان بإله واحد الذي يعني ايماناً بالرقابة الدائمة على الانسان وكل سلوكاته بما يحفز لديه روح الالتزام والمسؤولية وهذا بطبيعة الحال لا يدعوه لان يقف موقف العداء من البيئة، ولا يخضعه لها، ولا يهبط به إلى مستويات الكائنات الاخرى بل جعله ينظر إلى البيئة بكل مكوناتها

باعتبارها من صنع الله وهي تعبر عن قدرتـــه ومقـــاصده، وبالتـــالي فـــهي ليســت مقدسة بذاتها بل انها تتخذ مظهرا مقدســـا[١١٣].

اما ما اظهرته بعض النصوص من العـــهد القـــديم فانـــه إذا مـــا تم الاخـــذ بدعوى التعديل والاضافات التي اعترت الديانتين اليهوديـــة والمســيحية فـــان هـــذا يمكن ان يدخل في اطار ذلك التعديل وتلك الاضافات. امـــا إذا مـــا افـــترض غـــير ذلك فانه يمكن اعتبار ما اوردته النصوص تلك مثل مرحلـــة مـــن مراحـــل تطـــور الديانات السماوية، فالديانة أو الشريعة اليهودية عنيـــت اساســا بوضـــع المبـــادئ الاولية للسلوك " لا تقتـــل "، "لا تســرق"، بينمـــا ارتقـــت المســيحية إلى آداب التسامح والرحمة والاحسان، وجاء الاسلام ليؤكـــد المبدأيـــن الســـابقين ويضيـــف اليهما، وهكذا فالشرائع الســـماوية كـــانت بمثابـــة خطـــوات متطـــورة ولبنـــات متراكمة في بنيان الدين والاخـــلاق[١١٤]. ومـــن ناحيـــة اخـــرى فـــان الآراء الـــتي تحمل الفكر اليهودي المسيحي المســؤولية في التدهـــور البيئـــي تبـــدو نابعـــة مـــن الخلط بين مسؤولية العلم الحديث والديانة المسيحية، فـــاذا كـــان العلـــم الحديـــث والمسيحية هما المعلمان البارزان للثقافة الغربية، فـــان مســـؤولية العلـــم الحديـــث في الفصل بين الانسان والبيئة وحثه علـــى اقصـــاء المعتقـــدات الدينيـــة وتأثيرهـــا في حياة الناس والسعي لاســـتغلال البيئـــة دون قيـــود يصعـــب اعتبارهـــا مســـؤولية الديانة المسيحية – في صورتها الاصلية على الاقل – لمجرد ترافـــق الاثنـــين معـــا في مراحل معينة من حياة المجتمعات الغربية، وفي هذا الصـــدد يؤكـــد رايلـــي[١١٥] مـــن ان العلم الحديث هو الذي فصل الانســـان عـــن البيئـــة واتضـــح ذلـــك بشـــكل واضح خلال القرنين الخامس عشـــر والثـــامن عشـــر الميلاديـــين، وان النـــاس في اوربا خلال العصور الوسطى كانوا مؤمنـــين بقـــوة الطبيعـــة ويعـــدون انفســـهم مشاركين فيها وليسوا ملاحظين. بينما اخذ العلماء يقيســـون الاشـــياء بـــدلا مـــن

ان يتناغموا معها، وكلما ازدادوا انشغالا بالقياس والعد، قلت رؤيتهم للاشياء الطبيعية في شموليتها. فاحد اتجاهات العلم هو عزل صفات الشئ التي يمكن قياسها وتجريدها ثم تناولها باعتبارها منفصلة عنه. وهكذا اصبحت هذه هي الشروط التي في ظلها تموت المخلوقات لسبب بسيط هو استحالة ان تزن فرشة – مثلاً – أو تقيسها وهي حية، وهكذا استخدمت هذه القوانين في الثقافة المسيحية(١١٦)، بل وأصبحت سمة عالمية تطغى على مجمل اقطار العالم. اثر ذلك برزت المشكلات البيئية ومظاهر تدهور البيئة في اقطار اخرى غير مسيحية تبعاً لمؤثرات تلك الثقافة المادية الغربية وطمسها لثقافات ومعتقدات هذه الشعوب. فالشعوب الاسلامية – على سبيل المثال – تمتلك غنى عقائدية واضحاً فيما يتعلق بالتعامل مع البيئة واخلاقياتها وتجسد هذا عالمياً طيلة فترة ازدهار الحضارة الاسلامية، فقد أقام الرسول ﷺ نظام الحمى حول المدينة لحماية الحياة البرية، كما قام بذلك العديد من الخلفاء فيما بعد، وهناك العديد من مناطق الحمى التي اقيمت غربي شبه الجزيرة العربية ولا زالت مثل هذه النظم قائمة حتى ان منظمة الاغذية والزراعة الدولية اعتبرت هذه الاراضي مثلاً رائعاً لافضل نظام رعي عرفه العالم(١١٧). الا انه تبعاً للمؤثرات الاستعمارية وما تبعها من غزو ثقافي اخذ العالم الاسلامي يتغير فاصبح مجتمعا اسلاميا في تقاليده وقيمة ولكنه غربي في سلوكه وتفكيره، ولا زال الناس يطمحون في اسلوب التطور الغربي(١١٨). ولم يكن الحال بأفضل منه في مجتمعات نامية اخرى، فالأفارقه يمتلكون في تراثهم وقيمهم الكثير بما يوفر لهم حلولا لكثير من مشكلاتهم البيئية الا انهم كثيرا ما يكونون على استعداد متزايد نحو السير على خطى النمط الغربي(١١٩). وهكذا فان انبثاق الثقافة المادية تبعها ضياع الكثير من الاخلاقيات البيئية المتمثلة في مختلف معتقدات

الشعوب وتراثـــها، وبذلـــك اصبحـــت الاخـــلاق المطلوبـــة للحضـــارة بـــدون استعمال، واصبح الانسان العصـــري يعيـــش في فلســـفة غـــير ناجحـــة أو انـــه لا يمتلك أي فلسفة[١٢٠]، وعلى هذه الاساس يؤكد اسفيتســـــر "ان الحضـــارة الـــتي لا تنمو فيها الا النواحي المادية دون ان يواكب ذلك نمو مكـــــافئ في ميـــدان الـــروح هي اشبه ما تكون بسفينة اختلت قيادها ومضت بســـرعة مـــتزايدة نحـــو الكارثـــة التي ستقضي عليـــها"[١٢١].

وبناء على جملة الافكـــار الـــتي تناولناهـــا في مناقشـــة جوانـــب المنحـــى العقائدي للتربية البيئية، يمكن استخلاص المبـــادئ الســـتة التاليـــة الـــتي تســـهم في وضع اساس فلسفي مطلوب للتربية البيئيـــــة[١٢٢]:

مبدأ (١): مثلت الاخلاقيات البيئيـــة في معتقـــدات وتـــراث الشـــعوب محـــددات ومنطلقات فلسفية هامة في ارساء علاقة التوازن والتكـــامل بـــين الانســـان والبيئـــة لذا فمن غير المعقول ارجاع الازمة البيئية لاي اســـاس ديـــني.

مبدأ (٢): تجاهل موقع الانسان وتميزه عن مكونات البيئـــة هـــو تجـــاهل للحقيقـــة وطمس لكرامة الانسان وخياراته العقليـــة والاخلاقيـــة.

مبدأ (٣): خصوصية الانسان وموقعه، والواقع العالمي يجعـــلان مـــن غـــير الممكـــن قبول التوجهات العقائدية التي تدعو لتقديـــس الطبيعـــة.

مبدأ (٤): تأثرت الاخلاقيات البيئية في تراث ومعتقـــدات الشـــعوب بمـــا ادى إلى طمس واستبعاد الكثير منها تحت مؤثرات الغـــزو الاجنـــبي والثقافـــة الماديـــة ممـــا يستوجب بعث وتجديد وتطوير تلك الاخلاقيـــات بمـــا يمكنـــها مـــن ان تشـــكل عناصر رئيسية في فلسفة التربية البيئية المعـــاصرة.

مبدأ (٥): الايمان بالله يعني ايمان بالرقابـــة الدائمـــة علـــى الانســـان وســـلوكاته، وهذا يحفز روح المسؤولية والالتزام الخلقي تجـــاه البيئـــة.

مبدأ (٦): مبدأ الخلافة أو الوصاية لا يدعو إلى اعتبار البيئة عدواً كما لا يعطي الانسان الحق المطلق في السيطرة عليها بل يجعل الانسان ينظر اليها باعتبارها امانة الله، وبذلك تتخذ البيئة مظهراً مقدساً وليست مقدسة بذاتها.

اما توصياتنا في ضوء العرض الشامل للمنحى العقائدي للتربية البيئية فنوجهها إلى الباحثين في مجال التربية البيئية وواضعي سياسات واستراتيجيات التربية البيئية النظامية وغير النظامية ومنفذي برامجها وتتمثل هذه التوصيات بما يلي:

اولا: ينبغي ان ينطلق الباحثون عند معالجتهم لاسباب الازمة البيئية من نظرة عالمية عميقة تكشف عن العوامل الاساسية النابعة من المفهوم الاخلاقي الخاطئ لعلاقة الانسان بالبيئة، والغلو في اتباع الفلسفة الوضعية وتأثيراتها في خلق نظرة مجزأة للبيئة.

ثانيا: ينبغي على واضعي سياسات واستراتيجيات التربية البيئية النظامية وغير النظامية، ان يأخذوا بالاعتبار عند تحديد غايات واهداف التربية البيئية الاستفادة من المنظومات الاخلاقية لمختلف المجتمعات، والثقافات، والاديان، بما يساعد على بناء اساس اخلاقي عالمي يكفل احترام البيئة واحترام الانسان وكرامته، والمطالبة بنوعية حياة تسودها روح المشاركة لاسرة واحدة في وطن واحد.

ثالثا: ينبغي على مخططي برامج التربية البيئية ومنفذيها ان يسعوا لتحقيق هدف التربية البيئية في ايجاد الانسان البيئي (Ecolate) المتحلي بالانضباط الذاتي النابع من الاساس العقائدي ولديه خلقا ذا بعد عالمي شامل يمكنه من ان يعيش في وئام مع نفسه، ومع الاخرين، ومع البيئة الي يعيش فيها.

رابعا: ينبغي على الباحثين في التربية البيئية وفلسفتها اجراء دراسات تفصيلية تتناول الاخلاقيات البيئية في ثقافات ومعتقدات الشعوب بما يساعد على استثمار التراث القيمي والعادات والتقاليد في انجاح برامج التربية البيئية واستراتيجياتها.

الهوامش

(١) كريستوفر بارك، التربية البيئية: المشكلات والاولويات والتوقعات (محمد سعيد صباريني، مترجم). دراسة غير منشورة، جامعة اليرموك، ١٩٨٣.

(٢) سعيد محمد الحفار، نحو بيئة افضل، ط١، (قطر: دار الثقافة: ١٩٨٥).

(٣) كريستوفر بارك، نحو فلسفة للتربية البيئية (محمد سعيد صباريني، مترجم)، رسالة المعلم، ٢٧ (١)، ١٩٨٦، ٦١-٧٢.

(٤) محمد صباريني، قضايا اساسية في التربية البيئية، سلسلة قضايا بيئية، العدد (٣٨)، الجمعية الكويتية لحماية البيئة، ١٩٩٠.

(٥) احمد السقاف، نحو فلسفة للتربية البيئية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الاردن، ١٩٩٤.

(٦) صلاح الدين الشامي، الندية بين الانسان والطبيعة، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، والجمعية الجغرافية الكويتية، ١٩٨٥.

(٧) زين الدين عبد المقصود، البيئة والانسان: علاقات ومشكلات (الاسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٨١).

(٨) اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك (سلسلة عالم المعرفة، ١٤٢، ١٩٨٩).

(٩) مصطفى كمال طلبة، انقاذ كوكبنا: التحديات والامال (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية وبرنامج الامم المتحدة للبيئة، ١٩٩٢).

(١٠) شارلس هـ. ساوثويك، علم البيئة ونوعية بيئتنا (قيصر نجيب صالح وسهيلة الدباغ وطارق محمد صالح، مترجمون)، جامعة الموصل، ١٩٨٤.

(11) M. Yaziz, Envirnomental Ethics. Final Report of the Sub- regional Training Workshop on non – formal Environmetal Education for Asia (pp. 109-124),

University Pentanain, Malysia in Cooperation with IEEP, Serdary, Selander, Malysia, 1985.

(١٢) ليوبولد شبابو، العالم الثالث والتربية البيئية، رسالة الخليج العربي ٥ (١٥)، ١٦٩ – ١٧٩.

([13])M. Yaziz, 1985, op.cit.

([14]) Mohammad S. Subbarini, Biocentrism as an Approach to Environmetal Ethics: An Islamic Determiner for Environmental Education. Int. Jornal of Environmental Education and Information, 12 (3), 207-212, 1993.

(١٥) محمد صباريني واحمد السقاف، تأملات في منطلقات للتربية البيئة، سلسلة قضايا بيئية، العدد (٤٦)، الجمعية الكويتية لحماية البيئة، ١٩٩٧.

(١٦) تيبري بيلورج، قمة ريو ومن بعدها الطوفان، الثقافة العالمية، ٩ (٥٥)، ٦٢ – ٦٣، ١٩٩٢.

(١٧) اليونسكو، التربية البيئية: عملية وضع منهج دراسي لتدريب المعلمين قبل الخدمة، سلسلة التربية البيئية (٣٦)، قسم تعليم العلوم والتعليم التقني والبيئي، باريس، ١٩٨٨.

(١٨) اليونسكو، التربية البيئية: نموذج للاعداد ما قبل الخدمة لمعلمي ومشرفي المدارس الابتدائية، سلسلة التربية البيئية (٥)، قسم تعليم العلوم والتعليم التقني والبيئي، باريس، ١٩٩٠.

(١٩) احمد السقاف، ١٩٩٤، مرجع سابق.

(٢٠) محمد صباريني، ١٩٩٠، مرجع سابق.

(٢١) احمد السقاف، ١٩٩٤، مرجع سابق.

(22) D. Meadws, Harvesting one Huntredfold, key Concepts and Case studies in Environmental Education, UNEP, Nairobi, 1989.

(٢٣) محمد صباريني ورشيد الحمد، الانسان والبيئة (التربيـــة البيئيـــة)، ط١، مكتبـــة كتـــاني، اربـــد، الاردن، ١٩٩٤.

(24) M. Yaziz, 1985, op.cit.

(٢٥) علي خليل مصطفى وفايز محمد عبده، الموجهات الاسلامية للتربيـــة البيئيـــة وتضمينـــها في مناهج التعليم العـــام، دراســـات تربويـــة، ٤ (١٩)، ٢٠٦ — ٢٥٠، ١٩٨٩.

(٢٦) اليونسكو، الاخلاق البيئية، الهدف النـــهائي للتربيـــة البيئيـــة، الرابطـــة، ١٦ (٥)، ١ — ٥، ١٩٩١.

(27) R.K. Sinha, Environmentalism and Environmental Ethics in the Religious Faith any phyilosophy of India, Int. Journal of Environmental Education and Information, 15 (2), 135-146, 1996.

(٢٨) علي خليل مصطفى وفايز محمد عبده، ١٩٨٩، مرجـــع ســـابق.

(٢٩) سمير عبد المنعم ابو العينين، اصول الاخلاق الدولية "فلســـفة العلاقـــات الدوليـــة"، ط١ (القـــاهرة، ١٩٨٩).

(٣٠) جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب (امـــام عبـــد الفتـــاح امـــام، مـــترجم)، سلسلة عالم المعرفـــة (١٧٣)، ١٩٩٣.

(٣١) احمد شلبي، مقارنة الاديان: اديـــان الهنـــد الكـــبرى، ط٨، مكتبـــة النهضـــة المصريـــة، ١٩٨٦.

(٣٢) جفري بارندر، ١٩٩٣ مرجع ســـابق.

(33) R.K. Sinha, 1996, op.cit.

(34) Sheel K. Asopa, Environmental Ethics: A Hindu Perspective, Int. Journal of Environmental Education and Information, 11 (3), 147-162, 1992.

(35) M. Yaziz, 1985, op.cit.

(36) Sheel K. Asopa, 1992, op.cit.

(37) Ibid.

(٣٨) كافين رايلي، الغرب والعالم (عبد الوهـــاب المســـيري وهـــدى حجـــازي، مترجمـــان)، سلسلة عالم المعرفـــة، (٩٠)، ١٩٨٥.

(39) Sheel K. Asopa, 1992, op.cit.

(٤٠) احمد شلبي، ١٩٨٦، مرجع ســـابق.

(٤١) جفري بارندر، ١٩٩٣، مرجع ســـابق.

(٤٢) احمد شلبي، ١٩٨٦، مرجع ســـابق.

(43) M. Yaziz, 1985, op.cit.

(٤٤) احمد شلبي، ١٩٨٦، مرجـــع ســـابق، ١٧٧ – ١٧٨.

(٤٥) سمير عبد المنعم ابو العينين، ١٩٨٩، مرجـــع ســـابق، ٢٢٦.

(٤٦) اورانج كاي داتو بحر الدين، التفكير الديني في العـــالم قبـــل الاســـلام، (رؤوف شـــلبي، مترجم)، دار الثقافة، الدوحـــة، ١٩٨٣.

(47) M. Yaziz, 1985, op.cit.

(٤٨) سمير عبد المنعم ابو العينين، ١٩٨٩، مرجـــع ســـابق، ٢٣١.

(٤٩) جفري بارندر، ١٩٩٣، مرجع ســـابق.

(٥٠) المرجع السابق نفســـه.

(51) M. Yaziz, 1985, op.cit.

(٥٢) جفري بارندر، ١٩٩٣، مرجع ســـابق.

(٥٣) كافين رايلي، ١٩٨٥، مرجـــع ســـابق، ٢٥٨.

(54) M. Yaziz, 1985, op.cit.

(٥٥) الشيخ ابراهيما نيانج، من الازمـــات الايكولوجيـــة في الغـــرب إلى مشـــكلة الطاقـــة في افريقيا، المجلة الدوليـــة للعلـــوم الاجتماعيـــة، (١٢٤)، ١٠١-١١٥، ١٩٩٠.

(56) M. Yaziz, 1985, op.cit.

(٥٧) هنري سكوليموفسكي، فلسفة البيئـــة (دمـــتري افيـــرنيوس، مـــترجم) ط١، دمشـــق، الابجدية للنشـــر، ١٩٩٢.

(٥٨) شارلس هـــ. ساوثويك، ١٩٨٤، مرجـــع ســـابق، ١٧٣.

(٥٩) كافين رايلي، ١٩٨٥، مرجــع ســابق، ٢٥٠.

(60)M. Yaziz, 1985, op.cit.

(٦١) ضياء الدين سردار، نحو نظرية اسلامية عن البيئة (سميــة البطــراوي، مترجمــة)، المســلم المعــاصر، ١٥ (٩٥)، ١٩٩١، ٧٨.

(٦٢) كاصد ياســر الزبيــدي، الطبيعــة في القــرآن الكــريم، سلســلة دراســات (٢٣٦)، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافــة والاعــلام، ١٩٨٠.

(63)M. Yaziz, 1985, op.cit.

(٦٤) شارلس هـــ. ساوثويك، ١٩٨٤، مرجـــع ســابق.

(65)M. Yaziz, 1985, op.cit.

(٦٦) شارلس هـــ. ساونديك، ١٩٨٤، مرجـــع ســابق.

(٦٧) كافين رايلي، ١٩٨٥، مرجع ســـابق.

(68) Sheel K. Asopa, 1992, op.cit.

(69)Yaziz, 1985, op.cit.

(٧٠) ضياء الدين سردار، ١٩٩١، مرجـــع ســابق.

(٧١) كافين رايلي، ١٩٨٥، مرجـــع ســابق، ٢٥١.

(٧٢) ضياء الدين سردار، ١٩٩١، مرجـــع ســابق.

(٧٣) خالد فاروق اكبر، الازمة البيئية والدين: وجهة النظـــر الاســلامية، الفكــر الاســلامي والابــداع العلمــي، ٣ (١)، ١٩٩٣، ١٨ – ٢٢.

(٧٤) شارلس هـــ. ساوثويك، ١٩٨٤، مرجـــع ســابق.

(75) Sgeel K. Asopa, 1992, op.cit.

(٧٦) ابراهيم زيد الكيلاني، حماية البيئـــة في الاســلام، دراســات: العلــوم الانســانية، ١٩ (٤)، ١٩٩٢، ١٧٥ – ٢٣٠.

(٧٧) مقداد يالجن، الاتجاه الاخلاقي في الاسلام: دراســة مقارنــة، ١٩٧٣، (غــير معــروف بلد النشر أو دار النشــر).

(٧٨) خالد فاروق اكبر، ١٩٩٣، مرجـــع ســابق.

(٧٩) ضياء الدين سردار، ١٩٩١، مرجـــع ســـابق.

(٨٠) داؤود علي الفاعوري، غاية الانسان في الحيـــاة كمـــا يصورهـــا الاســـلام، دراســـات: العلـــوم الانســـانية، ١٩ (٤)، ١٩٩٢، ٢٩٧ — ٢٣٣.

(٨١) عبد الرحمن ابراهيم المطرودي، الانسان: وجوده وخلافتـــه في الارض في ضـــوء القـــرآن الكريم، القاهرة: مكتبة وهبـــة، ١٩٩٠.

(٨٢) رفيق يونس المصري، الخلافة والاستخلاف، مجلة بحـــوث الاقتصـــاد الاســـلامي، ٢(١)، ١٩٩٢، ٦٩-٩٠.

(٨٣) خالد فاروق اكبر، ١٩٩٣، مرجـــع ســـابق.

(٨٤) سيد قطب، في ظـــلال القـــرآن الكـــريم، ط٧ (ج١٠)، بـــيروت: دار احيـــاء الـــتراث العـــربي، ١٩٧١.

(٨٥) عبدالرحمن المطرودي، ١٩٩٠ ، مرجـــع ســـابق.

(٨٦) داؤود الفاعوري، ١٩٩٢، مرجع ســـــابق

(٨٧) كاصد ياسر الزبيدي، ١٩٨٠، مرجـــع ســـابق.

(88) M. Yaziz, 1985, op. cit.

(٨٩) مقداد بالجن ، ١٩٧٣، مرجع ســـــابق.

(٩٠) ضياء الدين سردار، ١٩٩١، مرجـــع ســـابق.

(٩١) كافين رايلي، ١٩٨٥، مرجع ســـــابق.

(٩٢) فيليب ب. فينكس، فلسفة التربية (محمـــد لبيـــب النجيحـــي، مـــترجم)، القـــاهرة: دار النهضة العربيـــة، ١٩٦٥.

(٩٣) هوين كاوتري، الثقافـــة والتربيـــة والتنميـــة الذاتيـــة، التربيـــة الجديـــدة، ١٢ (٣٤)، ١٩٨٥، ١١٨.

(٩٤) كافين رايلي، ١٩٨٥، مرجـــع ســـابق، ٢٦٠.

(٩٥) ادوارد غولد سميث ورفقاه، من اجل البقاء احيـــاء (ســـعد الديـــن خرفـــان، مـــترجم) ط١، دمشق، دار طـــلاس، ١٩٨٨.

(٩٦) المرجع السابق نفســـه.

(٩٧) فرانسوا بيرو، فلسفة لتنميــــة جديــدة، ط١، المؤسســة العربيــة للدراســات والنشــر واليونســكو، ١٩٨٣، ٢٣٧.

(98) M. Yaziz, 1985, op.cit.

(٩٩) علي خليل مصطفى وفايز محمد عبده، ١٩٨٩، مرجـــع ســابق.

(١٠٠) ضياء الدين سردار، ١٩٩١، مرجـــع ســابق.

(١٠١) ابراهيم زيد الكيلاني، ١٩٩٢، مرجـــع ســابق.

(١٠٢) خالد فاروق اكبر، ١٩٩٣، مرجـــع ســابق.

(103) Mohammad S. Subbarini, 1993, op.cit.

(104) R.K. Sinha, 1996, op.cit.

(١٠٥) محمد عبد الله دراز، الدين، بحــوث ممــهدة لدراســة الاديــان، ط٢، الكويــت، دار القلــم، ١٩٧٠.

(١٠٦) المرجع السابق نفســه.

(١٠٧) كافين رايلي، ١٩٨٥، مرجـــع ســابق، ٢٥٠.

(١٠٨) ضياء الدين سردار، ١٩٩١، مرجـــع ســابق.

(١٠٩) خالد فاروق اكبر، ١٩٩٣، مرجـــع ســابق.

(١١٠) كافين رايلي، ١٩٨٦، مرجع ســـابق.

(١١١) شارلس هـــ. ساوثويك، ١٩٨٤، مرجـــع ســابق.

(١١٢) كافين رايلي، ١٩٨٥، مرجع ســـابق.

(١١٣) فيليب ب. فينكس، ١٩٦٥، مرجـــع ســابق.

(١١٤) محمد عبد الله دراز، ١٩٧٠، مرجـــع ســابق.

(١١٥) كافين رايلي، ١٩٨٥، مرجع ســـابق.

(١١٦) المرجع السابق نفســه.

(١١٧) ضياء الدين سردار، ١٩٩١، مرجـــع ســابق.

(١١٨) ضياء الدين سردار، العلــم والتكنولوجيــا والتنميــة في الاقطــار الاســلامية (عــزت جرادات وصادق عودة، مترجمــان) ط١، عمــان، ١٩٨٢.

(١١٩) الشيخ ابراهيما نيانج، ١٩٩٠، مرجـــع ســـابق.

(١٢٠) البرت اسفيتسر، فلسفة الحضارة (عبدالرحمـــن بـــدوي، مـــترجم)، ط٢، بـــيروت، دار الاندلـــس، ١٩٨٠.

(١٢١) المرجع السابق نفســـه، ١٠٧.

(١٢٢) احمد السقاف، ١٩٩٤، مرجع ســـــابق.

مستويات ضغط العمل بين الممرضين القانونيين
دراسة مقارنة بين المستشفيات العامة والمستشفيات الخاصة

أ. د. زهير الصباغ

كلية العلوم الإدارية والمالية – جامعة الإسراء

ملخص

تهدف الدراسة إلى التعرف على مستويات ضغط العمل التي يتعرض لها الممرضون القانونيون العاملون في كل من مستشفيات وزارة الصحة والمستشفيات الخاصة. كذلك التعرف على علاقة مستويات ضغط العمل بكل من متغيرات بيئة العمل التمريضي وأيضاً متغيرات البيئة الشخصية للممرض القانوني. وقد تم أخذ عينتين لأغراض الدراسة على أساس ميزان (KINZEL)

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

١- ارتفاع الشعور بمستوى عال من ضغط العمل.

٢- توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في بيئة عمل عينة الدراسة ناتجة عن مصادر ضغط العمل.

٣- توجد فروقات ذات دلالة إحصائية ناتجة عن اختلاف طبيعة العمل في الأقسام.

٤- توجد فروقات ذات دلالة إحصائية تعزى إلى متغيرات البيئة الشخصية لدى عينة الدراسة.

JOB STRESS AMONG STAFF NURSES IN BOTH PUBLIC AND PRIVATE HOSPITALES

Zoheir N.El-Sabbagh
Faculty Of Business & Administration
Al- Isra University

ABSTRACT

A Comparative study aimed to identify the level of stress among staff nurses in the ministry of health and in the private sector hospitals. Two stratified samples of staff nurses were taken randomly. A developed questionnaire was used based on Kinzel's scale.

Findings related to nursing environment indicated that both samples experienced a high level of job stress with significant statistical differences between them. Results also indicated that there was a significant statistical difference related to the sociodemographical variables.

المقدمة :

يعتبر ضغط العمل أحد الموضوعات الرئيسة التي يهتم بدراستها العديد من الباحثين في السلوك الإنساني، حيث أن مستويات معينة من ضغط العمل قد تكون لها آثار سلبية على صحة الأفراد العاملين وعلى أدائهم وإنتاجيتهم.

يعتبر هانس سيلي (HANS SELYE) من الرواد الأوائل الذين اكتشفوا هذه الظاهرة وحدد مفهومها وأعطاها اسمها الحالي: ضغط العمل (JOB STRESS). وقد ظهر العديد من الدراسات اللاحقة التي تمحورت حول معرفة مستويات ضغط العمل وأسبابه وآثاره على إنتاجية وأداء الفرد العامل. توصلت معظم الدراسات إلى وجود علاقة سلبية بين مستويات ضغط العمل والإنتاجية. وهناك من يقول ليس هناك أثر سلبي لضغط العمل بل من الممكن إذا توافرت درجة معينة من أن يكون / يصبح حافزا لزيادة الإنتاجية وتحسين الأداء.

أهمية الدراسة :

١- لم يحظ موضوع ضغط العمل في العالم العربي بالاهتمام والدراسة التي يستحقها رغم العناية المتزايدة به في الدول المتقدمة لعلاقته الوثيقة بالإنتاجية والأداء والاهتمام بصحة وسلامة العاملين من جانب آخر.

٢-التعرف على مستويات ضغط العمل التي تتعرض لها شريحة اجتماعية خدمية مهمة جداً وذات علاقة بصحة وسلامة المواطن وهي شريحة الممرضين القانونيين العاملين في مستشفيات وزارة الصحة في الأردن ومستشفيات القطاع الخاص.

٣-معرفة مستويات ضغط العمل - من خلال المسح الميداني- التي يشعر بها الممرضون القانونيون والمتعلقة بمصادر ضغط العمل والناتجة عن عدة مصادر/

متغيرات في بيئة العمل حيث أن مهنة التمريض من المهن التي تعاني من ارتفـاع في مستويات ضغط العمل.

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى ما يلي :

١-التعرف على مستويات ضغط العمل التي يتعرض لهـا المرضـون القـانونيون (STAFF NURSE) في كل من مستشـفيات وزارة الصحـة والمستشـفيات الخاصة.

٢-التعرف على مستويات ضغط العمل وعلاقتها بمتغيرات بيئة العمل كمتغير مسـتقل وتشمل العلاقة مع المريض ، العلاقة مع الإدارة ، العلاقة مع الطبيب، العلاقة مـع الزملاء ، التعامل مع الأجهزة والمعدات الطبية، والعلاقة مع زائري المريض.

٣-التعرف على مستويات ضغط العمل في مختلف أقسام وشعب العمل التي يعمل بها الممرضون القانونيون.

٤-التعرف على مستويات ضغط العمل وعلاقتها بمتغيرات البيئة الشخصية للممـرض في كل من مستشفيات وزارة الصحة والمستشفيات الخاصة.

أسئلة وفرضيات الدراسة :

تطرح الدراسة السؤالين التاليين وهما :

١-ما هو تقييم أفراد عينة الدراسة لمستويات ضغط العمـل في مستشـفيات وزارة الصحة.

٢-ما هو تقييم أفراد عينة الدراسة لمستويات ضغط العمل في مستشـفيات القطـاع الخاص.

وفي ضوء هذين السؤالين تسعى الدراسة إلى اختبار الفرضيات التالية :-

١-توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل بين المرضين القانونيين في كل من مستشفيات وزارة الصحة والمستشفيات الخاصة.

٢-توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل باختلاف أقسام وشعب العمل التي يعمل بها المرضون القانونيون في المستشفيات العامة.

٣-توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل باختلاف أقسام وشعب العمل التي يعمل بها المرضون القانونيون في المستشفيات الخاصة.

٤-توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل بين أقسام وشعب العمل المتماثلة في كل من المستشفيات العامة والخاصة.

٥-توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل باختلاف المتغيرات الشخصية لعينة الدراسة.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المسح الميداني لأفراد عينة الدراسة للتعرف على مستويات ضغط العمل باستخدام استبانة أعدت لذلك. يتكون مجتمع الدراسة من الممرضين القانونين العاملين في كل من مستشفيات وزارة الصحة ومستشفيات القطاع الخاص والبالغ عددهم حسب المصادر الرسمية (إحصائية نقابة الممرضين لعام ١٩٩٦) ٤٣١٧ ممرضا قانونيا يعمل منهم ١٥٤٥ في مستشفيات وزارة الصحة و ١٥٩٨ في المستشفيات الخاصة. تم أخذ عينتين انتقائيتين طبقيتين من الممرضين القانونيين: الأولى من العاملين في أكبر خمسة مستشفيات تابعة لوزارة الصحة هي : البشير، الأميرة بسمة، المفرق، الزرقاء، الحسين حيث بلغ عدد الممرضين القانونيين الذين شملتهم العينة ٣٠٠ ممرض/ممرضة قانونية أي بنسبة تمثيل تبلغ ١٩% من مجتمع الدراسة والعينة الثانية من الممرضين القانونيين العاملين في ستة مستشفيات خاصة هي الإسلامي، الخالدي،

ابن النفيس، المركز العربي للقلب، راهبات الوردية، حيث بلغ عدد من شملتهم الدراسة ٣١٠ ممرض/ ممرضة قانونية أي بنسبة تمثيل تبلغ ١٩% من مجتمع الدراسة.

أداة الدراسة :

تتمثل أداة الدراسة في الاستبانة التي تم إعدادها لتحقيق أهداف الدراسة والتي تتألف من جزئين رئيسيين هما : الجزء الأول والذي يتعلق بالمعلومات الشخصية كمصادر شخصية للضغط في العمل والجزء الثاني ويتألف من مقياس (KINZEL) لقياس مستويات ضغط العمل بين الممرضين القانونيين . يتألف هذا المقياس من عشرين سؤالا ولكل سؤال علامة معينة والعلامات مرتبة ترتيباً تنازليا حسب تسلسل الأسئلة. ويقيس المقياس ٦ معادلات للضغط هي : ضغط التعامل مع الإداريين ، التعامل مع المريض، التعامل مع الطبيب، التعامل مع الزملاء ، التعامل مع الأجهزة والمعدات الطبية وأخيراً مصادر ضغط التعامل مع زائري المريض.

تبلغ مجموع علامات المقياس ٠٩٠٠ ولغرض تبسيط الاجابة فقد تم تحويل طريقة تخمين العلاقة لكل إجابة إلى تقسيم علامة كل سؤال إلى خمسة أجزاء وهي من ١/٥ (= نادرا) الى ٥/٥ (= كثيراً جدا) وبالتالي يصبح المجموع النهائي لمستوى ضغط العمل هو مجموع العلامات التي تم اختيارها لكل سؤال وضمن المستويات التالية:-

١-مستوى ضعيف جداً من ضغط العمل (صفر – ١٨٠ علامة)

٢-مستوى ضعيف من ضغط العمل (١٨١-٣٦٠ علامة)

٣-مستوى متوسط من ضغط العمل (٣٦١-٥٤٠ علامة)

٤-مستوى عال من ضغط العمل (٥٤١-٧٢٠ علامة)

٥-مستوى عال جدا من ضغط العمل (٧٢١-٩٠٠ علامة)

وقد تم استخراج معامل كرونباخ للاتساق الداخلي حيث بلـــغ (٠,٨٧١) وتلك نسبة جيدة لغرض التأكد من صدق وثبات أداة الدراسة.

التحليل الإحصائي :

لأغراض إجراء التحليل الإحصائي سيتم استخدام التكرارات والنسب المئويـــة لوصف الخصائص الشخصية لعينة الدراسة. أما لاختبار فرضيات الدراسة فسوف يتـــم استخدامات المتوسطات الحسابية والانحرافات المعياريـــــة . كمـــا ســـيتم اســـتخدام الاختبارات التالية لإظهار مستوى الأهمية الإحصائية بين المتغيرات التي يتم مقارنتها.

١-اختبار (KRUSKAL WALLIS) لإظهار مستوى الأهمية بين ثلاثة متغـــيرات أو أكثر في ضغط العمل بين عينة الدراسة.

٢-اختبار (MANN WHITENY) لإظهار مستوى/ وجود فروقات إحصائية بين متغيرين في ضغط العمل بين عينة الدراسة.

٣-اختبار (NWMAN KEULS) لإظهار مستوى/ وجود فروقـــات إحصائيـــة بمقارنة زوجية للأوساط الحسابية.

الخلفية النظرية :

هناك تباين في تحديد مفهوم ضغط العمل ويعود هـــذا التبـــاين إلى ارتبـــاط الدراسات المتعلقة بضغط العمل بعدة علوم منـــها الطـــب ، علـــم النفـــس، علـــم الاجتماع...الخ. كما أن هناك عدة اتجاهات لمفهوم ضغط العمل منها أنه ضغط محفـــز (STIMULUS) ، أنه اســـتجابة (RESPONSE) وأنـــه يتفـــاعل مـــن البيئـــة (TRANSACTION).

ما هو ضغط العمل؟ هناك العديد من التعاريف منها تعريف الهندي (١٩٨٠، ص ٤٤) بأنه الحالة التي تتفاعل فيها العوامل المتعلقة بالعمل مع الفرد لكي تتغير حالته النفسية ، والبدنية بحيث يجبر على التحول عن أسلوب ممارسته للعمل. وقد عرفه الصباغ [١] بأنه الوضع الذي يشير إلى الموقف الذي يؤثر في التفاعل بين ظروف العمل وشخصية الفرد على حالته النفسية والبدنية الأمر الذي قد يدفعه إلى تغيير نمط سلوكه الاعتيادي. أيضا هناك تعريف Baron[٢] الذي يقول إنه استجابات بدنية ونفسية وسلوكية للأفراد لمواقف قد تكون متطلباتها الحالية أكبر من قدرات الأفراد للتأقلم معها. من خلال استعراض تلك التعاريف والتعاريف الأخرى يمكن استخلاص ثلاثة اتجاهات لضغط العمل وهي :-

١-الاتجاه الأول وينظر إلى ضغط العمل على أنه رد فعل طبيعي لجسد الإنسان فسيولوجيا ونفسيا لمتطلبات تقع عليه من البيئة الخارجية.

٢-أما الاتجاه الثاني فينظر إلى ضغط العمل على أنه التفاعل بين شخصية الفرد والبيئة بحيث ينتج عن هذا التفاعل تغييرات نفسية وجسدية ، فقد تحدث انحرافات في أداء الفرد الطبيعي.

٣-أما الاتجاه الأخير فينظر إلى ضغط العمل على أنه الاستجابة الطبيعية لجسم الإنسان نفسيا وسلوكيا لمتطلبات أكبر من قدرات الفرد على التأقلم معها.

هناك العديد من أنواع الضغط التي يتعرض لها الفرد في موقف ما منها الضغط المادي، الضغط العاطفي، الضغط الفكري، الضغط الاجتماعي، الضغط الروحي[٣].

ولهذه الضغوط خصائص عدة هي [٤]:

١-إن الضغط عملية إدراكية في المقام الأول.

٢-إن الضغط المدرك هو الربط بين وجهة نظر الفرد بما يمتلكه من قدرات عقلية وجسدية وبين متطلبات الموقف.

٣-إن الضغط المدرك هو محصلة لمدى أهمية الموقف وفقاً للإدراكات الذاتية للفرد نفسه.

٤-إن الضغط عملية تكييف الفرد لقدراته مع متطلبات موقف معين.

٥-قد يكون الضغط إيجابياً أو سلبياً كمحفز.

يتضح من خلال تلك الخصائص أن هناك علاقة بين ضغط العمل وشخصية الفرد استنادا إلى إدراك الفرد للموقف، خبراته السابقة، ونمط شخصيته[٥]:

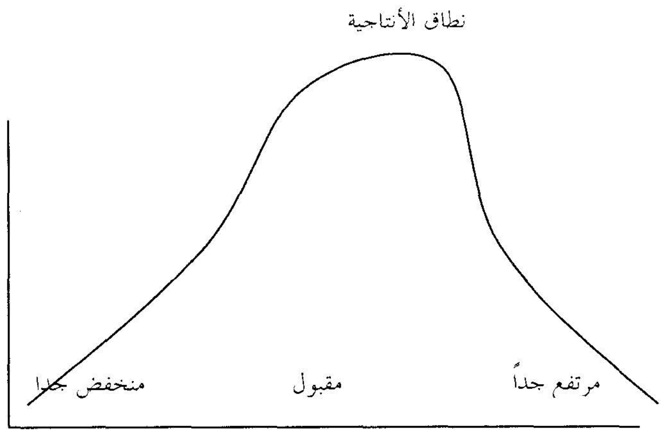
مصادر ضغط العمل:

إن حالة الاحساس بالضغط قد لا تكون بالضرورة بسبب مصدر واحد فقط وإنما قد يشترك في نسجها مصادر عدة بعضها بيئية وبعضها شخصية وبعضها نتيجة التفاعل بين البيئة والشخصية. في داخل العمل هناك عدة مصادر للضغط منها العلاقات في العمل، الهيكل والمناخ التنظيمي، دور الإدارة، خصائص العمل، نظام الإشراف....الخ[٦] ، هناك من يقول أيضا إن مصادر ضغط العمل هي عوامل ضغط بيئة العمل المادية، عوامل ضغط فردية، عوامل ضغط تنظيمية والعلاقة مع الآخرين[٧].

انعكاسات ضغط العمل:

مما لا شك فيه أن لضغط العمل انعكاساته وتأثيراته الصحية والنفسية والذهنية والسلوكية والأدائية على الفرد. وقد يكون هذا التأثير إيجابياً أو سلبياً للموقف والفرد. كما أن هناك تأثيراته التنظيمية على المنظمة سلباً أو إيجاباً متمثلة في كل من الأداء الفردي والأداء التنظيمي والذي يمكن توضيحه في الشكل رقم (١).

أما فيما يختص بانعكاساته على المستوى التنظيمي فقد يتمثل ذلك في ضعف الولاء، ضعف الأداء، ارتفاع نسبة الغياب، عدم الرضا الوظيفي، ارتفاع نسبة دوران العاملين، والحوادث والاصابات في العمل[٨].



الشكل رقم (١) العلاقة بين مستوى الضغط ومستوى الأداء

المصدر:

RICHARD MORANO, " HOW TO MANAGE CHANGE TO RECUCE STRESS *MANAGEMENT REVIEW* ,(NOV. 1977) p.23.

بناء على ما سبق ذكره عن مفهوم ضغط العمل بشكل عام يمكن ربط هذا المفهوم بمهنة التمريض حيث تواجه تلك المهنة العديد من مصادر ضغط العمل.

مصادر ضغط العمل في مهنة التمريض:

١. العلاقة بين الممرض والمريض

يقضى الممرض / الممرضة ما يعادل (٣١%) من الوقت في التعامل المباشر (Direct care) مع المريض. ويقوم جوهر العلاقة بين الممرض/ الممرضة والمريض على سلسلة من الخدمات المتصلة من العناية التمريضية. حيث يفترض أن يقوم الممرض/ الممرضة بإزالة مسببات القلق والارتباك وعدم الراحة كبداية لإحراز التقدم في البرنامج العلاجي، وأن يثبت قدراته ومهاراته التمريضية لكسب ثقة المريض وليجعله أكثر استعدادا لقبول العلاجات التمريضية والاستمرار في البرنامج العلاجي[١٠]. كما وأن تقديم الخدمة التمريضية لمرضى يعانون من أمراض مختلفة وفي أوضاع نفسية سيئة وتحت الآلام البدنية والنفسية الكبيرة هو بحد ذاته مصدر ضغط لعمل الممرض أو الممرضة بالإضافة إلى أن أخلاقيات المهنة تتطلب من الممرض إسعاف المريض وتقديم الخدمة التمريضية في كل الأحوال والظروف. فعندما لا يستطيع الممرض/ الممرضة تحقيق هذا الهدف ويفشل في إنجازه فسوف يصاب الممرض/ الممرضة بخيبة الأمل التي قد تشكل مصدراً إضافيا للضغط من العمل.

٢. عبء العمل

إن زيادة عبء العمل هو قيام الفرد بمهام لا يستطيع انجازها في الوقت المتاح والمتوفر لديه ، وقد تتطلب هذه المهام مهارات عالية لا يملكها الفرد بنفسه. وهناك نوعان من عبء العمل هما: عبء العمل الكمي، حيث يسند للفرد مهام كثيرة عليه إنجازها في وقت غير كاف، وعبء العمل النوعي، وهو شعور الفرد بأن المهام المطلوب إنجازها أكبر من قدراته، أي أن الفرد غير مؤهل للقيام بالعمل أو يفتقر للقدرة اللازمة للقيام به، الأمر الذي يعرضه في الحالتين إلى ضغط العمل[١١]. وقد

أظهر العديد من الدراسات أن الممرضين العاملين في وحدات العناية الحثيثة ووحدات العناية التاجية (CCU & ICU) يقعون تحت مستويات عالية من ضغط العمل بسبب عبء العمل بنوعيه في هذه الوحدات[١٢].

٣.ورديات العمل

تؤثر ورديات العمل على الطريقة البايولوجية الاعتيادية لأداء الجسم كما تؤثر على الجانب الفسيولوجي والاجتماعي لوظائف الفرد[١٣] كونها تتعارض مع التناغم الطبيعي لجسم الإنسان ويمكن أن تسبب له أثارا سلبية في حياته الاجتماعية وخاصة في المجتمعين العربي والاسلامي. وقد أظهرت دراسة لأبو عجمي وآخرين[١٤] عن الممرضات الفلسطينيات المتزوجات واللاتي يعملن في مستشفيات الضفة الغربية والمسؤولات عن تربية أطفالهن أظهرت صعوبة كبيرة في التكيف مع عمل الورديات وأنهن يعانين من مشاكل عائلية انعكست سلبيا على الرضى الوظيفي لهن وعلى خدمة المريض.

٤. التفاعل الجماعي

يتطلب تقديم الخدمة الصحية بفاعلية لطالبيها عملا جماعيا منسقا ومتماسكا بين أطراف الخدمة الصحية (الإدارة، الطبيب، الممرض). كما يتطلب العمل الجماعي درجة عالية من التفاهم والانسجام المبني على أسس الاحترام المتبادل والوصف الوظيفي الواضح والمحدد في النظام الإداري للمؤسسة الصحية. إن عدم الوضوح أو غياب الوصف الوظيفي وخاصة في بلدان العالم الثالث ومنها الأردن سيكون لصالح الإدارة والطبيب حيث يقوم بانتقاء المهام التي يريد القيام بها ويضيف على عاتق الممرض المهام التي لا يريد تنفيذها (ملكاوي، ١٩٩٦، ص ٦). كما أن غياب أو عدم الوضوح وعدم الرغبة بالتعاون بين الزملاء وعدم توازن السلطات الإدارية[١٥] قد تكون مجتمعة أو منفردة من مصادر ضغط العمل التمريضي.

٥. المساندة الاجتماعية

إن أحد عناصر فاعلية النظام الاجتماعي هـو رضـى ومسـاندة الآخريـن (العائلة، الزملاء، المجتمع) لما تقوم به من عمل لذا يكون ضعـف أو قلـة المسـاندة الاجتماعية مصدرا من مصادر ضغط العمل. وتعرف المساندة الاجتماعية علـى أنها التفاعلات التي تقود الشخص إلى الشعور بأنه محبوب ومحترم وعضو في شبكة مؤلفـة من مجموعة من الأشخاص يؤدون أعمالاً تؤدي إلى أن تخدم النتيجة نفسها التي يسـعى الفرد إلى تحقيقها(١٩).

وقد أظهرت بعض الدراسات وجود علاقة عكسية بين المساندة الاجتماعيـة وبين مستويات الضغط والتي أظهرها كل من Tyler. & Ellison (١٧) في دراسـتهما التي أثبتت أن ضغط العمل يزداد في مهنة التمريض بالذات مع قلة أو فقدان المسـاندة الاجتماعية.

٦. التوسع والتطور في مهنة التمريض

لم تعد مهنة التمريض من المهن الثانوية في المؤسسات الصحية بل أصبحـت تشارك في تخطيط وتنظيم كل نشاطات المؤسسة الصحية (الوقائية، والعلاجية) كمـا أصبحت هذه المهنة أكثر مسؤولية في تنفيذ الخدمات الطبية وأصبح النظام التمريضـي أحد الأنظمة الإدارية المهمة في إنجاز وتحقيق الخدمة الطبية(١٨) وأصبح هذا التوسـع في المهام بالإضافة إلى التطورات التكنولوجية التي دخلت القطاع الطبي والتي يقوم بإدارتها وتشغيلها والإشراف عليها الكادر التمريضي من مصادر الضغط على العاملين في هـذه المهنة.

٧. التباين واختلاف الولاءات

يتعامل الممرض/ الممرضة مع الإدارة ومتطلبات السياسة الإدارية من جانب ومع الكادر الطبي ، سواء أطباء معينين على ملاك المستشفى أو أطباء من خارج المستشفى من جانب آخر. ولكل طرف من هذه الأطراف أهداف يسعى لتحقيقها. فإدارات مستشفيات القطاع الخاص تسعى لتحقيق الربح بينما تسعى إدارات مستشفيات وزارة الصحة إلى التمسك بتطبيق سياسات وإجراءات العمل الروتينية والتي قد تكون مع البيروقراطية الإدارية التي شكلها النظام الإداري للمستشفى أحد معوقات عمل الممرض/ الممرضة. إن تعامل الممرض/ الممرضة مع نظام إداري ذي درجة عالية من البيروقراطية قد يصبح عندئذ مصدرا للضغط في العمل . وكلما كان النظام الإداري مرنا كان الأداء التمريضي أفضل(١٩). وقد ينشأ التباين أو الاختلاف عندما يواجه الممرض/ الممرضة العديد من طلبات العمل المتناقضة أو عندما يقوم بأشياء لا يرغب اصلا بعملها أو لا يعتقد أنها جزء من عمله(٢٠).

٨. السعي لتحقيق نوعية عالية من الخدمة التمريضية

تسعى المؤسسات الصحية بشكل دائم لتحقيق المزيد من الإنسانية في التعامل مع طالب الخدمة الصحية وهذا يتطلب من الممرض/ الممرضة أن يطور من الخلفية المعرفية للحالات المرضية المختلفة، وأن يكون مواكبا للتطورات الصحية وذا خبرة في إدارة وتشغيل الأجهزة الطبية الحديثة بالهيكل الذي يخدم المريض ويظهر نوعا من التفاعل الوجداني معه(٢١).

الدراسات السابقة:

لم تتوفر دراسات كثيرة حول موضوع ضغط العمل في مهنة التمريض . فأغلب الدراسات المتوفرة تناولت الموضوع من زوايا علم النفس وعلم النفس التربوي

مع القليل جدا من الدراسات العملية التي تمت في بعض القطاعات الخدمية. لذلك فإن هذه الدراسة تكتسب أهمية خاصة لكونها قد تكون الأولى من نوعها في الأردن كدراسة ميدانية لمقارنة مستويات ضغط العمل بين الممرضين القانونيين العاملين في مستشفيات وزارة الصحة ومستشفيات القطاع الخاص. وما يزيد من أهمية هذه الدراسة هو ما أظهرته الدراسات الأجنبية من علاقة سلبية مباشرة أو غير مباشرة بين ارتفاع مستويات ضغط العمل ونوعية الخدمة التمريضية المقدمة إلى المرضى والأخطاء العلاجية ودوران وترك العمل.

ومن الدراسات التي تم الاطلاع عليها دراسة أحمد وآخرين[٢٢] وهي الدراسة الوحيدة ذات العلاقة بموضوع هذا البحث والتي اجريت في القطاع الصحي العسكري وكانت تحت عنوان (الضغوط النفسية التي يتعرض لها الممرضون العاملون في وحدات العناية الحثيثة) وكان هدفها التعرف على العوامل الرئيسية المسببة لضغط العمل وكذلك التعرف على الآثار النفسية لضغط العمل على الممرضين والممرضات العاملين في وحدات العناية الحثيثة في مدينة الحسين الطبية. تألفت عينة البحث من ثلاث مجموعات من الممرضين والممرضات وشملت المجموعة الأولى خمسين ممرضا وممرضة يعملون في وحدات العناية المركزة (ICU) ووحدات العناية التاجية(CCU).

أما المجموعة الثانية فقد شملت عشرين ممرضا وممرضة يعملون في وحدة الكلية الاصطناعية (Hemodialysis) أما المجموعة الثالثة فقد شملت خمسين ممرضا وممرضة ممن يعملون في وحدات الباطنية والجراحة (Medical- Surgical) . وتوصلت الدراسة إلى نتائج مفادها أن ممرضي المجموعة الأولى ، أي العاملين في وحدات العناية الحثيثة (CCU &ICU)، يواجهون ضغط عمل أكثر من المجموعتين الأخريين وأن مصادر الضغط الرئيسية لديهم هي عبء العمل وضوضاء المعدات الطبية، وموت المريض، كما أن مستويات ضغط العمل في كل من المجموعة الأولى (ICU &

CCU) والمجموعة الثالثة (Medical- Surgical) هي أعلى من مستويات الضغط في المجموعة الثانية وأن المصدر الرئيسي لضغط العمل هو قلة المهارات التمريضية . أما فيما يتعلق بالآثار النفسية فقد أظهرت الدراسة أن المرضين والممرضات في المجموعة الاولى (CCU & ICU) هم أكثر قلقا وأكثر حزنا وكآبة من المجموعتين الأخريين.

لم تكن الساحة العربية بأفضل حظا من الساحة الاردنية من حيث شحة البحوث والدراسات التي تناولت موضوع ضغط العمل في مهنة التمريض. فهناك دراسة عسكر وأحمد[٢٣] والتي كانت تحت عنوان (مدى تعرض العاملين لضغط العمل في بعض المهن الاجتماعية) والتي أجريت في الكويت وكان هدفها تحديد ومقارنة مستويات الضغط التي يتعرض لها العاملون في كل من مهنة التدريس في المعاهد الخاصة، ومهنة التمريض ، ومهنة الخدمة النفسية، ومهنة الخدمة الاجتماعية.

كما هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى تعرض العاملين في المهن الأربع للضغوط الناشئة من ظروف العمل وإلى تحديد الفروق في مستويات الضغط التي يتعرضون لها . كذلك هدفت إلى التعرف على الأعراض النفسية والفسيولوجية المرتبطة بضغط العمل والأكثر تكرارا لدى العاملين في المهن الأربع. وكان حجم العينة الكلي (٣٥٣) فردا منهم (٧٨) من العاملين في مهنة التدريس في المعاهد الخاصة و(١٦٢) ممرضا وممرضة من أربعة مستشفيات حكومية و (٧٣) اخصائيا اجتماعيا و(٤٠) من العاملات في الخدمة النفسية. وقد أظهرت الدراسة نتائج عدة منها أن مستويات الضغط في المهن الأربع لا تعتبر عالية، وأن مهنة التمريض أكثر المهن تعرضا لضغط العمل تليها مهنة الخدمة النفسية ثم مهنة التدريس في المعاهد الخاصة، وكان أخرها وأقلها مستوى ضغط العاملين في الخدمة الاجتماعية.

كما بينت الدراسة أيضا وجود فروقات ذات دلالة إحصائية تنحصر بين مهنة التمريض ومهنة الخدمة الاجتماعية، وأشارت إلى وجود فروقات ذات دلالة احصائية

في درجة التعرض لضغط العمل مع متغيرات سنوات الخبرة في مهنة التدريس في المعاهد الخاصة وعدم وجود فروقات ذات دلالة إحصائية بين العـــاملين في المــهن الثــلاث الأخرى تبعا لمتغيري الحالة الاجتماعية وجنسية العاملين، والجنس، وقد أكدت الدراسة على أن متغيري الشعور بالإرهاق والشعور بعدم الأمان الوظيفي همـــا المتغـــيران ذوا الدلالة الإحصائية من بين المتغيرات الأخرى وبأن العاملين في مهنة التمريض هم الأكثر عرضة لهذين المتغيرين.

وهناك بعض الدراسات الأجنبية ذات الصلة بموضوع هذا البحـــث ومنـــها دراسة Keane (٢٤) والذي تناول موضوع ضغط العمل في وحدات العناية الحثيثـــة (ICU) والوحدات الطبية الأخرى (Non-ICU) . وهدفت الدراسة إلى الإجابـــة عن سؤال مفاده هل أن الممرضين والممرضات في وحدات العنايـــة الحثيثـــة (ICU) يتعرضون لضغوط عمل أكثر مقارنة بالوحدات الطبية الأخرى(Non-ICU) . وقـــد أخذت عينة مؤلفة من مجموعتين ضمت المجموعة الأولى (٣٨) ممرضا وممرضـــة مـــن الذين يعملون في وحدات العناية الحثيثة الجراحية والباطنية (S-ICU & M-ICU) أما المجموعة الثانية فقد ضمت (٥٨) ممرضا وممرضة ممن يعملون في أقســـام الجراحـــة العلاجية والجراحة العامة والطب العام.وقد توصلت الدراسة إلى نتائج تؤكد وجـــود فروقات ذات دلالة إحصائية في مستويات ضغط العمل بين المجموعتين حيث كـــانت المجموعة الأولى (S-ICU & M-ICU) تشعر بمستويات ضغط عمل أعلـــى مـــن المجموعة الثانية (Non-ICU) وكذلك أظهرت الدراسة عدم وجود فروقـــات ذات دلالة احصائية في مستويات ضغط العمل بين الممرضـــين والممرضـــات العـــاملين في وحدات العناية الحثيثة الجراحية (S-ICU) ووحدات الجراحة الباطنية الحثيثـــة (M-ICU).

أما دراسة CHAPMAN [٢٥] والتي كانت حول (علاقة ومساندة الزملاء في خفض ضغط العمل) فقد هدفت إلى اختبار العلاقة بين إدراك الممرض والممرضة لمساندة زملائهم في العمل ومستويات ضغط العمل الذي يتعرضون له في بيئة العمل وإظهار أهمية العلاقة بين مساندة الزملاء والمقدرة على التكيف. وقد تألفت عينة الدراسة من (٥٠٠) ممرض وممرضة أخذت من المستشفيات التي سعتها السريرية من (٣٣-١٠٠٠) سرير من مستشفيات ولاية (IOWA) وقد توصلت الدراسة إلى نتائج مفادها أن الممرضين والممرضات يدركون أن انخفاض مستوى مساندة زملائهم يؤدي إلى شعورهم بازدياد في مستوى ضغط العمل كما أن الممرضين والممرضات الذين أمضوا في العمل سنتين أو أقل هم أعلى بمستويات ضغط العمل من زملائهم الآخرين وبحاجة إلى مساندة زملائهم بسبب القلق والخوف من المسؤولية. كما بينت الدراسة أن متغير العمر والتحصيل الأكاديمي العالي، وعدد سنوات العمل ونوع القسم والشعبة التي يعمل فيها الممرض والممرضة تؤثر في مستويات إدراك ضغط العمل.

حاولت دراسة (Tyler & Ellison)[٢٦] والتي كانت حول مصادر ضغط العمل والرضى النفسي في وحدات الاعتماد العالي على التمريض اختبار ضغط العمل المهني في أربع وحدات ذات اعتماد عال على التمريض وهي (صالات العمليات الجراحية، الكبد ، والكليتين ، أمراض الدم، عمليات اختيارية) . وكان هدف الدراسة التعرف على أثر الفروقات الفردية في إدراك مصادر ضغط العمل وكذلك التعرف على الرضى النفسي وطريقة التكييف في هذه الوحدات. وقد أخذت عينة عشوائية مكونة من (٦٠) ممرضا وممرضة من العاملين في الأقسام الأربعة، وقد توصلت الدراسة إلى أن نقص الكفاءة التدريبية، والخلافات مع الأطباء، والخلافات مع الزملاء من الممرضين وعبء العمل، ونقص التشجيع الاجتماعي هي مصادر الضغط الرئيسية التي أشارت

إليها العينة، كذلك وجود علاقة إيجابية بين سلوك التكييف ومصادر ضغط بيئة العمل، كما بينت وجود علاقة سالبة قوية بين مستوى ضغط العمل والرضى الوظيفي.

وهدفت دراسة (Collins)[٢٧] الاستكشافية والتي كانت عن العلاقة بين ضغط العمل وقوة الشخصية والاحتراق النفسي (Burn-Out) بين الممرضين العاملين بنظام الدوام الكامل في المستشفيات، إلى التعرف على العلاقة بين مستويات ضغط العمل وقوة الشخصية والاحتراق النفسي. وقد أخذت عينة عشوائية مؤلفة من (١١٣) ممرضا وممرضة من الذين يعلمون بنظام الدوام الكامل بالمستشفيات . وقد توصلت الدراسة الى نتائج مفادها وجود علاقة سلبية بين قوة الشخصية ومستويات ضغط العمل، أي كلما ارتفع مستوى قوة الشخصية كان هناك شعور بمستوى منخفض من ضغط العمل، كما بينت الدراسة وجود علاقة إيجابية بين الاحتراق النفسي (Burn-Out) ومستوى ضغط العمل.

أما دراسة (LEE & Handerson) [٢٨] والتي كانت عن الضغط المهني والالتزامات التنظيمية لدى إداري التمريض، فقد كان الهدف منها التعرف على العلاقة بين مستويات ضغط العمل المهني والالتزامات التنظيمية وأثرهما على أداري التمريض. وقد أخذت عينة عشوائية من مختلف الأقسام الإدارية التمريضية وكان الحجم الكلي للعينة (٨٧) إداريا تمريضيا منهم (٣٥) رئيس وحدة تمريض و(١٤) مساعد رئيس وحدة تمريض و(٢٣) رئيس قسم تمريض و(١٥) إداريا تنفيذيا . وتوصلت الدراسة إلى نتائج مفادها أن جميع مصادر ضغط العمل المهني ذات علاقة عكسية مؤثرة في الالتزامات التنظيمية و لم تكن هناك علاقة ذات درجة من الأهمية بين المصادر الشخصية لضغط العمل المهني ومستوى الضغط والالتزامات التنظيمية.

كذلك هدفت دراسة (Dugan)[٢٩] وآخرين [٣٠] والتي كانت عن المرضين تحت ضغط العمل وأثر ذلك على العناية المقدمة للمرضى إلى التعرف على

العلاقة بين زيادة مستوى ضغط العمل من جانب وكل من الحوادث التي تحصل للمرضى مثل أخطاء علاجية، سقوط المريض وكذلك الأذى الذي يحصل للممرضين والممرضات أنفسهم مثل وخز الأبر، وآلام الظهر ودوران العمل المتضمن الغياب المبرر أو غير المبرر، من جانب آخر. وقد تم اختيار (١٩) مستشفى من المستشفيات التي سعتها السريرية (٥٠٠) سرير فأكثر من منطقة الغرب الأوسط الأمريكية ولفترة زمنية زادت عن (٣) أشهر لتسجيل التقارير التي تخص حوادث تحصل للمرضى وأذى يحصل للممرضين وتقارير الغياب والمغادرة الطبية. وكان عدد المرضين والممرضات الذين شملتهم العينة (٢٩٣) ممرضا وممرضة. وقد أظهرت الدراسة نتائج تفيد بأن هناك علاقة ارتباط قوية بين ارتفاع مستويات ضغط العمل ونسبة الأخطاء العلاجية وكذلك وجود علاقة ارتباط قوية بين مستويات ضغط العمل ونسبة الغياب بعذر أو بدون عذر. كما أظهرت الدراسة وجود علاقة ارتباط ضعيفة بين مستويات ضغط العمل والأذى الذي يحصل للممرضين والممرضات.

ويمكن تلخيص ما تقدم من دراسات بوجود مستويات مرتفعة ومتوسطة من ضغط العمل تختلف باختلاف بيئات العمل. وأشارت تلك الدراسات الى أن المصادر الرئيسية لضغط العمل هي عبء العمل والاساليب الإدارية والتنظيمية والتطور المهني وانخفاض مستوى الأجور وغموض الدور. كما تناولت هذه الدراسات الآثار السلبية لضغط العمل في مهنة التمريض على كل من نوع الخدمات التمريضية المقدمة للمريض والرضى الوظيفي ودوران العمل.

تحليل ومناقشة النتائج :

لقد تم أخذ عينتين لأغراض الدراسة بأسلوب العينة الطبقية الانتقالية : وأخذت الاولى من الممرضين القانونيين العاملين في أكبر خمسة مستشفيات تابعة

لوزارة الصحة حيث تم توزيع (٣٠٠) استبانة اعتمد منها لاغراض الدراسة (٢٣٤) استبانة.أما العينة الثانية فقد أخذت من الممرضين القانونيين العاملين في اكبر مستشفيات من القطاع الخاص حيث تم توزيع (٣١٠) استبانة اعتمد منها لاغراض الدراسة (٢٤٠) استبانة . يبين الجدول رقم (١) التوزيع التكراري والنسب المئوية لأفراد العينة.

جدول رقم (١)

التوزيع التكراري والنسبة المئوية لأفراد عينة الدراسة

ت	اسم المستشفى	التكرار	النسبة المئوية
	مستشفيات وزارة الصحة		
١	البشير	٨٢	٣٥,٢
٢-	الأميرة بسمة	٤٥	١٨,٨٨
٣-	الحسين	٣٧	١٥,٨٨
٤-	الزرقاء	٣٦	١٥,٥٤
٥-	المفرق	٣٤	١٤,٦
المجموع		٢٣٤	١٠٠%
المستشفيات الخاصة			
١-	الاسلامي	٦٦	٢٧,٥
٢-	المركز العربي للقلب	٥١	٢٤,٢٥
٣-	الخالدي	٣٨	١٥,٨٤
٤-	الاردن	٣٥	١٤,٥٨
٥-	ابن النفيس	٢٣	٩,٥٩
٦-	راهبات الوردية	٢٧	١١,٢٥
المجموع		٢٤٠	١٠٠%

أولا: المتغيرات الشخصية لأفراد العينة:

يتضح من الجدول رقم (٢)، وبعد تحليل ما جاء فيه من أرقام ونسب أهم الفروقات التالية في المتغيرات الشخصية لعينة الدراسة:

١- إن الفئة العمرية (من ٢٠-٢٥ سنة) هى الأعلى نسبة من بين الفئات العمرية الأخرى في عينة المستشفيات الخاصة بينما كانت فئة (٢٦-٣١سنة) هي الأعلى من بين الفئات العمرية الأخرى في عينة مستشفيات وزارة الصحة . وقد يكون السبب في ذلك هو استقطاب المستشفيات الخاصة للشباب من كلا الجنسين للعمل لديها لحين اتمام اجراءات ديوان الخدمة المدنية المعني بالتوظيف.

٢- أن نسبة غير المتزوجين (العزاب) من أفراد عينة المستشفيات الخاصة هي الأعلى بينما نسبة المتزوجين من بين أفراد عينة مستشفيات وزارة الصحة هي الأعلى . وقد يكون السبب في ذلك هو رغبة المعينين على ملاك وزارة الصحة في الاستقرار العائلي لما توفره الوظيفة الحكومية من امتيازات قد تكون أفضل من التي تقدمها مستشفيات القطاع الخاص مثل (نظام التقاعد، التأمين الصحي الشامل، الأمن الوظيفي).

٣- إن نسبة الذين ليس لديهم أطفال في عينة العاملين في المستشفيات الخاصة هي الأعلى بينما الذين لديهم أطفال(من ١-٣ أطفال) هي الأعلى من بين افراد عينة العاملين في مستشفيات وزارة الصحة وقد يكون سبب ذلك هو ما ورد في الفقرة ٢ أعلاه

٤- أما بخصوص سنوات الخدمة فقد أتضح أن الذين تزيد خدماهم عن ثلاث سنوات يشكلون نسبة عالية من بين أفراد عينة العاملين في مستشفيات وزارة الصحة بينما الذين تقل خدماهم عن ثلاث سنوات يشكلون نسبة لا يستهان ها تقترب من نصف أفراد عينة العاملين في مستشفيات القطاع الخاص، وهذا يؤشر إلى أن

الكوادر التمريضية من أصحاب الخدمة الطويلة هـــم مـــن الذيـــن يعلمـــون في مستشفيات وزارة الصحة.

٥- إن حملة شهادة دبلوم تمريض هم النسبة الأعلى من بين أفراد عينة مستشـــفيات وزارة الصحة بينما حملة شهادة بكالوريوس علوم تمريض هم الأكثر من بين أفراد عينة العاملين في المستشفيات الخاصة.

٦- أما بشأن توزيع أفراد العينتين على أقسام وشعب العمل المختلفة فقـــد ظـــهر أن مستشفيات وزارة الصحة أهتمت بشكل واضح بأقسام الاطفال كي تســـتجيب لحاجات المجتمع الأردني الذي يشكل الاطفال دون سن الرابعة عشر فيه نســـبة لا تقل عن ٤١,٨% من مجموع سكان الأردن[٣٠]. بينما اهتمـــت المستشـــفيات الخاصة بوحدات العناية المركزة (ICU) و (CCU) كي تقدم خدماتها الطبيـــة والتمريضية إلى الفئات العمرية الكبيرة وتقديم الخدمات الطبية النوعية من خـــلال الاجهزة والمعدات الحديثة التي قد لا تتوفر في مستشفيات وزارة الصحة بالشـــكل المناسب كما أنها مصدر دخل للمستشفيات الخاصة.

٧- بالرغم من أن مستوى الدخل الشهري في القطاعين (وزارة الصحـــة والقطـــاع الخاص) يكاد يكون متقاربا وتمثل فئة دخل شهري (مـــن ٢٠١-٢٥٠ دينـــار) أعلى النسب في القطاعين مقارنة بالدخول الأخرى، إلا أن بعـــض الممرضـــين القانونيين يفضلون العمل في مستشفيات وزارة الصحة للأسباب الـــتي ذكـــرت سابقا.

جدول رقم (٢)

المتغيرات الشخصية لأفراد عينة الدراسة

المستشفى / المتغير	مستشفيات وزارة الصحة		مستشفيات القطاع الخاص	
	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة%
١ – الفئة العمرية				
– من ٢٠-٢٥ سنة	٨٣	٣٥,٦٢	١٠٥	٤٣,٨
– من ٢٦-٣١ سنة	١,٩	٤٣,٣٥	٩٣	٣٨,٨
– من ٣٢- ٣٧ سنة	٢٨	١٢,٠١	٢٧	١١,٣
– اكثر من ٣٧ سنة	١٤	٦,٢	١٥	٦,٣
المجموع	**٢٣٤**	**%١٠٠**	**٢٤٠**	**%١٠٠**
٢– الجنس				
– ذكر	٧٤	٣١,٦	٨٧	٣٦,٣
– انثى	١٦٠	٦٨,٤	١٥٣	٦٣,٧
المجموع	**٢٣٤**	**%١٠٠**	**٢٤٠**	**%١٠٠**
٣– الحالة الاجتماعية				
– أعزب	١٠٩	٤٦,٧٨	١٣٩	٥٧.٩
– متزوج	١٢٥	٥٣,٢٢	١٠١	٤٢,١
المجموع	**٢٣٤**	**%١٠٠**	**٢٤٠**	**%١٠٠**
٤– عدد الاطفال				
– لا يوجد	٧١	٣٠,٤٨	١٢٨	٥٣,٣٣
– من ١-٣ طفل	١٤٠	٦٠,٠٨	٩٤	٣٩,١٧
– ٤ أطفال فأكثر	٢٣	٩,٤٤	١٨	٧,٠٥
المجموع	**٢٣٤**	**%١٠٠**	**٢٤٠**	**%١٠٠**
٥ – سنوات الخدمة				
– أقل من ٣ سنوات	٧٣	٣١,٣٤	١٠٥	٤٣,٨
– من ٣-٦ سنوات	٦٥	٢٧,٨٩	٨٩	٣٧,١
– من ٧-١٠ سنوات	٥٨	٢٤,٨٩	٣٠	١٢,٥
– اكثر من ١٠ سنوات	٣٨	١٥,٨٨	١٦	٦,٧
المجموع	**٢٣٤**	**%١٠٠**	**٢٤٠**	**%١٠٠**

٦- المؤهل العلمي				
- الثانوية العامة	١١	٤,٣	١٣	٥,٤
- دبلوم تمريض	١٦٦	٧٠,٢٤	٦٧	٢٧,٩
- بكالوريوس	٥٧	٢٤,٤٦	١٦٠	٦٦,٧
المجموع	**٢٣٤**	**%١٠٠**	**٢٤٠**	**%١٠٠**
٧- قسم العمل				
- وحدة العناية المركزة	٢١	٩,٠١	٤٥	١٨,٧
- وحدة الكلية الصناعية	١٣	٥,٥٨	١٠	٤,٠٢
- الباطنية / العامة	٢١	٩,٠١	٣٢	١٣,٣
- الطوارئ	٢٥	١٠,٧٣	٣٣	١٣,٨
- الولادة	٢٨	١٢,٠٢	٢٣	٩,٦
- الجراحة العامة	٣٨	١٦,٣١	٢٦	١٠,٨
- الاطفال	٤٧	١٩,٧٤	٢٨	١١,٧
- العناية التاجية	١٤	٦,٠١	٢٢	٩,٢
- العمليات الجراحية	٢٧	١١,٥٩	٢١	٨.٨
المجموع	**٢٣٤**	**%١٠٠**	**٢٤٠**	**%١٠٠**
٨- الدخل الشهري				
- اقل من ١٥٠ دينار	١٧	٧,٣	٢٦	١٠,٨
- من ١٥٠ —٢٠٠ دينار	١٣	٥,٥٨	٥٩	٢٤,٦
- من ٢٠١ — ٢٥٠ دينار	١٤٦	٦٢,٦٦	١٣٠	٥٤,٢
- ٢٥١ فأكثر	٥٨	٢٤,٤٦	٢٥	١٠,٤
المجموع	**٢٣٤**	**%١٠٠**	**٢٤٠**	**%١٠٠**
٩- مكان السكن				
- في المحافظة نفسها	١٩١	٨١,٥٧	١٦٣	٦٧,٩
- خارج المحافظة	٤٣	١٨,٤٣	٧٧	٣٢,١
المجموع	**٢٣٤**	**%١٠٠**	**٢٤٠**	**%١٠٠**
١٠- عدد ساعات العمل				
- ٨ ساعات فأقل	٢١٥	٩١,٩	١٦٣	٦٧,٩
- ٨ ساعات فأكثر	١٩	٨,١	٧٧	٣٢,١
المجموع	**٢٣٤**	**%١٠٠**	**٢٤٠**	**%١٠٠**

ثانيا : اختبار الفرضيات ومناقشة النتائج:

سيتم اختبار الفرضيات باستخدام متوسط الرتب الحسابية والانحرافات المعيارية وإجراء الاختبارات التالية لإظهار مستوى الأهمية الاحصائية وهي :

١- اختبار Kruskal – Wallis لإظهار مستوى الأهمية بين ثلاثة متغيرات أو أكثر مثل اختبار متغير العمر الذي يتألف من أربع فئات مع مستويات ضغط العمل.

٢- اختبار Mann- Whitenny والذي يستخدم لإظهار مستوى الأهمية الإحصائية بين متغيرين فقط مثل الجنس (ذكر، أنثى) مع مستويات ضغط العمل.

٣- اختبار Newmann- Keuls والذي يستخدم لإظهار مستوى الأهمية الإحصائية بمقارنة كل متغير مع غيره من المتغيرات في العينة نفسها مثل اختبار الفروقات الإحصائية في مستويات ضغط العمل بين أقسام وشعب العمل في العينة الواحدة.

توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل بين الممرضين القانونيين في كل من مستشفيات وزارة الصحة ومستشفيات القطاع الخاص ناتجة عن بيئة عمل العينتين.

من خلال الاطلاع على الجدول رقم (٣) والذي يمثل المتوسطات الحسابية والإنحرافات المعيارية ومتوسط الرتب (Mean Rank) وباستخدام اختبار- Mann Whitenny لإظهار مستوى الدلالة الاحصائية عند مستوى (α > ٠,٠٥) بين المتغيرات التي تناولتها الدراسة تتضح النتائج التالية :-

جدول رقم (٣)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار Mann- Whieny للمقارنة بين مستويات ضغط العمل في بيئة عمل العينتين

مصادر الضغط	مستشفيات وزارة الصحة			المستشفيات الخاصة				
	وسط حسابي	انحراف معياري	متوسط الرتب	وسط حسابي	انحراف معياري	متوسط الرتب	قيمة U	مستوى الدلالة*
مصادر الضغط الإداري	١٨٨,٧٤	٤٧,٩	٢٣٧,٧٥	١٨٧,٨٩	٤٢,٢٣	٢٣٧,٢٥	٢٨,٢١	٠,٩٦٨
مصادر ضغط التعامل مع المريض	١١٧,٣١	٤٠,٢٦	٢٣١,٣٨	١٢٠,٩٧	٣٥,٢٨	٢٤٣,٤٧	٢٦٦٤٧	٠,٣٣٦
مصادر ضغط التعامل مع الطبيب	٦٣,١٥	٢٠,٨٤	٢٢٧,٤٧	٦٤,٥٢	١٩,١٤	٢٤٧,٢٨	٢٥٧٣٣,٥	٠,١١٥
مصادر ضغط التعامل مع الزملاء الممرضين	٢٨,٢٧	٩,٩٥	٢٠٧,٠٥	٣٤,١٩	١٢,٥١	٢٦٧,١٩	٢٥٩٥٥	...
مصادر ضغط التعامل مع الالات والمعدات الطبية	٥٣,١٥	١٩,٦٦	٢٦٩,١٣	٣٥,٨٤	١٤,٤٧	١٨٠,٣٣	١٤٣٥٩,٥	٠٠٠
مصادر ضغط التعامل مع زوار المريض	٧٢,١٣	١٨,٨٥	٢٣٩,٩٥	٧٢,٨٤	١٥.٨٤	٢٣٥,١١	٣٧٥٦,٥	٠,٧٠٠

*تعني وجود فروقات ذات دلالة إحصائية عند مستوى (α < ٠,٠٥)

١- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل بين أفراد العينتين تعزى إلى كل من :

أ- مصادر ضغط التعامل الإداري.

ب- مصادر ضغط التعامل مع المريض.

ج- مصادر ضغط التعامل مع الطبيب.

د- مصادر ضغط التعامل مع زوار المريض.

٢- توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل بين أفراد العينتين تعزى إلى كل من :

أ- مصادر ضغط التعامل مع الزملاء المرضين حيث أظهر أفراد عينة المستشفيات الخاصة ارتفاعا في إدراك مستوى الضغط بالمقارنة مع زملائهم العاملين في مستشفيات وزارة الصحة والمؤشر لذلك الوسط الحسابي (٣٤,١٩) ومتوسط الرتب (٢٦٩,١٩).

ب- مصادر ضغط التعامل مع الالات والمعدات الطبية فقد أظهر أفراد عينة مستشفيات وزارة الصحة ارتفاعا في إدراك مستوى ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم في المستشفيات الخاصة والمؤشر إلى ذلك الوسط الحسابي (٥٣,١٥) ومتوسط الرتب (٢٩٦,١٣).

٣- كما يمكن أن نلاحظ من الجدول رقم (٣) أن أفراد العينتين يشعرون بمستوى متوسط من ضغط العمل بموجب KINZEL- SCALE حيث أن المتوسط الحسابي للعينتين هو (الصحة ، ٧٥ ,٥٢١) (القطاع الخاص ٥٣٦,٢٦) على التوالي وأن الاثنين معا ضمن معدل المستوى المتوسط من ضغط العمل الذي حدد بموجب KINZEL- SCALE من المدى (٣٦١-٥٤٠) درجة/ علامة.

٤- اختبار الفرضية الثانية : توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل ناتجة عن اختلاف أقسام وشعب العمل التي يعمل بها الممرضون القانونيون في مستشفيات وزارة الصحة.

والجدول رقم (٤) الذي يجري مقارنة بين الأقسام والشعب المختلفة باستخدام اختبار Newman-Keuls لقياس مستوى الأهمية بين الأقسام والشعب المختلفة باستخدام المتوسطات الحسابية لمستويات ضغط العمل في كل اثنين من الأقسام والشعب يبين ما يلي:

١- وجود فروقات ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل بين قسم وحدة العناية المركزة (ICU) وقسم العمليات الجراحية حيث يشعر العلملون في وحدة العناية المركزة بمستوى أعلى من ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم العاملين في قسم العمليات الجراحية.

٢- لا توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل بين العاملين في الأقسام والشعب الأخرى.

٣- يكون الترتيب التنازلي لإدراك مستويات ضغط العمل التي يشعر بها أفراد عينة مستشفيات وزارة الصحة على النحو التالي:

أ- وحدة العناية المركزية (ICU).

ب- قسم الطوارئ.

ج- قسم الاطفال.

د- قسم باطنية عامة.

هـ- وحدة العناية التاجية (CCU).

و- قسم الجراحة العامة.

ز- قسم الولادة.

ح- وحدة الكلية الاصطناعية.

ط- قسم العمليات الجراحية.

جدول رقم (٤)

اختبار Newmann- Keuls لإجراء المقارنات الزوجية بين الأوساط الحسابية لأقسام وشعب وزارة الصحة

القسم والشعبة		قسم العمليات الجراحية	وحدة الكلية الصناعية	قسم الولادة	جراحة عامة	وحدة العناية التاجية CCU	باطنية عامة	قسم الاطفال	قسم الطوارئ	وحدة العناية المركزة ICU	القيمة الحرجة R *
	الوسط الحسابي	٤٧٩,٠٤	٤٩٩,٠٤	٥٠٢,٩٩	٥٠٣,١٦	٥٢٠,٠٦	٥٣٣,٦٥	٥٤٢,٦٥	٥٥٥,٤٨	٥٧٢,٨٨٠	٠,٠٥>α
قسم العمليات الجراحية	٤٧٩,٥٨		١٩,٤٦	٢٣,٤١	٢٣,٥٨	٤٠,٤٨	٥٤,٠٦	٦٣,٠٧	٥٠,٧٨	٩٣,٢٢	٧٦,١٣
وحدة الكلية الأصطناعية	٤٩٩,٠٤			٣,٩٥	٤.١٢	٢١,٠٢	٣٤,٦	٤٣,٦١	٥٦,٤٤	٧٣,٧٦	٦٧,٠٣
قسم الولادة	٥٠٢,٩٩				٠,١٧	١٧,٠٧	٣٠,٦٥	٣٩,٦٦	٥٢,٤٩	٦٩,٨١	٧٥,٩١
جراحة عامة	٥٠٣,١٦					١٦,٩	٣٠,٠٠	٣٩,٤٩	٥١,٨٨	٦٩,٦٤	٧٥,٧٧
وحدة العناية التاجية CCU	٥٢٠,٠٦						١٣,٥٨	٢٢,٥٩	٣٥,٤٢	٥٢,٧٤	٧٥,٥٩
باطنية عامة	٥٣٣,٦٥							٩,٠٠	٢١,٨٣	٣٩,١٥	٧٥,٣٧
قسم الاطفال	٥٤٢,٦٥								١٢,٨٣	٣٠,١٥	٧٥,٠٤
قسم الطوارئ	٥٥٥,٤٨									١٧,٣٢	٧٤,٥١
وحدة العناية المركزة ICU	٥٧٢,٨٠										

* تعني وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى (α > ٠,٠٥)

٣- اختبار الفرضية الثالثة :

توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل ناتجة عن اختلاف أقسام وشعب العمل التي يعمل فيها الممرضون القانونيون في مستشفيات القطاع الخاص.

يبين الجدول رقم (٥) الذي يجري مقارنة بين الأقسام والشعب المختلفة باستخدام اختبار Newmann- Keuls لإظهار مستوى الأهمية الإحصائية باستخدام المتوسطات الحسابية لكل إثنين من الأقسام والشعب ما يلي:

١- وجود فروقات ذات دلالة إحصائية بين قسم العمليات الجراحية وكل من الأقسام التالية : قسم الأطفال ، قسم الولادة ، قسم باطنية عامة. حيث يشعر العاملون في قسم العمليات الجراحية بمستوى أعلى من ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم في الأقسام آنفة الذكر.

٢- وجود فروقات ذات دلالة إحصائية بين قسم الجراحة العامة وكل من قسم الأطفال وقسم الولادة حيث يشعر العاملون في قسم الجراحة العامة بمستوى مرتفع من ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم العاملين في القسمين المذكورين.

٣- وجود فروقات ذات دلالة إحصائية بين قسم العناية المركزة (ICU) وكل من قسم الأطفال وقسم الولادة حيث يشعر العاملون في قسم العناية المركزة ICU بمستوى عال من ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم العاملين في القسمين المذكورين.

٤- عدم وجود فروقات ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل بين الأقسام والشعب المتبقية الأخرى.

٥-يكون الترتيب التنازلي لإدراك مستويات ضغط العمل التي يشعر بها أفـــراد عينـــة مستشفيات القطاع الخاص هي :

أ- قسم العمليات الجراحية.

ب- قسم الجراحة العامة.

ج- وحدة العناية المركزة (ICU).

د- وحدة العناية التاجية (CCU).

هـ- قسم الطوارئ.

و- وحدة الكلية الاصطناعية.

ز- قسم الباطنية العامة.

ح- قسم الولادة.

ط- قسم الاطفال.

جدول رقم (٥)

اختبار Newmann- Keuls لإجراء المقارنات الزوجية بين الأوساط الحسابية لأقسام وشعب وزارة الصحة

القسم والشعبة		قسم الاطفال	قسم الولادة	باطنية عامة	وحدة الكلية الصناعية	قسم الطوارئ	وحدة العناية التاجية CCI	وحدة العناية المركزة ICU	جراحة عامة	قسم العمليات الجراحية	القيمة الحرجة * R ٠,٠٥>α
	الوسط الحسابي	**٤٦٠,١٦**	**٤٦٢,٨٩**	**٤٨٧,٤٣**	**٥١٧,٢٠**	**٥٢٦,٩٣**	**٥٣٣,١٥**	**٥٤١,٨٠**	**٥٤٤,٣٥**	**٥٨٣,٧٣**	
قسم الاطفال			٢,٧٣	١٨,٢٧	٥٧٠,٤	٦٦,٧٧	٧٢,٩٩	٨١,٦٤	٨٤,١٩	١٢٣,٥٧	٧٤,٠٨
قسم الولادة				١٥,٥٤	٥٤,٣١	٦٤,٠٤	٧٠,٢٦	٧٨,٩١	٦٥,٩٢	١٢٠,٨٤	٧١,٣٩
باطنية عامة					٣٨,٧٧	٤٨,٥	٥٤,٧٢	٦٣,٣٧	٦٥,٩٢	١٠٥,٣	٧١.٧١
وحدة الكلية الاصطناعية						٩,٧٣	١٥,٩٥	٢٤,٦	٢٧,١٥	٦٦,٥٣	٧١,٠٣
وحدة العناية التاجية CCU							٦,٢٢	١٤,٧٨	١٧,٤٢	٣٢,٦٨	٧٠,٨٦
وحدة العناية المركزة ICU								٨,٦٥	١١,٢	٥٠,٥٨	٧٠,٦٢
جراحة عامة									٢,٢٥	٤١,٩٣	٦٩,٣٧
قسم العمليات الجراحية									٣٩.٣٩	٣٩.٣٩	٦٩,٧٧

* تعني وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى (α < ٠,٠٥)

(٤) اختبار الفرضية الرابعة :

توجد فروقات ذات دلالة احصائية في إدراك مستويات ضغط العمل بين العاملين في أقسام وشعب العمل المتماثلة في كل من مستشفيات وزارة الصحة ومستشفيات القطاع الخاص.

والجدول رقم (٦) الذي يقارن بين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (MANN-WHITENNY) لإظهار مستوى وأهمية الفروقات الناتجة عن اختلاف إدراك مستويات ضغط العمل بين الأقسام والشعب المتماثلة في كل من مستشفيات وزارة الصحة ومستشفيات القطاع الخاص يوضح ما يلي :

١-وجود فروقات ذات دلالة إحصائية في قسم الباطنية حيث يشعر أفراد عينة مستشفيات وزارة الصحة بمستوى أعلى من ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم العاملين في القسم نفسه من عينة مستشفيات القطاع الخاص.

٢-وجود فروقات ذات دلالة إحصائية في قسم الأطفال حيث يشعر أفراد عينة مستشفيات وزارة الصحة بمستوى مرتفع من ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم العاملين في القسم نفسه من عينة مستشفيات القطاع الخاص.

٣-وجود فروقات ذات دلالة إحصائية في قسم العمليات الجراحية حيث يشعر أفراد عينة مستشفيات القطاع الخاص بمستوى أعلى من ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم العاملين في القسم نفسه من عينة مستشفيات وزارة الصحة.

٤- عدم وجود فروقات ذات دلالة إحصائية في الأقسام والشعب التالية :

وحدة العناية المركزة (ICU) ، وحدة الكلية الاصطناعية، قسم الطوارئ، قسم الولادة ، قسم الجراحة العامة، قسم العناية التاجية (CCU).

جدول رقم (٦)

مقارنة المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار Mann-Whiteny لكل قسمين متماثلين من أقسام العينتين

	مستشفيات وزارة الصحة ن = ٢٣٤				مستشفيات القطاع الخاص ن = ٢٤٠				
	تكرار	وسط حسابي	انحراف معياري	متوسط الرتب M.R	تكرار	وسط حسابي	انحراف معياري	متوسط الرتب M.R	مستوى الدلالة
وحدة العناية المركزة ICU	٢١	٥٧٤,٨٩	١٠٦,٦٨	١٤٩,٣٨	٤٥	٥٤٧,٨٢	٨١,٣١	١٨٣,٣٢	٠,٢٧٦
وحدة الكلية الاصطناعية	١٣	٤٩٣,٩	١٠١,٥٨	٩٩,٩٢	١٠	٥١٧,٢٠	٩٠,٥٥	١١٧,٢٥	٠,٥٩٥
باطنية عامة	٢١	٥٤٠,٤٤	٨٤,٩١	١٢٤,٩٦	٣٢	٤٧٤,٥٢	١٠٠,٥٢	٩٥	٠,٠٢٢
قسم الطوارئ	٢٥	٥٤٩,١١	٧٢,٧٣	١٣٩,٤٢	٣٣	٥٣٢,٢٣	٢٩,٨٥	١٢٨,٥٦	٠,٤٥٣
قسم الولادة	٢٨	٤٩٤,٧٢	١٠٦,٠٣	١٠٧,٥٦	٢٣	٤٥٥,٧	٧٨,٦	٨٢,٤٣	٠,١٦٨
جراحة عامة	٣٨	٥١٣,٤٤	٨٧,٩٧	١٠٣,٤٨	٢٦	٥٥٥,٥٤	٧٥,٨١	١٤٢,٣٨	٠,٠٦٨
قسم الاطفال	٤٧	٥٥٥,١٢	١٣١,٨٣	١٢٦,٧٩	٢٨	٤٦٢,٤٣	٢٨,٥٣	٨٠,٤٦	٠,٠٠٧
وحدة العناية التاجية CCU	١٤	٥٢٨,٩٤	٣٩,٠٤	١١٦,٩٠	٢٢	٥٧٥,٩٧	٢٩,٤٤	١٣٠,٧٣	٠,٠٥٧٤
قسم العمليات الجراحية	٢٧	٤٨٢,١٤	١٣٤,٣٧	٩٥,١٠	٢١	٥٧٧,٨٦	١٢٩,٩٩	١٦٧,٣١	٠,٠١٣

اختبار الفرضية الخامسة: توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل باختلاف المتغيرات الشخصية للمرضيين القانونيين والتي تناولتها الدراسة في كل من مستشفيات وزارة الصحة ومستشفيات القطاع الخاص. ولغرض اختبار هذه الفرضية فقد تم تناول المتغيرات الشخصية لكل عينة على حدة وعلى النحو التالية :

أ- عينة مستشفيات وزارة الصحة: لغرض التعرف على الفروقات في إدراك مستويات ضغط العمل ذات العلاقة بالمتغيرات الشخصية فسوف يتم ذلك من خلال إجراء اختبارين الأول هو اختبار Kruskal- Wallis لاختبار دلالة الفرق بين ثلاث فئات أو أكثر واختبار Mann-Whitemmy لاختبار دلالة الفرق بين فئتين فقط. والجدول رقم (٧) يبين المقارنة بين المتغيرات التي تضم ثلاث فئات أو أكثر باستخدام اختبار Kruskal- Wallis

جدول رقم (٧)

جدول مقارنة المتغيرات الشخصية لعينة مستشفيات وزارة الصحة باستخدام اختبار Kruskal- Wallis

ت	المتغير الشخصي	الفئات	متوسط الرتب	Chi- Square	مستوى الدلالة الاحصائية*
١	العمر	من ٢٠-٢٥ سنة من ٢٦-٣١ سنة من ٣٢-٣٧ سنة من ٣٨ سنة فأكثر	١١٧,٢٢ ١٢١,٨٢ ١٠٦,٦٨	١,٤٤	٠,٦٩
٢	عدد الاطفال	لا يوجد أطفال من ١-٣ طفل ٤ أطفال فأكثر	١٢٤,٧١ ١٠٦,١٨ ١٠٧,٨٠	٤,٠٣	٠,١٣
٣	سنوات الخدمة	أقل من ٣ سنوات من ٣-٦ سنوات من ٧-١٠ سنوات أكثر من عشر سنوات	١٢٥,٩٩ ١١٣,٩٦ ١٢٢,٠٣ ١٠٠,٣٣	٤,٠٣	٠,٢٥
٤	التحصيل الاكاديمي	ثانوية عامة دبلوم بكالوريوس	١٠٠,٢٧ ١١٣,٢٣ ١٣٣,٢٦	٤,٤٦	٠,١٠٧
٥	الدخل الشهري	أقل من ١٥٠ دينار من ١٥٠-٢٠٠ د من ٢٠١-٢٥٠د من ٢٥١د.فأكثر	٩٢,٤١ ١٢٥,٦٣ ٨٠,٣٧ ١١٢,٦٢	٨,٥٧	٠,٠٣٥

*مستوى الدلالة الإحصائية عند مستوى (α < ٠,٠٥)

يتضح من الجدول رقم (٧) عدم وجود فروقات ذات دلالة احصائية في المتغيرات الشخصية التالية: (العمر ، عدد الاطفال، سنوات الخدمة، التحصيل الاكاديمي) بينما أظهر الجدول فروقات ذات دلالة إحصائية في متغير الدخل الشهري لصالح الفئة من ١٥٠-٢٠٠ دينار أي أن انخفاض الراتب يؤدي إلى ارتفاع مستوى ضغط العمل.

أما الجدول رقم (٨) فيقارن بين المتغيرات الشخصية التي تضم فئتين فقط وباستخدام اختبار Mann- Whitenny لتحديد الفروقات الجوهرية بين الفئات.

جدول رقم (٨)

جدول مقارنة المتغيرات الشخصية لعينة مستشفيات وزارة الصحة باستخدام اختبار Mann- Whiteeny

ت	المتغير الشخصي	الفئات	متوسط الرتب	مستوى الدلالة *
١	الجنس	ذكر	١٣٧,٣٩	٠,٠٠٢
		انثى	١٠٨,٣٠	
٢	الحالة الاجتماعية	اعزب	١٢١,٦٨	٠,٣٣٢
		متزوج	١١٣,١٠	
٣	مكان السكن	في المحافظة التي يعمل بها	١١١,٢١	٠,٠٠٢
		خارج المحافظة التي يعمل بها	١٤٥,٤٥	
٤	ساعات العمل اليومية	٨ ساعات أو أقل	١١٧,١٠	٠,٧٥٨
		٩ ساعات فأكثر	١٢٢,٠٨	

*مستوى الدلالة الإحصائية عندما α < ٠,٠٥.

ويبين الجدول رقم (٨) وجود فروقات ذات دلالة إحصائية في متغير الجنس لصالح الذكور أي أن الذكور يشعرون بمستوى عال من ضغط العمل بالمقارنة مع زميلاتهم من الإناث.

كما أظهر الجدول وجود فروقات ذات دلالة احصائية تعزى لمتغير مكان السكن الحالي حيث يشعر أفراد العينة من الذين يسكنون خارج المحافظة التي يعملون فيها بمستوى عال من ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم الذين يسكنون في المحافظة

نفسها التي يعملون فيها. و لم يظهر الجدول وجود فروقات ذات دلالة إحصائية في متغيرات الحالة الاجتماعية وساعات العمل اليومية.

ب- عينة مستشفيات القطاع الخاص:

يوضح الجدول رقم (٩) والذي يضم المتغيرات الشخصية التي تحتوي على ثلاث فئات أو أكثر وباستخدام اختبار Kruskall- Wallis لبيان الفروقات الإحصائية بين المتغيرات المفحوصة بدلالة متوسط الرتب ما يلي :

عدم وجود فروقات ذات دلالة إحصائية تعزى إلى المتغيرات الشخصية التالية (العمر، عدد الأطفال، سنوات الخدمة ، التحصيل الأكاديمي، الدخل الشهري).

جدول رقم (٩)

جدول مقارنة المتغيرات الشخصية لعينة مستشفيات القطاع الخاص باستخدام اختبار Keuskal- Wills

ت	المتغير الشخصي	الفئات	متوسط الرتب	Chi-Square	مستوى الدلالة الاحصائية*
١	العمر	من ٢٠-٢٥ سنة	١١٠,١١	٥,٠٧	٠,١٦٧
		من ٢٦-٣١ سنة	١٣٢,١٥		
		من ٣٢-٣٧ سنة	١٢٣,٢٢		
		من ٣٨ سنة فأكثر	١١٦,١٠		
٢	عدد الاطفال	لا يوجد اطفال	١١١,٣٠	٤,٦٣	٠,٩٨
		من ١-٣ طفل	١٢٦,٣٠		
		٤ أطفال فأكثر	١٣٤,٦٨		
٣	سنوات الخدمة	أقل من ٣ سنوات	١١٣,٧	٦,٥٦	٠,٨٧
		من ٣-٦ سنوات	١٣٤,٨٦		
		من ٧-١٠ سنوات	١١٢,٣٨		
		أكثر من عشر سنوات	١٠٠,٤٧		
٤	التحصيل الاكاديمي	ثانوية عامة	١٤٠,٧٧	٢,٤٩	٢٨٨
		دبلوم	١٢٧,٥٠		
		بكالوريوس	١١٥,٩٢		
٥	الدخل الشهري	أقل من ١٥٠ دينار	١١٦,١٢	٢,٣١٢	٥١٠
		من ١٥٠-٢٠٠ د	١٢٥,٨٥		
		من ٢٠١-٢٥٠د	١٢٢,٤٨		
		من ٢٥١د فأكثر	١٢٠,١٢		

* مستوى الدلالة الاحصائية عندما α < ٠,٠٥

يظهر الجدول رقم (١٠) عدم وجود فروقات ذات دلالة إحصائية تعـزى إلى المتغيرات الشخصية التالية (الجنس، الحالة الاجتماعية، مكان السكن الحـالي) بينمـا أظهر الجدول وجود فروقات ذات دلالة إحصائية في متغير ساعات العمـل اليوميـة حيث أظهر أفراد العينة الذين يعملون ٩ ساعات فأكثر (أكثر من وردية واحـدة في اليوم الواحد) مستوى عاليا من ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم الذين يعملـون في وردية واحدة في اليوم الواحد.

جدول رقم (١٠)

جدول مقارنة المتغيرات الشخصية لعينة مستشفيات القطاع الخاص باستخدام اختبار Mann-Whiteeny

ت	المتغير الشخصي	الفئات	متوسط الرتب	مستوى الدلالة*
١	الجنس	ذكر	١٢٤,٣٤	٠,٥١٨
		انثى	١١٨,٣٢	
٢	الحالة الاجتماعية	اعزب	١١٤,٠٥	٠,٢١٩
		متزوج	١٢٥,١٩	
٣	مكان السكن	في المحافظة التي يعمل بها	١١٠,١٥	٠,٥٥٣
		خارج المحافظة التي يعمل بها	١٤٨,٥٠	
٤	ساعات العمل اليومية	٨ ساعات أو أقل	١١٢,٢٦	٠,٠٠١
		٩ ساعات فأكثر	١٦,٥١	

* مستوى الدلالة الإحصائية عندما $\alpha <$ ٠,٠٥.

نتائج الدراسة

بعد أن تم اختبار الفرضيات وتحليل النتائج فقد أجابت الدراسة عن السؤالين اللذين طرحا للبحث حيث أظهر أفراد العينتين (عينة مستشفيات وزارة الصحة وعينة مستشفيات القطاع الخاص) وجود تباين في تقييمها لكل من مصادر ضغط بيئة العمل (المصادر الستة التي حددها Kinzels Scale والضغوط الناشئة عن اختلاف المتغيرات الشخصية) التي تناولتها الدراسة. ومن جانب آخر أظهر أفراد العينتين شعورا عاما بوجود مستوى متوسط من ضغط العمل في البيئتين.

أما النتائج الأخرى التي توصلت إليها الدراسة وحسب مجالات المقارنة التي تمت فهي :

١- في مجال مقارنة بيئة عمل العينتين :

أ- لم يظهر أفراد العينتين وجود فروقات بينهما ذات دلالة إحصائية تعزى إلى مصادر ضغط العمل التالية : مصادر ضغط التعامل الإداري، مصادر ضغط التعامل مع المريض، مصادر ضغط التعامل مع الطبيب، مصادر ضغط التعامل مع الزملاء الممرضين.

ب- أظهر أفراد العينتين وجود فروقات ذات دلالة إحصائية تتعلق بمصادر ضغط التعامل مع الزملاء الممرضين حيث يشعر أفراد عينة المستشفيات الخاصة بمستوى أعلى من ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم في مستشفيات وزارة الصحة.

ج- أظهر أفراد العينتين وجود فروقات ذات دلالة إحصائية تتعلق بمصادر ضغط التعامل مع الأجهزة والمعدات الطبية حيث يشعر أفراد عينة مستشفيات وزارة الصحة بمستوى أعلى من ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم في مستشفيات القطاع الخاص.

٢- في مجال مقارنة أقسام وشعب العمل في مستشفيات وزارة الصحة :

أ- توجد فروقات ذات دلالة إحصائية بين وحدة العناية المركزية ICU وقسم العمليات الجراحية حيث يشعر العاملون في وحدات العناية المركزة ICU بمستوى أعلى من ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم العاملين في أقسام العمليات الجراحية.

ب- لا توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل بين العاملين في الأقسام والشعب الأخرى.

٣- في مجال مقارنة أقسام وشعب العمل في مستشفيات القطاع الخاص:

أ- وجود فروقات ذات دلالة إحصائية بين قسم العمليات الجراحية وكل من أقسام الأطفال وقسم الولادة، وقسم الباطنية العامة حيث يشعر العاملون في قسم العمليات الجراحية بمستوى أعلى من ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم في الأقسام المذكورة.

ب- توجد فروقات ذات دلالة إحصائية بين قسم الجراحة العامة وكل من قسم الأطفال وقسم الولادة حيث يشعر العاملون في قسم الجراحة العامة بمستوى ضغط عمل أعلى من زملائهم في القسمين المذكورين.

ج- وجود فروقات ذات دلالة إحصائية بين قسم العناية المركزة ICU وكل من قسم الأطفال وقسم الولادة حيث يشعر العاملون في قسم العناية المركزة ICU بمستوى ضغط عمل أعلى من زملائهم في القسمين المذكورين.

د- عدم وجود فروقات ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل بين الأقسام والشعب المتبقية الأخرى.

٤- في مجال مقارنة الأقسام والشعب المتماثلة لدى أفراد العينتين:

أ- وجود فروقات ذات دلالة إحصائية بين أقسام الباطنية حيث يشعر أفراد عينة مستشفيات وزارة الصحة بمستوى أعلى من ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم في القسم نفسه من عينة مستشفيات القطاع الخاص.

ب- وجود فروقات ذات دلالة إحصائية بين أقسام الأطفال حيث يشعر أفراد عينة مستشفيات وزارة الصحة بمستوى أعلى من ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم العاملين في القسم نفسه من عينة مستشفيات القطاع الخاص.

ج- وجود فروقات ذات دلالة إحصائية بين أقسام العمليات الجراحية حيث يشعر أفراد عينة مستشفيات القطاع الخاص بمستوى أعلى من ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم العاملين في القسم نفسه من عينة مستشفيات وزارة الصحة.

ز- عدم وجود فروقات ذات دلالة إحصائية بين الأقسام والشعب المتبقية الأخرى.

٥- في مجال مقارنة المتغيرات الشخصية لأفراد عينة مستشفيات وزارة الصحة:

أ- وجود فروقات ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل تعزى إلى الجنس حيث يشعر الذكور بمستوى أعلى من ضغط العمل بالمقارنة مع زميلاتهم الإناث.

ب- لا توجد فروقات ذات دلالة إحصائية تعزى إلى المتغيرات التالية : العمر ، عدد الأطفال ، سنوات الخدمة، التحصيل الأكاديمي، الحالة الاجتماعية ، ساعات العمل اليومية.

ج- توجد فروقات ذات دلالة إحصائية تعزى إلى مكان السكن الحالي حيث يشعر العاملون الذين يسكنون خارج المحافظة التي يعملون فيها بمستوى أعلى من ضغط العمل بالمقارنة مع زملائهم الذين يسكنون في المحافظة نفسها التي يعملون فيها.

٥- في مجال مقارنة المتغيرات الشخصية لأفراد عينة المستشفيات الخاصة:

أ- لا توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في إدراك مستويات ضغط العمل بين أفراد العينة تعزى إلى كل من المتغيرات التالية (العمر، الجنس، الحالة الاجتماعية، عدد الأطفال، سنوات الخدمة، التحصيل الأكاديمي، الدخل الشهري، مكان السكن الحالي).

ب- توجد فروقات ذات دلالة إحصائية تعزى إلى متغير ساعات العمل اليومية حيث يشعر العاملون الذين يعملون في اكثر من وردية واحدة (أكثر من ٩ ساعات عمل) بمستوى أعلى من ضغط العمل بالمقارنة بزملائهم الذين يعملون لوردية واحدة (٨ ساعات عمل).

التوصيات

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة فقد تم اقتراح التوصيات التالية :

١- هناك حاجة ماسة إلى وجود وصف وظيفي خاص بمهنة التمريض من أجل إلزام الممرضين القانونيين بالقيام بمهام هذه المهنة بالشكل المطلوب ضمن هذا الوصف المعتمد والمتفق عليه. وهذا يفترض أن يتم من خلال الدعوة إلى عقد ورشات عمل على المستوى الوطني تدعى إليها الخبرات والكفاءات في مجال التمريض من كل من مستشفيات وزارة الصحة والخدمات الطبية الملكية والمستشفيات الخاصة بالإضافة إلى المتخصصين من الجامعات الحكومية والخاصة ونقابة الممرضين والقابلات القانونيات وكليات التمريض التابعة لوزارة الصحة.

٢- الطلب إلى نقابة الممرضات والممرضين القانونيين منع تشغيل الممرضين لأكثر من وردية واحدة في اليوم الواحد.

٣- إجراء دراسة ميدانية على مستشفيات وزارة الصحة والمستشفيات الخاصة لتحديد عبء العمل الكمي والنوعي الذي يقع على عاتق المرضة والممرض القانوني بهدف الوصول إلى معدل يتناسب والقدرات الشخصية والمهنية للممرضين القانونيين.

٤- التوسع في مناهج دراسة التمريض (الدبلوم والبكالوريوس) وشمولها على دراسات نفسية تركز على كيفية التعامل مع حالات الوفاة وحالات الإصابات الخطرة والمواقف الصعبة التي يتعرض لها الممرضون أثناء العمل.

٥- تحسين نوعية بيئة العمل من منطلق الاهتمام بظروف العمل المادية من رواتب واستخدام الأجهزة الحديثة وبظروف العمل النفسية من علاقات مع الأطباء ومع المريض ومع زوار المريض.

٦- الاهتمام بنوعية الزوار وأهل المرضى وبآداب الزيارة للمريض وأهمية التعامل الجيد مع الممرض/ الممرضة وانعكاس ذلك على علاقته مع المريض.

٧- الاهتمام بالتدريب النفسي للممرض/ الممرضة، بجانب التدريب المهني، في مجال العمل من منطلق كيفية التعامل مع مصادر التوتر والضغط في العمل خاصة الاجتماعية والنفسية منها.

٨- تشجيع دوران الممرضين القانونيين بين جميع أقسام وشعب العمل في المستشفى الأمر الذي يؤدى ليس فقط إلى تغيير طبيعة العمل بل أيضا إلى اكتساب مهارات وخبرات جديدة والابتعاد عن مصادر ضغط العمل وقتيا.

ملحق رقم (١)

العوامل التي تسبب ضغط العمل بموجب Kinzel's Scale بين الممرضين

تسلسل	الأحداث التي تسبب ضغط العمل	نادرا	قليل	متوسط	كثير	كثير جدا
١.	هل تكلف بمسؤوليات ومهام لم تتدرب عليها؟	١٣,٤	٢٦,٨	٤٠,٢	٥٣,٦	٦٧
٢	هل تعمل مع أفراد غير مؤهلين من الكادر الصحي.	١٢,٨	٢٥,٦	٣٨,٤	٥١,٢	٦٤
٣	هل تتعامل مع مشرفين وإداريين غير متعاونين؟	١٢,٢	٢٤,٤	٣٦,٦	٤٨,٨	٦١
٤	هل تعمل في قسم فيه نقص في الكادر الصحي المؤهل؟	١١,٦	٢٣,٢	٣٤,٨	٤٦,٤	٥٥
٥	هل تعتني بمريض يعاني من أزمة قلبية؟	١١	٢٢	٣٣	٤٤	٥٨
٦.	هل هناك خلافات مع زملائك بالعمل	١٠,٤	٢٠,٨	٣١,٣	٤١,٦	٥٢
٧	هل تتعامل مع أهل مريض يحتضر (يموت)؟	٩,٨	١٩,٦	٢٩,٤	٣٩,٢	٤٩
٨	هل تقوم بالعناية بمريض يحتضر (يموت)؟	٩,٢	١٨,٤	٢٧,٦	٤٣,٨	٤٦
٩.	هل تتعامل مع أدوات غير صالحة أو غير مناسبة؟	٨.٨	١٧,٦	٢٦,٤	٣٥,٢	٤٤
١٠.	هل تعمل في قسم لا تتوفر فيه التجهيزات الكافية؟	٨,٤	١٦,٨	٢٥,٢	٣٣,٦	٤٢
١١.	هل تؤثر زيادات أهل وأصدقاء المريض سلبيا على البرنامج العلاجي؟	٨	١٦	٢٤	٣٢	٤٠
١٢.	هل تعمل في وردية أو برنامج عمل غير ملائم؟	٧,٦	١٥,٢	٢٢,٨	٣٠,٤	٣٨
١٣.	هل تحملك المسؤولية لا يقابل بالشكر والامتنان؟	٧,٢	١٤,٤	٢١,٦	٢٨,٨	٣٦
١٤.	هل تتعامل مع طبيب صعب؟	٦,٨	١٣,٦	٢٠,٤	٢٧,٢	٣٤
١٥.	هل تتعامل أو تتصل من خلال البيروقراطية (التسلسل الإداري) مع المستويات الإدارية الأعلى أو الادنى.	٦,٢	١٢,٤	١٨,٦	٣٤,٨	٣١
١٦.	هل تعاني من عدم تقيد الزائرين بتعليمات الزيارة (الوقت، التدخين، جلب الطعام، وغيرها)؟	٦	١٢	١٨	٢٤	٣٠
١٧.	هل تخرج مريضا وفق الاوامر من المستشفى وتعتقد أنه غير جاهز للخروج؟	٥,٦	١١,٢	١٦,٨	٢٢,٤	٢٨
١٨.	هل تعتني بمريض في حالة مرضية خطرة؟	٥	١٠	١٥	٢٠	٢٥
١٩.	هل تصرف وقتا طويلا في الأعمال الكتابية أو الرد على الهاتف؟	٤.٤	٨.٨	١٣,٢	١٧,٦	٢٢
٢٠.	هل تعاني من تقيد الزائرين بتعليمات الطبيب دون الممرض؟	٤	٨	١٢	١٦	٢٠
٢١.	هل لديك مشاكل مادية أو معنوية تتعلق بالرواتب أو الحوافز أو الترقية؟	٣,٨	٧,٦	١١,٤	١٥,٢	١٩
٢٢.	هل تتعامل مع مريض كثير الإلحاح أو غير مطيع للأوامر الصحية؟	٣,٢	٦,٤	٩,٦	١٢,٨	١٦
٢٣.	هل تنسق عمل الأفراد العاملين معك؟	٢,٦	٥,٢	٧,٨	١٠,٤	١٣
٢٤.	هل يسبب لك الزائرون نوعا من المضايقات الشخصية	٢	٤	٦	٨	١٠
المجموع		١٨٠	٣٦٠	٥٤٠	٧٢٠	٩٠٠

- تكون مستويات ضغوط العمل كما يلي :

١-مستوى ضعيف جدا من ضغط العمل من (٠-١٨٠) علامة

٢-مستوى ضعيف من ضغط العمل من (١٨١-٣٦٠) علامة

٣-مستوى متوسط من ضغط العمل من (٣٦١-٥٤٠) علامة

٤-مستوى عال من ضغط العمل من (٥٤١-٧٢٠) علامة

٥-مستوى عال جدا من ضغط العمل من (٧٢١-٩٠٠) علامة

الهوامش

١- زهير الصباغ ، " ضغط العمل" ، **المجلة العربيـــة لـــلإدارة**، العـــددان ١و ٢ (١٩٨١) ، ص ٢١.

2- A.Robert Baron, B*ehaviour in Organization* (Boston: Allyn & Bacon Inc., 1983) , p. 305.

3- W.B. Brown and D.J. Moberg, *Organization Theory and Management: A Macro Approach* (New York: John Wiley Sons, 1980, p.70.

4- B. Kozier, *Fundamentals of Nursing* (California: Addison- Wesley Publishing Company, 1991), p. 396.

5- Charles N. Adam Green, Ef. Everett and R.J. Ebert, *Management for Effective Performance* (N.J: Prentic-Hall Inc., 1985), p.165.

٦- الصباغ ، **المرجع المذكور**، ص ٣٣.

٧- مؤيد سعيد سليمان السالم، " التوتر التنظيمي – مفاهيمه وأسبابه واستراتيجية إدارته"، **الإدارة العامة**، العدد ٦٨ (١٩٩٠) ، ص ٧٩.

8- Patrick A. Tayler, " Sources of Stress and Psychological Well- being in High-dependency Nursing", *Journal Of Advanced Nursing*", Vol. 19(1994); Paula Matrunola, " Is There a Relation Between Job Satisfaction and Absenteeism?" , *Journal of Advanced Nursing*, Vol. 23 (1996) ; G. Tumalty, " Head Nurse Role Redesign Improving Satisfaction and Performance", *Journal of Nursing* , Vol. 22 No(1992).

9- G. Hendrickson & Others, " How Do Nurses Use Their Time" *GONA*, vol 20 , No.3 (March 1990), p.31.

10- M.C. Ramos, " The Nurse- Patient Relationship: Theme & Variative" , *Journal of Advanced Nursing*, 17(1992), p.496.

11- R. Kirk, " Using Workload Analysis and Acuity Systems to Facilitate Quality and Production, *GONA*, Vol 20, No 3 (1990) , p.11.

12- A. Keane, J. Ducette, & Adler, " Stress in ICU and Non- ICU Nurses," , *Nursing Research*, Vol 34, No 4 (1985) , p.232.

13- Mc Donald and Doyle, *The Stress of work* (London: The Trinty Press 1981) , p.3.

14- A. R. Abu Ajamieh and others, " Job Satisfaction Correlation among Palestinian Nurses in West Bank", *International Journal of Nursing Study*", Vol 33, No 4 (1996), p.422.

15- R. Bunham, *Organization Behaviour* (Home Wood: Richard Irwin Inc., 1986) , p. 436.

16- McDonald, *op. cit*, p. 748.

17- B. Tyler and R.N. Ellison, " Sources of Stress and Psychological Well- being in High Dependency Nursing" , *Journal of Advanced Nursing* (1994) , p. 469.

18- B. Kozier and G. Erp, *Fundamentals of Nursing* (California: Addison-wesley Publishing Company, (1991), p.350.

19- R. Appelbaum, "Head Nurse Role , Redesign Improving Satisfaction And performance" *Journal of Nursing*, V.22, No.2 (1992), P.110.

٢٠- السالم ، المرجع المذكور، ص ٨٤.

21- M.A. Blegen, " Job Satisfaction A Metaanalysis of Related Variables" , *Nursing Research* , Vol 42, Nol (1993) , p.36.

22- Tayseer Ahmad, Ellen Salem and Nahla Shankary, " Psychological Stressors among Nurses in Critical Care Areas" , *Journal of Royal Medical Services*, Vol. 1, No.1 (1994), pp. 37-44.

٢٣- علي عسكر وعباس أحمد، " مدى تعرض العاملين لضغط العمل في بعض المهن الاجتماعية""، **مجلة العلوم الاجتماعية**، مجلد ١٦، عدد ٤ (١٩٨٨) ، ص ص ٦٥-٨٨.

24- Kean, *op. cit*,. p.231.

25- J. Chapman, " Collegial Support Linked to Reduction of Job Stress" , *Nursing Management*, Vol. 24, No.5,(May 1995), p.52.

26- Tyler & Ellison, *op.cit*., p.469.

27- Mary A. Collins, "The Relation of Work Stress, Hardiness and Burnout Among Full-time Hospital Nurses", *Journal of Nursing Staff Development*, Vol.12, No.2 (1996) , p.81.

28- Vickie Lee & M.C. Henderson, " Occupational Stress and Organizational Commintment in Nurse Administrators,, *JONA*, vol. 26, No.5 (1996), p.21.

29- Dugan and Others, " Stressful Nurses: The Effect on Patient Outcomes", *J. Nurs. Care Qual*., Vol.10, No. 3 (1996) , p.46.

٣٠- التقرير الإحصائي السنوي لوزارة الصحة ١٩٩٥، ص ٣.

مشكلات طلبة الجامعة ومستوى الاكتئاب لديهم

في ضوء متغيرات الجنس والتخصص والمعدل التراكمي والمستوى الدراسي

د. محمود عطا حسين

كلية الآداب – جامعة البتراء

د. نادر فهمي الزيود

كلية التربية – جامعة قطر

ملخص

استهدفت هذه الدراسة التعرف إلى المشكلات التي تواجه طلبة الجامعة ومدى اختلاف هذه المشكلات باختلاف الجنس والمستوى الدراسي والتخصص والمعدل التراكمي. وكذلك التعرف إلى نسبة شيوع الاكتئاب والأعراض الاكتئابية الأكثر انتشاراً بين طلبة الجامعة، ومدى تأثر درجات الاكتئاب ارتفاعاً وانخفاضاً بالمتغيرات السابقة. كما هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة الارتباطية بين مشكلات التكيف ودرجة الاكتئاب.

لقد استخدم الباحثان استبيان مشكلات الطلبة وقائمة بيك للاكتئاب. وطبقت هذه الأدوات على عينة من طلبة جامعة العلوم التطبيقية بلغت ٢٩٧ تراوحت أعمارهم ما بين ١٧-٢٤ سنة. ولتحليل النتائج تم استخدام المتوسطات الحسابية والنسب المئوية واختبار T وتحليل التباين.

لقد أظهرت الدراسة أكثر المشكلات التكيفية والأكاديمية انتشاراً بين الطلبة، كما بينت أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطالبات في مشكلات التكيف، فقد أتضح أن الطلاب أكثر إحساساً بهذه المشكلات في حين لم يتضح أن هناك أثراً يعزى إلى المستوى الدراسي والتخصص والمعدل التراكمي على مشكلات التكيف.

كما أوضحت الدراسة نسبة شيوع الاكتئاب لدى أفراد العينة حيث بلغت ١٦%، وأن اكثر الأعراض الاكتئابية شيوعاً لديهم هي: فقدان الدافعية للعمل والانسحاب الاجتماعي والتردد وعدم الرضا والحزن. كما بينت الدراسة أن لا أثر يعزى إلى الجنس والمستوى الدراسي والمعدل والتخصص على درجة الاكتئاب. وأوضحت أن هناك علاقة موجبة بين مشكلات الطلبة والاكتئاب مما يشير إلى أن هناك علاقة ارتباطيه بين حدة مشكلات الطلبة ودرجة الاكتئاب لديهم.

University Studenblems and Their Level of Depression in Light of Some Variables

Mahmmod Husain
Faculty of Arts – Petra University
Nader Al-Zoyoud
Faculty of education - Qater University

Abstract

The present study aimed at investigating the level of depression and the most common problems facing the university students. It also aimed at identifying the effect of some variables (Sex, Educational level, Cumulative average and specialization). The Beck Depression Inventory and the Students Problem questionnaire were administered to a sample of 297 students ranging from 17-24 years old.

The study revealed the most severe problems facing the students and the level of depression. Significant differences in student problem were found between males and females, due o the sex variable. There were no significant differences in student problems due to other variables, nor in depression due to all above variables. However there was a positive correlation between student problems and degree of depression.

خلفية الدراسة:

يمثل طلاب الجامعات مرحلة نمائية معينة لها خصائصها ومطالبها وحاجاتها ومشكلاتها يطلق عليها معظم الباحثين المراهقة المتأخرة (١٨-٢٢). وتمتاز المراهقة بوجه عام بأنها فترة تحدث فيها تغيرات فسيولوجية وجسمية واجتماعية وانفعالية وعقلية معينة، وفترة ظهور حاجات واهتمامات ورغبات وأهداف جديدة تنقل الفرد من الطفولة إلى الرشد، وهذا الانتقال يعني التغير، ومع هذا التغير تظهر الحاجة إلى التكيف مع البيئة الجديدة. ويقتضي التكيف إعادة النظر في الأساليب الطفلية وإحلال نماذج من السلوك والتفكير والاهتمامات بما يتفق مع حياة الراشدين وتكون قادرة على مواجهة المسؤوليات الجديدة (١).

والطالب الجامعي يعيش مرحلة انتقالية مزدوجة، تمثل الأولى الانتقال إلى عالم الراشدين وما ينتج عن ذلك من مطالب نمائية محددة حيث تظهر حاجات نفسية واجتماعية تستدعي إشباعاً وطموحات، وأهداف تستدعي تحقيقاً، ورغبة ملحة لتحقيق الاستقلالية والتفرد والبحث المستمر عن الذات ككيان مستقل متميز أو تحديد الهوية أو الكينونة. فإن فشل في تحقيق ذلك نشأت أزمة الهوية بما يؤدي إلى ظهور مشاعر الوحدة والاغتراب والاكتئاب.

أما الوضع الانتقالي الآخر فهو انتقال الطالب من التعليم الثانوي إلى التعليم الجامعي، حيث بيئة تعليمية جديدة ذات تبعات ومسؤوليات وتعاملات جديدة، يتعرض فيها لضغوط واحباطات ومواقف متعددة يتحتم التكيف معها لحفظ توازنه النفسي والاجتماعي. وكلما تباينت البيئة الثقافية بمتطلباتها الفكرية عن البيئة الأصلية للفرد ازدادت غربة الإنسان وضعفت قدرته على التكيف. فالطالب العربي الذي يغادر

بلاده لمتابعة دراسته في الغرب يجد صعوبة في التكيف مع البيئة الجامعية الجديدة اكثر من الطالب الذي يتلقى العلم في بلاده (٢).

وعليه فإن معايشة الطالب للحياة الجامعية تقتضي منه التكيف مع البيئة الجديدة، والتكيف كما وصفه لازورس Lazarus هو محاولات للتعامل مع المواقف المختلفة لإشباع الحاجات الأساسية للفرد وحفظ توازنه النفسي والاجتماعي (٣). فعلى الطالب التكيف مع المقررات الدراسية الجامعية وأساليب التدريس والبحث العلمي، والتكيف مع الزملاء وأعضاء هيئة التدريس والانخراط في الأجواء الاجتماعية للحياة الجامعية، فإن استطاع تحقيق ذلك أصبحت البيئة الجامعية بيئة تعليمية مشجعة غير كافة ولا ضاغطة، وإن لم يتمكن من ذلك فإن مشكلات التكيف تزيد من قلق الطالب واكتئابه وتؤثر على تحصيله وشخصيته كما أوضح البرت وبيك Albert & Beck 1975 (٤).

وفي ضوء ذلك فإن اكثر المتغيرات ارتباطاً بمشكلات التكيف متغير الاكتئاب Depression، حيث لاقى اهتماماً كبيراً من الباحثين النفسيين، ذلك أنه من أكثر الاضطرابات النفسية شيوعاً، فقد ذكرت احدث التقارير الإحصائية الأمريكية أن ١٢ مليون بالغ يصابون بالاكتئاب سنوياً ويكلفون الاقتصاد القومي ٢٧ مليار دولار بسبب عدم انتظام الأفراد في العمل وفقدان دافعيتهم للإنجاز والرعاية الصحية لهم (٥). أضف إلى ذلك أنه من اكثر الاضطرابات النفسية التي تحدث في المراهقة ويأخذ أشكال الانسحاب الاجتماعي وعدم الراحة وضعف الرغبة في التعاون وضعف الدافعية الدراسية. وقد دفع ذلك بعض الباحثين إلى التساؤل فيما إذا كان هناك اكتئاب المراهقة كاضطراب له خصائص فريدة أم لا (٦).

لقد أشارت الأبحاث إلى عدد من المعطيات ذات العلاقة بالمشكلات التكيفية والأكاديمية للطالب، إذ تتأثر هذه المشكلات في نوعها وحدتها بعدد من المتغيرات، فقد

أوضحت دراسة (Cho, 1988)(٧) أن مشكلات سوء التكيف تزداد في السنوات الجامعية الأولى وتقل في المستويات الأخيرة في الوقت الذي أوضحت فيه دراسة أخرى عدم وجود فروق في التكيف الدراسي بين طلبة المستوى الأول والأخير(٨)، وأنها تزداد لدى الطلبة الأجانب المنحدرين من بيئات ثقافية مختلفة عن بيئة الدراسة، كما أن هذه المشكلات تختلف تبعاً للجنس والحالة الاجتماعية للطالب كما تبين دراسة ماركس وشوتز (Marx & Schutze,1991). (٩) وقد أفادت دراسة "صوانة" على طلبة جامعة اليرموك زيادة متوسط مشكلات الذكور عن متوسط مشكلات الاناث، وعدم وجود فروق أحصائية دالة يمكن أن تعزى إلى التخصص في شدة المشكلات(١٠)، هذا وقد تأثرت مشكلات الطلاب بالمستوى التحصيلي للطالب، فالمتفوقون أكثر قدرة على التكيف في المحيط الجامعي سواء فيما يتعلق بطرق الدراسة والعلاقة مع المدرسين والتقبل التربوي مقارنة بالعاديين والمتأخرين تحصيلياً (١١).

أما عن متغير الاكتئاب فقد أوضحت العديد من الدراسات أن الاكتئاب يظهر بشكل أوضح لدى الإناث أكبر من الذكور كما تبين دراسات (Comstoke & Helsing, 1976), (Ghareeb, 1996), (Ilfeld,1977) (١٤) في حين أكدت دراسات أخرى أنه لا فرق في الاكتئاب يمكن أن يعزى إلى الجنس. وقد تباينت الدراسات حول أثر السن في الاكتئاب حيث تؤكد دراسة (Blumenthal, 1975) أن نسبة وقوع الاكتئاب ترتفع لدى صغار السن مقارنة مع كبار السن، إلا أن ردليش وفريدمان (Ridlich & Fredman , 1966) أكدا أن الاكتئاب يحدث ويظهر في كل الأعمار، وأنه لا فرق يمكن أن يعزى إلى العمر في درجة الاكتئاب (١٥) وأن الاكتئاب في المراهقة يرتبط بوضوح بفقدان الاهتمام وانخفاض الدافعية ومشاعر سالبة عن الذات (١٦). أما عن علاقة الاكتئاب بالمستوى الدراسي والتعليمي فتشير مجمل الدراسات إلى وجود ارتباط سالب بين مستوى التعليم

والدرجات على مقياس الاكتئاب، إذ يميل الأفراد ذوي التعليم المنخفض نحو الحصول على درجات أعلى على المقياس مقارنة بأولئك الحاصلين على مؤهلات أعلى (١٧).

يتضح مما سبق أن الطالب الجامعي يواجه مشكلات تكيفية وأكاديمية في البيئة الجامعية قد يرتبط بها قلق الطالب واكتئابه وتوتره مما يؤثر سلباً على تحصيله وشخصيته، الأمر الذي دفع بالباحثين إلى إجراء هذه الدراسة في احدى الجامعات الأهلية، في محاولة هادفة إلى الكشف عن المشكلات التكيفية التي يعاني منها الطلاب. ومدى ارتباطها ببعض المتغيرات وكذلك الكشف عن مستويات الاكتئاب لدى طلاب الجامعة، ومدى تأثرها بمتغيرات الجنس والتخصص والمعدل التراكمي، وكذلك الكشف عن العلاقة بين هذه المشكلات والاكتئاب. ويبرر هذه الدراسة أن هناك قصوراً واضحاً في دراسة مشكلات الطلبة الجامعيين خاصة في الجامعات الأهلية حديثة العهد وبرامجها تتطور بسرعة مما قد يعيق قدرة طلابها على التكيف مع مظاهر التحديث المتسلوع.

مشكلة الدراسة وأسئلتها.

تتلخص مشكلة الدراسة في محاولة التعرف على أهم المشكلات التي يواجهها طلاب الجامعة، وإلى مستوى الاكتئاب والأعراض الاكتئابية الأكثر شيوعاً لديهم، ومعرفة نوع العلاقة الارتباطية بين المشكلات التكيفية والاكتئاب. كما تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مدى اختلاف هذه المشكلات باختلاف الجنس والمعدل التراكمي والتخصص والمستوى الدراسي ومدى تأثر درجات الاكتئاب بالمتغيرات السابقة، وعليه تسعى الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

ما هي المشكلات الأكثر انتشاراً لدى طلاب الجامعة ؟

١-هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في حدة المشكلات عند طلاب الجامعة يمكن أن تعزى إلى :

أ- الجنس ب- المستوى الدراسي

ج- المعدل التراكمي د- التخصص

٢-ما نسبة شيوع الاكتئاب وما هي أعراض الاكتئاب الأكثر شيوعاً لدى طلبة الجامعة؟

٣-هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الاكتئاب يمكن أن تعزى إلى:

أ- الجنس ب- المستوى الدراسي

ج- المعدل التراكمي د- التخصص

٤-هل هناك ارتباط بين درجات أفراد البحث على استبانه مشكلات الطلبة وبين درجاتهم على مقياس الاكتئاب؟

أهمية الدراسة:

- تعتبر هذه الدراسة من الدراسات الرائدة التي تجرى على الطلاب في بعض الجامعات الأهلية بهدف التعرف إلى أهم المشكلات التي يواجهها الطلاب، وتكون عائقاً دون تكيفهم النفسي والاجتماعي، وتؤثر سلباً على شخصياتهم وتحصيلهم العلمي، وقد تؤدي بهم إلى التسرب والرسوب.
- تساهم هذه الدراسة في تشخيص المشكلات الأكاديمية بحيث تكون نتائجها أساساً تبنى عليه برامج إرشادية وقائية وعلاجية لمواجهة هذه المشكلات.
- التعرف على مدى شيوع الاكتئاب لدى طلاب الجامعة وتحديد الأعراض الاكتئابية الأكثر انتشاراً مما يساعد في توجيه الخدمات النفسية الوقائية والعلاجية لمواجهة حالات الاكتئاب.

- تساهم في تحديد بعض أوجه القصور في الخدمات الجامعية التي يفتقر إليها الطلاب مما يمكنّ المسؤولين من استكمال هذه الخدمات وتوفيرها.

مفاهيم الدراسة:

مشكلات الطلبة: وهي مجموع الصعوبات التي يعاني منها الطلاب في التعامل مع أعضاء هيئة التدريس، والتكيف مع متطلبات الدراسة ومهاراتها، ومع النظام الجامعي ومتطلباته.

وتعرف مشكلات الطلبة إجرائيا بأنها مجموع الدرجات التي يحصل عليها الطالب على استبيان مشكلات الطلاب المستخدم في هذه الدراسة .

الاكتئاب: وهو اضطراب عصابي يمثل حالة من الحزن الشديد تسيطر على الفرد وتترافق مع شعور بالذنب وانعدام الثقة بالنفس وتأنيب الذات وتحقيرها. والشخص المكتئب في هذا البحث في ضوء الاختبار المستخدم هو شخص حزين متشائم غير راض عن نفسه متردد يجد صعوبة في العمل متعب فاقد للشهية.

ويعرف الاكتئاب إجرائيا بأنه مجموع الدرجات التي يحصل عليها الفرد على بنود قائمة بيك للاكتئاب (BDI) والتي تشير إلى أن ارتفاع الدرجة دليل على شدة الأعراض الاكتئابية.

الجنس: وهم الطلاب والطالبات الذين يكونون عينة الدراسة.

المستوى الدراسي: وهم طلاب وطالبات المستوى الأول والمستوى الرابع من أفراد عينة الدراسة.

المعدل التراكمي: وهم الطلاب والطالبات الذين حصلوا على تقدير ممتاز وجيد جداً وجيد ومقبول وضعيف.

التخصص: وهم الطلاب والطالبات المتخصصون في الدراسات الإسـلامية والعلـوم التربوية والعلوم الطبية والعلوم الطبيعية.

الدراسات السابقة

لقد أجريت دراسات عديدة تناولت مشكلات الطالب الجامعي، ركز بعضـها على المشكلات النمائية النفسية والفسيولوجية والاجتماعية، في حين ركـز البعـض الآخر على المشكلات التكيفية والأكاديمية داخل الحرم الجامعي.

لقد أجرى أبو عليا ومحافظة ١٩٩٧ دراسة استهدفت التعرف على مشـكلات طلبة الجامعة الهاشمية في مجالات الخدمات الجامعية والعلاقة مع أعضاء هيئة التدريـس والتكيف الجامعي والمهارات الدراسية، وقد حددت الدراسة ابرز المشكلات التي يعـاني منها الطلبة وهي: تدني مستوى خدمات الكفتيريا، وعدم توافـر أمـاكن اسـتراحة للطلاب، وإجراء أكثر من امتحان واحد في اليوم الواحد، وعـدم اهتمـام الجامعـة بإقتراحات الطلبة. كما أوضحت أن هناك فروقا ذات دلالة بين الطلاب والطالبـات في مشكلات الخدمات الجامعية (١٨).

وفي دراسـة شـريف وعـودة ١٩٨٤ عـن مشـكلات طلبـة جامعـة الكويت تبـين منـها أن ضعـف الإرشـاد النفسـي والـتربوي والأكـاديمي، والمشكلات الدراسية مثـل الامتحانـات وتوزيـع الدرجـات وضعـف العلاقـة بالمدرسين من أهم المشكلات التي يعاني منها طلبـة الجامعـة الكويتيـة (١٩).

وفي دراسة أجريت في جامعة فرجينيا على عينة مكونة من ١٩٨ طالباً وطالبـة بهدف بيان مجالات سوء التكيف، أوضح فيلانوفا واخـرون (illanova, et al, 1984) أن مشكلات التكيف مع المدرسين، والعلاقات الشخصية والجانب الأكـاديمي والتعامل مع إدارة الجامعة، احتلت المراتب الأولى في مجالات سوء التكيف (٢٠).

وقد أجرى صابي (Sabie, 1975) دراسة موسعة لنيل درجة الدكتوراه حول المشكلات الشخصية والاجتماعية والأكاديمية التي يتعرض لها الطلاب الأجانب في الجامعات الأمريكية، اتضح له أن أغلب المؤسسات التعليمية ليس لديها مراكز إرشادية تعنى بحياة الطلبة الأجانب وأنشطتهم، وأنهم غالباً ما يعيشون على هامش الحياة الجامعية، وأن أهم مشكلاتهم هي صعوبة التكيف مع الحياة الجامعية، وعجزهم عن الاستفادة من الخدمات الجامعية التي تقدمها الجامعة وضعف مشاركتهم في الأنشطة الطلابية (٢١).

وفي هذا الاتجاه أوضحت دراسة هيوبنر (Huebner ,1984) أن طلبة الجامعة يعانون من ضعف دور الإرشاد في حل مشكلاتهم، وأن الأصدقاء هم المصادر الرئيسية في حلها، كما توصلت الدراسة إلى أن أكثر المشكلات تكراراً هي المشكلات الأكاديمية والخوف من التحصيل ومهارات الدراسة، وبعض المشكلات الشخصية (٢٢).

أما عن الدراسات التي أجريت على الاكتئاب فقد ركزت على معرفة نسبة شيوع الاكتئاب في المرحلة الجامعية، والكشف عن المتغيرات المرتبطة بالاكتئاب.

فقد أجرى أبو بكر مرسي ١٩٩٧ دراسة حول أزمة الهوية والاكتئاب والفروق بين الجنسين في المتغيرين السابقين، وقد أتضح أن هناك علاقة إيجابية دالة بين أزمة الهوية والاكتئاب. كما أكدت الدراسة أن الإناث أكثر اكتئاباً من الذكور (٢٣).

وفي دراسة حسن فايد ١٩٩٨ حول الاكتئاب واليأس وتصور الانتحار بين طلبة الجامعة، أجريت على عينة من طلبة كلية الآداب بجامعة حلوان تراوحت أعمارهم ما بين ١٧-٢٤ سنة، تبين منها عدم وجود فروق جوهرية بين الطلبة والطالبات في كل من الاكتئاب واليأس وتصور الانتحار (٢٤).

كما أجرى غريب عبد الفتاح، ١٩٩٣ دراسة حول الاكتئاب في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية، اجريت على عينة مصرية قوامها ٤٦٢ فرداً، وذلك بهدف التعرف على أثر الجنس والسن ومستوى التعليم والحالة الزواجية على الاكتئاب، وقد أوضحت الدراسة أن الاكتئاب يرتفع بين الإناث ومع التقدم في السن وبين الأقل تعليماً (٢٥).

وفي دراسة أجراها غريب عبد الفتاح ١٩٩١ حول طبيعة اكتئاب المراهقة في الإمارات العربية المتحدة على عينة مكونة من ٤٣٥ طالباً تم اختيارهم من أبو ظبي والشارقة ودبي، هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على التوزيع التكراري للاكتئاب لدى أفراد العينة وبيان المكونات الرئيسية للاكتئاب، وهل للجنس والسن علاقة بالاكتئاب تبين فيها أن الإناث أكثر اكتئاباً من الذكور وإنه لا فروق في درجة الاكتئاب تعزى إلى العمر (٢٦) .

وقد أجرى محمود حسين ١٩٩٣ دراسة حول تقدير الذات وعلاقته بالوحدة النفسية والاكتئاب لدى طلاب الجامعة في مدينة الرياض تبين فيها أن ١١,٥% من أفراد العينة يعانون من اكتئاب شديد، وأن هناك علاقة موجبة بين الاكتئاب والوحدة النفسية، وعلاقة سالبة بين تقدير الذات والاكتئاب .(٢٧)

كما توصل كومستوك وهلسنج (Comstock & Helsing) في دراسة لعينة بلغت ٣٨٤٥ فرداً من الريف والحضر تراوحت أعمارهم ما بين ١٨-٦٥، إلى أن الإناث من البيض حصلن على درجات أعلى في الاكتئاب من الذكور.(٢٨)

منهج الدراسة وإجراءاها

مجتمع الدراسة وعينتـــها:

تألف مجتمع الدراسة من جميع الطلبة المسجلين في جامعة العلوم التطبيقية للعام الدراسي ٩٨/٩٧ موزعين على كليات العلوم الطبيعية والعلوم الطبية والآداب.

وقد أجريت هذه الدراسة على عينة طبقية عشوائية بلغت ٣٠٥ فرداً شملـــت طلاباً وطالبات من مستويات دراسية وتخصصات ومعدلات تراكمية مختلفة تراوحـــت أعمارهم بين ١٧-٢٤ بمتوسط ٢١,٩٢ وقد تم استبعاد ٨ استجابات لعدم اكتمالهـــا أو نقص في المعلومات المتعلقة بالمفحوصين وعليه فقد بلغ عدد أفراد العينة ٢٩٧ فـــرداً موزعين حسب المتغيرات التالية.

جدول رقم (١)

توزيع أفراد العينة حسب متغيرات الدراسة (ن=٢٩٧)

المتغيرات		العدد	النسبة
الجنس	ذكر	١٧٠	%٥٧,٢٤
	أنثى	١٢٧	%٤٢,٧٦
المعدل التراكمي	ممتاز	٢٥	%٨,٤٢
	جيد جداً	٨٨	%٢٩,٦٣
	جيد	١٥٠	%٥٠.٥٠
	مقبول	٣١	%١٠,٤٤
	ضعيف	٣	%١,٠١
المستوى الدراسي	الأول	٥٩	%١٩,٨٦
	الثاني	١٠٢	% ٣٤,٣٤
	الثالث	٥٢	%١٧,٥٢
	الرابع	٨٤	%٢٨.٢٨
التخصص	دراسات إسلامية	١٢	%٤,٠٤
	علوم تربوية	١٨٠	%٦٠.٦٠
	علوم عامة طبيعة	٧٨	%٢٦.٢٦
	علوم طبية	٢٧	%٩,١٠

أدوات الدراســة :

لقد استخدم الباحثان الأدوات التالية:

أولاً: استبيان مشكلات طلبة الجامعة.

لقد اعد كل من محمد أبو عليا وسامح محافظة استبيان مشكلات طلبة الجامعة اعتماداً على مجموعة من الاستبيانات للبيئة الأردنية مثـــل اســتبيان صوانــه ١٩٨٣ والعيساوي ١٩٨٩ وقائمة بورو، وقد تكون الاستبيان من ٤١ عبارة تمثل مشـــكلات تكيفية وأكاديمية قد يواجهها الطالب في حياته الجامعية، وقــد انتظمــت في الأبعــاد التالية.

أ- **التكيف الجامعي:** ويمثل هذا البعد قدرة الطالب على الانخراط والتكيــف مــع الحياة الجامعية، ورضاه عن دراسته وقدرته على الاستمرار فيها.

ب- **الخدمات الجامعية**، ويمثل مدى رضا الطالب عن الخدمات الجامعية المتيســرة كالمواصلات وخدمات الكافيتيريا وتوفر المراجع والدوريات والأنشطة الجامعيــة وخدمات الإرشاد.

ج-**العلاقة مع أعضاء هيئة التدريس**، وتمثل قدرة الطالب على إنجاز الواجبات الــتي يكلف بها ومدى تجاوب المدرسين معه واهتمامهم بمشاعره ومشكلاته ورضــاه عــن طريقة التقييم والتعامل معهم.

د- **مهارات الدراسة**، ويمثل قدرة الطــالب علــى اســتخدام العــادات الدراســية المناسبة اللازمة للتفوق كالقدرة علــى تنظيــم البحــوث، وتدويــن الملاحظــات والقدرة على التركيز وإدارة الوقــت ...الخ.

وللتأكد من صدق الاداه فقد أعتمد الصدق المنطقي حيث عرضت العبــارات على ١١ محكماً من ذوي الخبرة العلمية والمنهجية في التربية وعلم النفس، وقد اجمعــوا على إنها مناسبة لقياس مشكلات الطلبة في الأبعاد الأربعة.

وقد تم التحقق من ثبات الاداه عن طريق استخدام أسلوب الاتساق الداخلي كرونباخ الفا (Cronbach Alpha) وتبين أن معامل الثبات الكلي للاستبيان بلغ ٠,٨٧ (٢٩).

أما عن طريقة تطبيق الاستبيان وتصميمه، فيوجد أمام كل عبارة ثلاث إجابات هي نعم، إلى حد ما، لا. ويطلب من الطالب أن يقرأ كل عبارة والتي تمثل مشكلة، ويضع إشارة (?) تحت أحد الإجابات الثلاثة أمام العبارة، حيث تشير (نعم) إلى وجود مشكلة، والى حد ما تشير إلى وجود مشكلة بدرجة بسيطة، (ولا) تعبر عن عدم وجود مشكلة.

وعند تصحيح الاستبيان تعطى الإجابة على نعم ثلاث درجات والإجابة إلى حد ما تعطى درجتين والإجابة بلا تعطى درجة واحدة. وعليه فإن أعلى درجة يحصل عليها الطالب في الاستبيان هي ١٢٣ درجة وأقلها ٤١ وتدل الدرجات المرتفعة على الاستبيان على شدة المشكلات في حين تدل الدرجات المنخفضة على شعور ضعيف بوجود المشكلات.

ثانياً: قائمة بيك للاكتئاب (BDI).

اعد هذه القائمة أستاذ الطب النفسي بيك تحت مسمى Beck Depression Inventory. وقد قام بتعريبها غريب عبد الفتاح حيث راعى المعرب أحدث الدراسات التي أجريت على القائمة. وتزود هذه القائمة الباحث بتقرير صادق لمستوى وعمق الاكتئاب. وقد اختيرت عباراته بطريقة إكلينيكية عن طريق الملاحظات المنظمة والتسجيلات التي تناولت اتجاهات وأعراض المصابين بالاكتئاب.

وتتكون القائمة في صورتها الحالية من ١٣ مجموعة من العبارات تشكل الصورة المختصرة للقائمة الأصلية والتي تم التوصل إليها خلال

دراسات أشرف عليها "بيك" نفسه. وقد ارتبطت هذه الصورة بالمقياس الأصلي بمعامل ارتباط قدرة ٠,٩٦ وتشمل القائمة على الأعراض الاكتئابية التالية: الحزن، الشعور بالفشل، إيذاء الذات، التردد، صعوبة العمل، فقدان الشهية، التشاؤم، عدم الرضا، عدم حب الذات، الانسحاب الاجتماعي، تغيير صورة الذات والتعب.

وتتكون كل مجموعة من سلسلة متدرجة من أربع عبارات لتعكس مدى شدة أعراض الاكتئاب من ٠-٣، وعلى المفحوص أن يقرأ كل مجموعة ثم يضع دائرة على رقم العبارة التي تمثل واقعة الحالي.

ولتصحيح القائمة تم جمع الدرجات التي حصل عليها المفحوص في المجموعات الثلاث عشرة لتكوّن درجة المفحوص في الاكتئاب. وعليه تتراوح درجات القائمة من صفر حيث تدل على عدم وجود اكتئاب إلى ٣٩ درجة وهو الحد الأقصى حيث تشير إلى شدة الاكتئاب.

وللتأكد من ثبات قائمة الاكتئاب فقد توافرت عدة مئات من الدراسات الأجنبية والعربية تناولت ثباته، وذلك باستخدام كل طرق الثبات والاتساق الداخلي والقسمة النصفية (٣٠) أما في البيئة الأردنية فقد قام الباحثان بحساب معامل الثبات بطريقة إعادة القياس على عينة من طلبة الجامعة بلغت ٣٨ طالباً بعد فاصل زمني مقداره ٢٣يوماً بين التطبيق الأول والثاني، وقد بلغ معامل الثبات في هذه الدراسة ٠,٨٢ وكذلك تم استخدام طريقة التجزئة النصفية على عينة بلغت ٤٢ طالباً وبلغ معامل الارتباط بين الفقرات الفردية والزوجية بعد استخدام معادلة سبير مان براون ٠,٨٥.

أما عن صدق القائمة فقد استخدمت عالمياً جميع الطرق المألوفة مثل صدق المحتوى والصدق التلازمي والصدق التميزي ، اما في البيئة المحلية فقد تم حساب معامل

الارتباط بين الدرجات على مقياس بيك للاكتئاب وبين مقياس الاكتئاب في مقياس الشخصية المتعدد الأوجه MMPI وقد بلغ معامل الارتباط ٠,٦٧ وهو معامل دال إحصائيا على مستوى ٠,٠١ وذلك على عينة بلغت ٣٨ طالباً وطالبة.

إجراءات البحث:

بعد اختبار أفراد العينة، وتحديد أدوات الدراسة قام الباحثان بتطبيق الاختبارات على العينة المحددة بعد أن تم شرح أهداف الدراسة، وأهمية الإجابة على الأستبانة بموضوعية ودقة. وبعدها تم فحص الاستبيانات، واستبعاد ثمان منها لعدم اكتمال الإجابة عليها. ثم أدخلت البيانات إلى الحاسوب وأجريت عليها عمليات التحليل الإحصائي المناسب وفق أهداف البحث وأسئلته.

المعالجة الإحصائية:

للإجابة عن أسئلة البحث والتحقق من صحة الفروض فقد استخدمت الأساليب الإحصائية التالية:

١- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية وذلك لتحديد أهم المشكلات التي يعاني منها الطلاب، واكثر الأعراض الاكتئابية شيوعاً لديهم.

٢- معامل ارتباط بيرسون للتعرف على العلاقة الارتباطية بين المشكلات التي يعاني منها الطلاب ودرجة الاكتئاب لديهم.

٣- استخدم اختبارات T.Test وذلك لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات درجات الذكور والإناث ودرجات طلاب المستوى الدراسي الأول والرابع على استبيان المشكلات وقائمة الاكتئاب.

٤-أختبار تحليل التبباين وذلك لمعرفة أثر متغيرات التخصص والمعدل التراكمي على درجات الاكتئاب ومشكلات التكيف.

نتائج الدراسة:

نتائج السؤال الأول: ما هي المشكلات الأكثر انتشاراً لدى طلبة الجامعة، وما مستوى حدتها.

لتقدير مستويات المشكلات بين طلبة الجامعة تم حساب المتوسط الحسابي لدرجات أفراد العينة على استبيان المشكلات، حيث بلغ المتوسط ٨٧,١٢ وانحراف معياري قدره ١٢,٢٥. واعتبر الباحثان أن الأفراد الذين تزيد درجاتهم عن المتوسط مضافاً إليه انحراف معياري واحد (م+ع١) يعانون من مشكلات تكيف حادة. والذين تقل درجاتهم عن المتوسط ناقصاً انحراف معياري واحد (م-ع١) يعانون من مشكلات بسيطة، وما بين الدرجتين يعانون من مشكلات متوسطة.

وبما أن المتوسط الحسابي لدرجات أفراد العينة ٨٧,١٢ وانحراف معياري ١٢.٢٥ فإنه يمكن اعتبار الدرجة ١٠٠ وما فوق مؤشر على وجود المشكلات الحادة. واعتبار الدرجة ٧٥ وما دون مؤشراً على عدم وجود مشكلات أو مشكلات بسيطة، واعتبار الدرجات ما بين ٧٥-١٠٠ مؤشراً على وجود مشكلات متوسطة.

وبعد حساب التكرارات اتضح أن نسبة الأفراد الذين يواجهون مشكلات حادة بلغت ١٣,٤٧ % من أفراد العينة(مستوى المشكلات الحادة)، وأن نسبة الذين لا يواجهون مشكلات ١١,٧٨% (مستوى عدم وجود مشكلات) وأن نسبة الذين يواجهون مشكلات بدرجة متوسطة ٧٤,٧٥ (مستوى متوسط).

ولتحديد اكثر مشكلات التكيف انتشاراً فقد تم حساب المتوسط الحسابي والوزن النسبي لدرجات الطلبة على كل مشكلة فرعية تضمنتها الاستبانه، وبعد ذلك تم ترتيب هذه المشكلات ترتيباً تنازلياً حسب الوزن النسبي لها ثم اختيار المشكلات العشرة الأولى التي نالت أعلى المتوسطات والأوزان النسبية معياراً لاعتبار المشكلة شائعة أو منتشرة. وقد اتضحت النتائج في الجدول رقم (٢).

جدول رقم (٢)

المتوسط الحسابي والوزن النسبي للمشكلات لدى طلبة الجامعة

ترتيب المشكلة	المشكلة	المتوسط الحسابي	الوزن النسبي
١-	إجراء أكثر من امتحان واحد في اليوم الواحد	٢,٦٥	٨٨,٣٣
٢-	لا تهتم الجامعة باقتراحات الطلبة المتعلقة بتحسين الحياة الجامعية	٢,٥٨	٨٦
٣-	عدم العدل في تقييم بعض المدرسين للطلبة	٢,٥٧	٨٥,٦٦
٤-	أجد صعوبة في استخراج المعلومات المطلوبة مني من المراجع المناسبة	٢,٥٤	٨٤,٦٦
٥-	تدني مستوى خدمات الكافتيريا	٢,٤٧	٨٢,٣٣
٦-	عدم توافر أماكن استراحة في مبنى قاعات التدريس	٢,٤٤	٨١,٣٣
٧-	أرى عدم وجود علاقة بين الدراسة في الجامعة وسوق العمل	٢,٤٣	٨١
٨-	يصعب علي تنظيم بحوثي وتقاريري	٢,٤٢	٨٠,٦٦
٩-	قلة مراعاة بعض المدرسين لمشاعر الطلبة	٢,٤٠	٨٠
١٠-	أشعر بالملل والضجر عندما أبدأ الدراسة	٢,٣٨	٧٩,٣٣
١١-	تركيز المحاضرات على الجانب النظري	٢,٣٤	٧٨
١١-	تحيز بعض المدرسين لبعض الطلبة	٢,٣٤	٧٨
١٣-	أنسى المعلومات التي أدرسها بسرعة	٢,٢٩	٧٦,٣٣
١٤-	عدم توافر خدمات الإرشاد غير الأكاديمية	٢,٢٨	٧٦
١٥-	ضعف التنظيم في بعض المساقات	٢,٢٦	٧٥,٣٣
١٦-	كبر حجم المادة الدراسية التي يقررها بعض المدرسين	٢,٢٥	٧٥
١٧-	قلة اهتمام بعض المدرسين بالقضايا الطلابية	٢,١٩	٧٣

١٨-	لدي قلق من الامتحانات	٢,١٩	٧٣
١٩-	لا أستغل الوقت المخصص للدراسة	٢,١٦	٧٢
٢٠-	ضعف كفاءة بعض المدرسين	٢,١٥	٧١,٦٦
٢١-	كثرة الواجبات التي يكلفنا بها بعض المدرسين	٢,١٣	٧١
٢٢-	عدم توافر الأنشطة الجامعية المختلفة	٢,٠٩	٦٩,٦٦
٢٣-	عدم كفاية الوقت المخصص للمناقشة في المحاضرات	٢,٠٨	٦٩,٣٣
٢٤-	عدم تخصيص ساعة استراحة موحدة لجميع الطلبة	٢,٠٦	٦٨,٦٦
٢٥-	لا أشعر بالفرق بين المدرسة الثانوية والجامعة	٢,٠٥	٦٨,٣٣
٢٦-	أشعر بضعف القدرة على التركيز أثناء الدراسة	١,٩٩	٦٦,٣٣
٢٧-	إجراء امتحانات موحدة للمادة ذات الشعب المتعددة	١,٩٧	٦٥,٦٦
٢٨-	ضعف خدمات الإرشاد أثناء عملية التسجيل	١,٩٦	٦٥,٦٦
٢٩-	أجد صعوبة في استخلاص النقاط الهامة في المادة المقروءة	١,٩٤	٦٤,٦٦
٣٠-	لا أنجز واجباتي الدراسية في مواعيدها	١,٩٣	٦٤,٣٣
٣١-	عدم توافر هاتف عام داخل الجامعة لخدمة الطلبة	١,٩٠	٦٣,٣٣
٣٢-	تدني مستوى نظافة دورات المياه	١,٨٦	٦٢
٣٣-	عدم تجاوب بعض المدرسين للمراجعات لهم خارج أوقات المحاضرات	١,٨٥	٦١,٦٦
٣٤-	أجد صعوبة في تدوين الملاحظات أثناء المحاضرات	١,٨١	٦٠,٣٣
٣٥-	أشعر بالحيرة فيما إذا كنت سأستمر في الدراسة الجامعية وذلك من أجل العمل	١,٧٩	٥٩,٦٦
٣٦-	ضعف خدمات التصوير	١,٧٨	٥٩,٣٣
٣٧-	صعوبة المواصلات من الجامعة وإليها	١,٧٢	٥٧,٣٣
٣٨-	أتمنى الالتحاق بجامعة أخرى	١,٦٥	٥٥
٣٩-	عدم توافر بعض الكتب والمراجع والدوريات في مكتبة الجامعة	١,٦٢	٥٤
٤٠-	ليس لدي الرغبة في التخصص الذي أدرسه حالياً	١,٥٦	٥٢
٤١-	أجد صعوبة في المشاركة في الحياة الجامعية	١,٣٨	٤٦

يتضح من الجدول السابق أن أهم المشكلات التي تؤرق الطالب هي: إجراء أكثر من امتحان في اليوم الواحد، وضعف الاهتمام باقتراحات الطلبة. وتدني مستوى خدمات الكافتيريا، وعدم توفر أماكن للاستراحة في مباني قاعات التدريس وهذه مشكلات تنظيمية تتعلق بالجانب الأكاديمي والخدمي. كما أن هناك مشكلات العلاقة مع المدرسين حيث برزت مشكلة: عدم مراعاة بعض المدرسين لمشاعر الطلبة، عدم العدل في تقييم بعض المدرسين لأداء الطلبة. وهناك مشكلات المقررات الدراسية والامتحانات وتدور حول صعوبة استخراج المعلومات من المراجع، وصعوبة كتابة وتنظيم البحوث المطلوبة وكثرة الملل والضجر من الدراسة.

نتائج السؤال الثاني:

هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في حدة مشكلات طلبة الجامعة يمكن أن تعزى إلى: الجنس والمستوى الدراسي والمعدل التراكمي والتخصص.

لمعرفة أثر كل من الجنس والمستوى الدراسي على مشكلات التكيف استخرج الباحثان المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات مجموعات البحث عن مشكلات التكيف، وكذلك قيمة (ت) لمعرفة دلالة الفروق بين المتوسطات، وقد اتضحت النتائج في الجدول رقم (٣).

جدول رقم (٣)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة (ت) لمعرفة

دلالة الفروق بين متوسطات درجات عينة البحث في مشكلات الطلبة

متغيرات الدراسة		العدد	المتوسط	الانحراف	قيمة ت	الدلالة
الجنس	ذكور	١٧٠	٨٨,٥	١٣,١٦	٢,٤٢	٠,٠٥
	إناث	١٢٧	٨٥,٢٠	١٠,٦٨		
المستوى الدراسي	الأول	٥٩	٨٤	١١,٣٥	١,١٤	غير دالة
	الرابع	٨٤	٨٦,٣٢	١٢,٣٤		.

يتضح من الجدول السابق أن هناك فرقاً له دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في مشكلات التكيف، وبحساب قيمة ت اتضح إنها ٢,٤٢ وهي دالة عند مستوى ٠,٥ ولمعرفة اتجاه الفروق فإن المتوسط الحسابي يشير إلى أن الذكور اكثر إحساسا بهذه المشكلات حيث بلغ المتوسط ٨٨,٥٥ في حين بلغ متوسط المشكلات عند الإناث ٨٥,٢٠.

ويتضح من الجدول أيضاً عدم وجود فرق دال إحصائيا بين طلبة المستوى الأول والمستوى الرابع، حيث بلغت قيمة ت ١,١٤ وهي غير دالة مما قد يشير إلى أنه لا أثر للمستوى الدراسي على مشكلات التكيف.

ولمعرفة أثر المعدل التراكمي، والتخصص على مشكلات التكيف فقد استخدم الباحثان تحليل التباين وقد اتضحت النتائج في الجدول رقم (٤).

جدول رقم (٤)

نتائج تحليل التباين للفروق في درجات مشكلات الطلبة تبعاً للتخصص والمعدل التراكمي

التغيرات	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرير	متوسط المربعات	قيمة ت	مستوى الدالة
متغير التخصص	بين المجموعات	٣٧٤,٨٣	٣	١٢٤,٩٤	٠,٨٣	غير دال
	داخل المجموعات	٤٤٠٦٠,٨٠	٢٩٣	١٥٠,٣٨		
	المجموع	٤٤٤٣٥,٦٣	٢٩٦			
متغير المعدل التراكمي	بين المجموعات	٤٣٢,٥٦	٤	١٠٨,١٤	٠٧٢	غير دال
	داخل المجموعات	٤٤٠٠٣,٠٧	٢٩٢	١٥٠,٧٠		
	المجموع	٤٤٤٣٥,٦٣	٢٩٦			

يتضح من الجدول السابق أنه لا أثر يمكن أن يعزى للتخصص على مشكلات الطلبة، فقد بلغت قيمة "ف" ٠,٨٣ وهي غير دالة إحصائيا، كما يتضح أنه لا أثر يمكن أن يعزى للمعدل التراكمي على مشكلات الطلبة، فقد بلغت قيمة "ف" ٠,٧٢ وهي غير دالة إحصائيا.

وتوحي هذه النتيجة أن مشكلات الطلبة لا تتأثر بتخصص الطالب أو معدله التراكمي وأن العوامل المؤثرة فيها خارجة عن هذا الإطار، قد تسببها ظروف حداثة الجامعة وعدم اكتمال أنشطتها وتجهيزاتها.

نتائج السؤال الثالث:

ما نسبة الاكتئاب، وما هي الأعراض الاكتئابية الأكثر انتشاراً لدى طلبة الجامعة.

لقد تراوحت درجات أفراد عينة البحث على قائمة بيك للاكتئاب ما بين صفر-٣٨ درجة بمتوسط حسابي قدره ٩,١٥ وانحراف معياري قدره ٦,٧٧.

ولتحديد نسبة شيوع الاكتئاب لدى أفراد العينة الكلية فقد اعتمد ورهيت وزملاءه وجيرجس وزملاءه (Warheit et al 1973: 495 & Girgus et al, 1989:9) أن الدرجة الفاصلة (Cut-Off Score)، التي تحدد وجود الاكتئاب بأنها متوسط الدرجة على المقياس للعينة الكلية مضافاً إليه انحراف معياري واحد (م+ ع١) (٣١).

وبما أن متوسط درجة الاكتئاب للعينة هو ٩,١٥ والانحراف المعياري هو ٦,٧٧ فإنه يمكن اعتبار الدرجة ١٦ الدرجة الفاصلة للاكتئاب. وبعد تحليل النتائج اتضح أن ٤٧ فرداً قد حصلوا على هذه الدرجة أو أعلى منها، وهذا يشكل ما نسبته ١٥,٨٢% من أفراد عينة البحث.

وفي ضوء المعيار الإكلينيكي المبني على اعتبارات تشخيصية إكلينيكية فقد اعتبر Beck من يحصل على درجات تتراوح ما بين ١٦-٣٩ على مقياس الاكتئاب يعاني درجة عالية من الاكتئاب، وفي ضوء هذا المعيار فإن عدد الذين يعانون من كآبة شديدة ٤٨ فرداً بنسبة ١٦.١٦%.

وفي ضوء المعيارين السابقين فإن نسبة من يعانون من الاكتئاب بلغت حوالي ١٦%. أما عن الأعراض الإكتئابية الأكثر انتشاراً فقد تم حساب المتوسط الحسابي والوزن النسبي لكل عرض من الأعراض الثلاثة عشر المكونة للاكتئاب، وقد اتضحت النتائج في جدول رقم (٥).

جدول رقم (٥)

الأعراض الاكتئابية الخمس الأولى الأكثر انتشاراً لدى طلاب الجامعة

الرقم	الأعراض	المتوسط	الوزن النسبي
١-	عدم الرضا	١,١٠	٣٦,٦٧
٢-	التردد في اتخاذ القرار	١,٠٢	٣٤
٣-	فقدان الدافعية للعمل	٠,٩٩	٣٣
٤-	فقدان الاهتمام بالناس (الانسحاب الاجتماعي)	٠,٧٨	٦٦
٥-	الحزن	٠,٧٤	٢٤,٦٧
٦-	الشعور بالتعب والانهاك	٠,٧١	٢٣,٦٧
٧-	فقدان الشهية	٠,٦٧	٢٢,٣٣
٨-	النظرة المتشائمة	٠,٦٦	٢٢,٠
٩-	فقدان الأمل واليأس	٠,٦٣	٢١,٠
١٠-	الشعور بالذنب والتفاهة	٠,٦٠	٢٠
١١-	التفكير بالانتحار	٠,٥٢	١٧,٣٣
١٢-	الإحساس بالعجز والفشل	٠,٠٤٦	١٥,٣٣
١٢-	عدم الاهتمام بالذات والاحساس بالقبح	٠,٤٦	١٥,٣٣

يتضح من الجدول السابق أن فقدان الدافعية للعمل، والانسحاب الاجتماعي ومشاعر الحزن والتردد في اتخاذ القرارات وعدم الرضا عن أي شيء أهم الأعراض الاكتئابية الأكثر انتشاراً لدى طلاب الجامعة. أما أعراض الاكتئاب الأقل شيوعاً هي: عدم الاهتمام بالذات والإحساس بالفشل والشعور بالتفاهة وفقدان الأمل.

نتائج السؤال الرابع:

هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الاكتئاب يمكن أن تعزى إلى : الجنس والمستوى الدراسي والمعدل التراكمي والتخصص الدراسي.

لمعرفة أثر كل من الجنس والمستوى الدراسي على درجة الاكتئاب استخرج الباحثان المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات مجموعات البحث على الاكتئاب، ثم حساب قيمة ت T. Test لمعرفة دلالة الفروق بين المتوسطات وقد اتضحت النتائج في الجدول رقم (٦).

جدول رقم (٦)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة ت لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات درجات عينة البحث في الاكتئاب

متغيرات الدراسة		العدد	المتوسط	الانحراف	قيمة ت	الدلالة
الجنس	ذكور	١٧٠	٩,٢٤	٦,٥٣	٠,٢٦	غير دالة
	إناث	١٢٧	٩,٠٣	٧,١٠		
المستوى الدراسي	الأول	٥٩	٨,٧٥	٦,٤٧	٠,٦٩	غير دالة
	الرابع	٨٤	٨,٠٢	٥,٨٨		

يتضح من الجدول السابق أن الفرق بين متوسط درجة الذكور والإناث على اختبار الاكتئاب ضئيل جداً، وبحساب قيمة ت اتضح أنها ٠,٢٦ وهي قيمة غير دالة إحصائيا.

ويتضح أيضاً أن الفرق بين طلاب وطالبات المستوى الأول والمستوى الرابع فرق ضئيل جداً وبحساب قيمة ت لمعرفة دلالة الفرق اتضح أن قيمة ت ٠,٦٩ وهي

غير دالة إحصائيا، وهذا يشير إلى عدم تأثر درجة الاكتئاب باختلاف الجنس والمستوى الدراسي.

ولمعرفة أثر المعدل التراكمي والتخصص على درجة الاكتئاب فقد استخدم الباحثان اختبار تحليل التباين، وقد اتضحت النتائج في الجدول رقم (٧).

جدول رقم (٧)

نتائج تحليل التباين للفروق في درجة الاكتئاب تبعا للمعدل التراكمي والتخصصي

التغيرات	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرير	متوسط المربعات	قيمةت	مستوى الدالة
متغير التخصص	بين المجموعات	١٥٥,٤٦	٣	٥١,٨٢	١,١٣	غير دالة
	داخل المجموعات	١٣٤٠٤,٠٢	٢٩٣	٤٥,٧٥		
	المجموع	١٣٥٥٩,٤٨	٢٩٦			
متغير المعدل التراكمي	بين المجموعات	٢٧١,٠٥	٤	٥٤,٢٦	١,١٩	غير دالة
	داخل المجموعات	١٣٣٤٢,٤٣	٢٩٢	٤٥,٦٩		
	المجموع	١٣٥٥٩,٤٨	٢٩٦			

يتضح من الجدول السابق أنه لا اثر دال إحصائيا يمكن أن يعزى للتخصص أو المعدل التراكمي على درجة الاكتئاب. فقد بلغت قيمة " ف" بالنسبة للتخصص ١,١٣. وبلغت قيمة"ف" بالنسبة للمعدل التراكمي ١,١٩ ، وكلاهما أدنى من القيمة اللازمة للدلالة الإحصائية المقبولة عند مستوى ٠,٠٥ وتوحي هذه النتيجة بأن درجات الاكتئاب لطلبة الجامعة لا تتأثر بتخصص الطالب أو معدله التراكمي.

نتائج السؤال الخامس:

هل هناك ارتباط بين درجات أفراد البحث على مشكلات التكيف وبين درجاهم على الاكتئاب؟

لقد قام الباحثان بحساب معامل الارتباط بين درجات أفراد العينة على مشكلات التكيف ودرجاهم على اختبار الاكتئاب، وقد اتضحت النتائج في الجدول رقم (٨).

جدول رقم (٨)

معامل الارتباط بين درجات أفراد العينة على الاكتئاب ومشكلات الطلبة

الارتباط	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
مشكلات الطلبة مع الاكتئاب	٠,٣٥	٠٠,٠١

يتضح من الجدول السابق أن قيمة معامل الارتباط بين درجات المتغيرين بلغت ٠,٣٥ وهي قيمة موجبة وذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ وهذا يوحي بأنه كلما ازدادت مشكلات التكيف التي تواجه الطلاب كلما ازدادت الأعراض الاكتئابية لديهم.

مناقشة النتائج

يتضح من الإجابة عن السؤال الأول أن الطالب الجامعي يعاني من مشكلات تكيف متوسطة، إذ بلغت نسبة من يعانون من مشكلات متوسطة ٧٤,٧٥% وأن نسبة من يعانون من مشكلات حادة ١٣,٤٧% ونسبة من لا يعانون ١١,٧٨% مما يشير إلى مستوى متوسط من المعاناة.

أما أكثر المشكلات انتشاراً وتكراراً فهي مشكلات تنظيمية في جانب منها مثل: إجراء أكثر من امتحان واحد في اليوم الواحد، وضعف قنوات الاتصال مع الطلبة والاهتمام بمقترحاتهم وتدني مستوى خدمات الكفتيريا، وعدم توفر أماكن لاستراحة الطلاب.

إن هذه المشكلات قد تعود إلى حداثة الجامعة وعدم إكتمال التجهيزات المختلفة التي تمكنها من تقديم الخدمات الجامعية المختلفة سواء كانت أكاديمية أو خدمية.

وقد أتضح أن الطلاب يعانون بشكل واضح من مشكلات العلاقة مع بعض المدرسين مثل عدم الاهتمام بمشاعر الطلبة وعدم توفر العدل في تقييم أداء الطلاب. وهذه المشكلات تعكس ضعف العلاقة مع المدرسين والتواصل معهم، أو تنم عن حيل دفاعية يبرر بها بعض الطلبة رسوبهم بإلقاء اللوم على المدرسين، باعتبارهم غير عادلين في تقييم الطلاب.

أما مشكلات التكيف مع المقررات الدراسية فهناك مشكلات صعوبة استخراج المعلومات من مصادرها، وصعوبة كتابة البحوث وتنظيمها. ولا شك أنها مشكلات مهمة تتعلق بضعف مهارات البحث العلمي المتعلقة بالبحث عن مصادر المعرفة، وكتابة التقارير والبحوث العلمية، وهي مهارات أساسية للتعلم الذاتي. أما مشكلة الملل والضجر عند بدء الدراسة فقد تكون مؤشراً على ضعف الدافعية الدراسية

فهذه أكدتها دراسات متعددة في العالم العربي فقد أوضح " بدر العمر" في دراسته على طلبة جامعة الكويت أن الملل والضجر، وضعف الحماس والإيجابية اللازمة للعمل الجامعي مؤشرات على ضعف الدافعية لدى الطلاب (٣٢).

ومن جهة أخرى فإن ضعف الخدمات النفسية والتربوية للطلبة وضعف برامج التهيئة Orientation وبرامج الإرشاد المنظمة تعتبر عاملاً رئيسياً في ظهور مشكلات الطلبة، وإن وجود خدمات إرشادية منظمة ذات أهداف محددة كفيل بالحد من هذه المشكلات.

أما فيما يتعلق بنتائج السؤال الثاني، فقد أوضحت الدراسة أن هناك فرقاً دالاً إحصائيا بين مشكلات الطلاب والطالبات، وأن الطلاب أكثر إحساسا بمشكلات التكيف من الطالبات. ويرى الباحثان أن إحساس الذكور بالمشكلات بصورة اكبر قد تفسره عوامل نفسية وثقافية، فالذكور أميل إلى النقد والتمرد والمغايرة واكثر نشاطاً وانطلاقاً في فترة المراهقة جعلتهم اكثر إحساسا بوطأة الاحباطات والقيود التي تعيق حركتهم ونشاطهم واثبات وجودهم. وقد عزز هذا الاتجاه عوامل ثقافية: فالثقافة تغذي في الرجل روح التصدي والمواجهة وتحمل المسؤولية وتغذي طموحات الذكور وآمالهم مما يجعلهم اكثر إحساسا بكل المعوقات التي تحول دون تحقيق ذلك، في حين أن الإناث اكثر ميلاً إلى المسايرة وأقل انطلاقاً وأكثر دافعية للدراسة.

وتتفق هذه النتيجة مع دراسة أبو عليا ومحافظة ١٩٩٦ التي أجريت في بيئة أردنية حيث أوضحت أن الطلاب يواجهون مشكلات أشد من الطالبات (٣٣).

وقد أتضح من البحث أن لا اثر يمكن أن يعزى إلى المستوى الدراسي، فالفرق بين طلبة المستوى الأول والرابع فرق بسيط غير دال إحصائيا وتختلف هذه النتيجة مع معظم التوقعات وأدبيات الموضوع. فقد أوضحت دراسة شو (Cho, 1988) (٣٤) أن مشكلات سوء التكيف تظهر عادة عند طلاب السنة الأولى الجامعية، وأن

هذه المشكلات تقل تدريجياً كلما ارتقى الطالب في المستوى التعليمي. ولكنها تتفق مع دراسة حسين ١٩٨٥ التي أوضحت أن لا فرق بين طلبة المستوى الأول والمستويات الأخرى في التكيف للعمل الدراسي الذي يشمل "طرق الدراسة واستحسان المدرسين، والتقبل التربوي، وتجنب التأجيل" (٣٥) .

ويرى الباحثان أن مشكلات الطلبة تستمر معهم و لم تضعف تدريجياً، وأن ذلك راجع إلى ضعف برامج الإرشاد التي تسعى إلى تشخيص المشكلات وعلاجها. وإن كانت هناك محاولات إرشادية فردية غير منظمة يقوم بها أعضاء هيئة التدريس فإنها لن تكون بديلاً عن برامج إرشادية منظمة.

أما عن أثر المعدل التراكمي والتخصص، فلا أثر دالاً إحصائيا لهما على المشكلات، مما يوضح أن مشكلات التكيف لا تتأثر كثيراً بتخصص الطالب أو معدله فالطلبة على اختلاف تخصصاتهم ومعدلاتهم التراكمية يعانون من مشكلات متماثلة تقريباً، مما يوحي بأن العوامل المؤدية إليها تقع خارج هذا الإطار.

أما نتائج السؤال الثالث المتعلقة بنسبة شيوع الاكتئاب لدى طلبة الجامعة، فقد تبين أن نسبة شيوع الاكتئاب بلغت ١٦% في ضوء المعايير الإكلينيكية العالمية أو المعايير الإحصائية وتقترب هذه النتيجة من دراسة غريب ١٩٩٣ على عينة مصرية مستخدمة الاداة نفسها اتضح فيها أن ١٦% من أفراد العينة الكلية يعانون من الاكتئاب الشديد (٣٦)، كما أنها قريبة إلى حد ما من دراسة أجراها حسين ١٩٩٣ على عينة من طلاب الجامعة في الرياض تبين منها أن نسبة من يعانون من اكتئاب شديد ١١.٥% باستخدام الاداة نفسها. وهذا يوحي بارتفاع درجة الكآبة عند الطالب الجامعي الأردني مقارنة بزميله في الجامعات السعودية. وتتفق أيضاً مع دراسة ستولز وجلاسي (Stoleze & Galassi ; 1989) التي أوضحت أن نسبة انتشار

الاكتئاب لدى طلبة الجامعة من الجنسين ١٧% وإن ٤٥% من الذين يبحثون عن الإرشاد يعانون من الاكتئاب (٣٨).

أما عن أهم الأعراض الاكتئابية فتتمثل في فقدان الدافعية للعمل ومشاعر الحزن، وعدم الرضا، والانسحاب الاجتماعي، والتردد في اتخاذ القرارات. ووفقاً للثالوث المعرفي الذي وصفه بيك في الاكتئاب (الذات والآخرون والمستقبل) فإن المشاعر السالبة أصابت الذات حيث يشعر أفراد العينة بالحزن، وضعف الدافعية للعمل، والعجز عن اتخاذ القرارات وعدم الرضا. وإن المشاعر السالبة أصابت الآخرين حيث يشكل الانسحاب الاجتماعي أحد أهم الأعراض الاكتئابية. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة كريستوفر وزملائه (Christopher, et al; 1994) التي أوضحت أن أهم أعراض الاكتئاب في مرحلة المراهقة هي انخفاض الدافعية للعمل، ومشاعر سالبة عن الذات تتمثل من عدم الرضا عنها، وفقدان الاهتمام بالعالم الخارجي (٣٩).

ويرى الباحثان ضرورة وضع برامج إرشادية للتعامل مع حالات الاكتئاب وذلك لأن المشاعر السالبة عن الذات والآخرين قد تدفع الفرد إلى اليأس ثم الانتحار كما يرى بيتري وآخرون (Petrie, 1988) (٤٠) أو إلى تعاطي المخدرات والانتحار كما يرى عكاشة ١٩٩٢ (٤١).

أما نتائج السؤال الرابع الذي يدور حول علاقة بعض المتغيرات بالاكتئاب، فقد أوضحت النتائج فيما يتعلق بأثر الجنس في درجة الاكتئاب، أنه لا يوجد فرق دال إحصائيا بين الطلاب والطالبات في درجة الاكتئاب.

وتتفق هذه الدراسة مع نتائج دراسة فايد ١٩٩٨ (٤٢) ودراسة(Daughtry & Kunkel 1993;) (٤٣). حيث أوضحت عدم وجود فرق جوهري بين الذكور والإناث في درجة الاكتئاب، وإن الفرق بينهما يكمن في نوعية الأعراض الاكتئابية. وتتعارض مع دراسات عديدة أكدت أن الإناث اكثر عرضة

للاكتئاب من الذكور منها دراسة (Ilfeld, 1977) (٤٥). ويعود ذلك في نظر هؤلاء إلى التغيرات الهرمونية التي تحدث للمرأة قبل مجيء الطمث وأثناء الحمل وما بعد الولادة وبعد انقطاع الطمث مما يجعلها اكثر استهدافاً للاكتئاب. كما أن المرأة في الحياة الاجتماعية تواجه ضغوطاً متعددة لاثبات وجودها، واحباطات شديدة تولد لديها مشاعر اليأس والقنوط والاختلاف عن الرجل.

ويرى الباحثان أن عدم وجود فرق في حدة الاكتئاب بين الذكور والإناث قد يكون مرده أن أفراد الجنسين يمرون بمرحلة تغيرات فسيولوجية واجتماعية وإنفعالية، وإن لديهم طموحات وتطلعات قد يصطدم تحقيقها بواقع مليء بالاحباطات يدركه أفراد الجنسين ويستجيبون له بمشاعر الحزن واليأس.

أما فيما يتعلق بأثر المستوى الدراسي، والمعدل التراكمي والتخصص على درجة الاكتئاب، فلم يظهر أي أثر يمكن أن يعزى لهذه المتغيرات على الاكتئاب. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة "حسين،١٩٩٤" التي أوضحت أن لا أثر لمتغير التخصص أو المعدل التراكمي للطالب الجامعي على درجته في الاكتئاب والأفكار اللاعقلانية (٤٦). أما عن علاقة الاكتئاب بالمستوى الدراسي، فقد تعارضت نتائج الدراسة مع الافتراض الذي يشير إلى ازدياد درجة الاكتئاب مع انخفاض مستوى التعليم، وإن عدد سنوات الدراسة يرتبط ارتباطاً سالباً مع أعراض الاكتئاب (٤٧).

ويفسر الباحثان عدم تأثر درجة الاكتئاب بالمتغيرات السابقة بأن الواقع المعاش داخل الجامعة وخارجها ملئ بالاحباطات والضغوطات التي تؤثر على الحالة المزاجية للأفراد، وتزداد قسوة هذه الضغوطات على طلاب المرحلة الجامعية لأنهم في مرحلة يسعون فيها إلى تأكيد ذواتهم وبناء هويتهم الذاتية، وأن إسهام المتغيرات السابقة في درجة الاكتئاب ضعيف.

أما بالنسبة للعلاقة بين مشكلات التكيف والاكتئاب، فقد أوضحت الدراسة أن هناك علاقة موجبة دالة بين المتغيرين. وتتفق هذه النتيجة مع ما وجده البرت وبيك (Albert & Beck 1975) (٤٨) من أن هناك ارتباطاً موجباً بين مشكلات التكيف والاكتئاب. ويفسر الباحثان هذه العلاقة بأن المشكلات التكيفية والأكاديمية والضغوط التي يتعرض لها الطلبة إذا ما تفاقمت تشعرهم بالعجز وانعدام الأمن النفسي، مما قد يدفعهم إلى الاستجابة لهذه المشكلات بردود فعل مختلفة اذعاناً أو انسحاباً أو تمرداً وكلها استجابات غير تكيفية ترتبط بالقلق والاكتئاب.

توصيات الدراسة:

في ضوء نتائج الدراسة يوصي الباحثان بما يلي:

١-ضرورة إنشاء مركز للإرشاد في الجامعة وتفعيل نشاطاته لتقديم خدمات إرشادية وقائية وإنمائية وعلاجية، وتعريف الطلاب بأهداف المركز ونشاطاته.

٢- ضرورة إعداد برامج إرشادية جمعية محددة بأهداف معينة، لمواجهة مشكلات الطلبة الأكثر انتشاراً، وأعراض الاكتئاب التي أظهرها الدراسة، وبيان كيفية التعامل معها.

٣- تفعيل دور عملية التقويم لكل البرامج أو الأقسام أو المراكز في الجامعة لمعرفة مدى قدرها على تحقيق أهدافها، ومن ذلك تقويم الخدمات الجامعية والمدرسين ونظام الامتحانات.

٤- إقامة المحاضرات والندوات واللقاءات التي تتناول موضوعات تتعلق بمشكلات الطلاب وأساليب التكيف معها، وإتاحة الفرصة لمشاركة فاعلة من قبل الطلاب في هذه اللقاءات.

٥- إتاحة الفرصة للطلاب لإبداء آرائهم ومقترحاتهم في الأمور التي تتعلق بحياتهم الجامعية واحترام هذه الآراء وعدم تجاهلها والاصغاء إلى شكاواهم بتجرد وموضوعية.

٥-إجراء مزيد من الدراسات عن الطلبة في الجامعات الأهلية تتناول أبعاداً أو متغيرات أخرى، ومزيد من الدراسات المقارنة مع طلبة الجامعات الحكومية.

الحواشـــــي

١- محمود عطا حسين ، **النمو الإنساني "الطفولة والمراهقة "** ، ط ٤ ، (الريــاض : الخريجي للطباعة والنشر ، ١٩٩٦) .

٢- Al- Yahia, K. "Construction a comprehensive orientation program for s. Arabia Students in the U.S.A" Doctoral Dissertation, (University of Pitsburg, 1981)

٣- إبراهيم القعيد ، "مشكلات التكيف للطلبة الأجانب في المؤسســات التعليميــة الغربية" ، **مجلة جامعة الملك سعود ، العلوم التربويـــة** (م٢ ، ع١ ، ١٩٩٠)، ص ص ٢١٧ – ٢٤٠ .

٤- Al – Bert, N. & Beck, A. "Incidence of depression in early adolescence" . **Journal of Youth and Adolescence**, (vol. 4, No.4, 1975) P P : 301 – 307 .

٥- غريب عبد الفتاح ، "الاكتئاب في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية : الجنـــس والسن ومستوى التعليم والحالة الزواجية " **مجلة الصحة النفسية**، القـــاهرة (م ٣٤ ، ١٩٩٣) ص ٦ .

٦- Kupfer, D. Frank, E, **Depression, current concept** (Newyork : Upjohn company, 1981) P. 24 .

٧- Cho, s , "predictive factors of stress among international students" . Doctoral Dissertation. (University of Missouri, 1988.)

٨- محمود عطا حسين ، "العادات والاتجاهات الدراسية لدى مجموعة من الطــلاب" **مجلة رسالة الخليج العربي** ، الرياض (ع ١٤ ، السنة الخامســـــة، ١٩٨٥) ص ص : ٩١ - ١١٦ .

٩- Marx, E. & Schutze, c. , "Interpersonal problem soving in depressed students" , **Journal of Clinical Psychology**, (Vol. 47, 1991) 361 – 367 .

١٠- محمد أبو عليا وسامح محافظة ، "مشكلات طلبة الجامعة الهاشمية كما يراها

الطلبة أنفسهم " **مجلة دراسات ، العلوم التربوية** الجامعة الأردنية (م ٢٤ ، ع ٢ ، ١٩٩٧) ٣٣٠، ص ص ٣٢٩-٣٤٠.

١١- محمود عطا حسين ، "دراسة مقارنة في العادات والاتجاهات الدراسية بين المتفوقين والعاديين والمتأخرين دراسياً " **مجلة رسالة الخليج العربي** (عدد ١٠ ، السنة الثالثة ، ١٩٨٣) ٧٩ - ٩٢ .

١٢- Comstock , G & Helsing , K. , "Symptoms of depression in two communities" **psychological medicine**, (No. 6 , 1976) 558 .

١٣- Ghareeb, A. "An Investigation of some variables related to depression in Egypt Yoth" **Journal of education , El – Azhar University** (No. 54 , 1996) 1 – 10.

١٤- Ilfeld, F. , "current social stressors and symptoms of depression" **American Journal of Psychiatry** (124, 1977) 161 – 166 .

١٥- غريب عبد الفتاح ، **المرجع المذكور** ، ١٤ - ١٧ .

١٦- Christopher, J. , Michael, P. & Finch, A., "Anxiety and depression in children and Adolescence" **Journal of Counseling and clinical psychology,** (vol. 62 , No. 5, 1994) 1000 – 1008 .

١٧- غريب عبد الفتاح ، **المرجع المذكور** ، ٢٢ .

١٨- محمد أبو عليا وسامح محافظة ، المرجع المذكور ، ٣٢٩ - ٣٤٠ .

١٩- نادية شريف محمد عودة ، "مشكلات الطالب الجامعي وحاجاته الإرشادية" **ندوة الإرشاد النفسي والتربوي** ، جامعة الكويت (١٩٨٤) ٣٧٥-٤٠٢ .

٢٠- Villanova etal , "Dimensions of college student stress" paper presented at conference of southern psychological Association (1984).

٢١- Sabie, I. , "Foreign students coping with American culture of eight selected American Universities" unpublished Doctoral Dissertation, (George College for Teachers, 1975) .

٢٢ محمد أبو عليا وسامح محافظة ، **المرجع المذكور** ، ٣٣١ .

٢٣- أبو بكر موسى ، "أزمة الهوية والاكتئاب النفسي لدى الشباب الجامعي" **مجلة دراسات نفسية** ، القاهرة (م٧ ، ع٣ ، ١٩٩٧) ٣٢٣ - ٣٥١ .

٢٤- حسين فايد ، "الفروق في الاكتئاب واليأس وتصور الانتحار بين طلبة الجامعة وطالباتها" **مجلة دراسات نفسية** ، القاهرة (م٨ ، ع١ ، ١٩٩٨) ٤١ - ٧٧ .

٢٥- غريب عبد الفتاح ، **المرجع المذكور** ، ١ - ٥٣ .

٢٦- Ghareeb, A. "The nature of adolescent depression in U.A.E." Paper presented to Royal of psychiatrists , Regional Meeting in Bahrain (26 – 30 Oct. 1991).

٢٧- محمود عطا حسين ، "تقدير الذات وعلاقته بالوحدة النفسية والاكتئاب لدى طلاب الجامعة" **مجلة دراسات نفسية** ، القاهرة (م٣ ، ع٤ ، ١٩٩٣) ٢٦٩- ٢٨٧ .

٢٨- Comstock , G. & Helsing , K. , **op. Cit.,** 551-563.

٢٩- محمد أبو عليا ، المرجع المذكور ، ٣٣٢ .

٣٠- غريب عبد الفتاح ، كراسة تعليمات مقياس الاكتئاب (BDI) ط ٢، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٠) .

٣١- غريب عبد الفتاح ، "الاكتئاب في ضوء بعض التغيرات الديموغرافية"، مرجع سابق ، ٣٣ .

٣٢- محمود عطا حسين "الدامغية للاتجار في ضوء متغيرات مستوى الأداء المحصلي والتخصص وعلاقتها بالمثابرة وتحمل المسؤولية التوكيدية لدى طلبة الجامعة ، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية** ، المنيا (م١١ ، ع١ ، ١٩٩٣) ، ٣ .

٣٣- محمد أبو عليا وسامح محافظة ، **المرجع المذكور** ٣٣٦ .

٣٤- Cho, S , Op. Cit.

٣٥- محمود عطا حسين ، "**العادات**"، مرجع سابق ، ص١٠١ .

٣٦- غريب عبد الفتاح ، "**الاكتئاب**..، مرجع سابق ، ص٣٣ - ٣٤ .

٣٧- محمود عطا حسين ، "**تقدير الذات**..."، مرجع سابق ، ٢٨٠ .

٣٨- أحمد عبد الخالق ، "قياس الاكتئاب ، مقارنة بين أربعة مقاييس " ، **مجلة دراسات نفسية** ، القاهرة (عدد يناير ، ١٩٩١) ، ٨١ .

٣٩- Christopher , et al , *op. Cit.*

٤٠- Petrie , K, et al , "Psychological Pridictors of Future Suicidal Behavior in Hospitalized Suicide Attempts, *British" Journal of Clinical psychology* (Vol. 27 , 1988) 247-257.

٤١- أحمد عكاشة ، **الطب النفسي المعاصر** ، (القاهرة : مكتبة الإنجلو المصرية ، ١٩٩٢) .

٤٢- حسين فايد ، **المرجع المذكور** .٦٥

٤٣- Daughtery, D & Kunkel, M. , "Experience of depression in college students" . **Journal of Counseling Psychology**, (Vol. 40 , No. 3 , 1993) , 316 – 323 .

٤٤- Ilfeld, *op. Cit.* , 161 – 166 .

٤٥- Ghareeb , A , "An Investigation of some variables related to depression in Egypt youth " *op. Cit.* P. 6.

٤٦- محمود عطا حسين ، "الأفكار اللاعقلانية لدى عينة من طلاب الجامعة وعلاقتها بالاكتئاب والتوتر النفسي وبعض المتغيرات الأخرى" **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية** ، المنيا (عدد يوليو ، ١٩٩٤) .

٤٧- غريب عبد الفتاح ، "**الاكتئاب** ..." ، مرجع سابق ص٢٢ ، ٢٣ .

٤٨- Albert & Beck , *op. Cit.* , 301 – 307 .